www.Rewity..com

منتدى الروايات الرومانسية المترجمة
شبكة روايتي الثقافية

www.Rewity..com

129

البجعة الورقية

البجعة الورقية

يقولون أن الأمر يتخذ 21 يوماً لتكوين عادة.
إنهم يكذبون
لـ21 يوماً تمسّكت
لكن في اليوم الـ 22، كانت ستعطي أي شيء
كي تحظى برحمة الموت.
لأنه في اليوم الـ 22 أدركت أن طريقتها
الوحيدة للنجاة تعني الموت المُحقّق لواحدٍ من
الرجلين الاثنين الذين تحبهم!

www.Rewity..com

الكاتبة Leylah Attar ترجمة: Andalus، تصميم: بحر الندى

بيانات الرواية

::: فريق العمل :::

[العنوان الأصلي للرواية]

The Paper Swan

[للكاتبة]

Leylah Attar

[سنة النشر]

August 4th 2015

***

[ترجمة وتدقيق وتصميم داخلي]

Andalus

[تصميم خارجي]

بحر الندى

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الأول :::

لقد كان يوماً جيداً لارتداء أحذية (كريستيان لوبوتان). لم أكن أخطط لارتداء الكعب العالي وأنا في طريقي للموت، لكن إن كانت هذه هي النهاية، إن كنت سأقتل على يد أحد المعتوهين ذا تعطش للدماء.. هل هناك طريقة أفضل من (تباً لك) كثيرة مبطنة بالنعل الأحمر لحذائي.. موجهة إلى قاتلي؟

لأن.. تباً لك أيها الوغد على تحويلي لضحية جريمة بلا معنى.

تباً لك على إذلالي بألا تجعلني أرى وجهك قبل أن تفجّر دماغي.

تباً لك على الأحبال التي تقيّدني بقوة كبيرة تاركة شقوقاً حمراء عميقة على معصميّ.

لكن أكثر من كل ذاك، تباً لك لأنه لا أحد يرغب في الموت قبل عيد ميلاده الأربعة والعشرين -بشعر أشقر يلمع من قصّته الجديدة وأظافر منمقة حدّ الكمال- في طريق العودة من موعد مع رجل ربما يكون (الرجل المناسب).

كانت حياتي مُعَدّة لتكون سلسلة من موجات

التصفيق الحار: التخرج، الزفاف، بيت يستحق أن يتم التفاخر به في مجلة لامعة، طفلان مثاليان.
ومع ذلك ها أنا ذا هنا.. على ركبتيّ، كيسٌ يغطي رأسي، فوهة مسدس باردة تلامس قاعدة جمجمتي. والجزء الأسوأ؟ عدم معرفة لِمَ يحدث كل هذا، عدم معرفة لِمَ سأموت. ثم مجدداً منذ متى يكون لهذه الأشياء معنى؟ عشوائية أم مخططة بدقة؟ القتل، الاغتصاب، التعذيب، الأذية. هل سنكون يوماً قادرين على فهم الـ(لماذا) أم أننا ببساطة نلجأ للتصنيف والتقسيم حتى ننظم من الفوضى التي لا نستطيع السيطرة عليها؟
كسب مادّي.
مرض عقلي.
تطرف.
سافلات مكروهات ذوات أظافر أكليريك.
أي من هذه الدوافع قد يقع تحتها قاتلي؟
توقفي، سكاي. أنتِ لستِ ميتة بعد. استمري بالتنفس. وفكري.

فكرّي.
اجتاحت الرائحة القوية للخيش أنفي بينما يتأرجح المركب في المياه.
ماذا تفعلين، سكاي؟ رنت كلمات إستيبان بوضوح في عقلي.
أقاتل.
أقاتل وأقاتل بشدة.
ضحكة خافتة هربت منّي.
لقد قمت بإبعاد إستيبان عن تفكيري منذ زمن طويل، لكن ها هو.. يتسلق لرأسي غير مُتوقع وغير مُعلن كعادته، يجلس على حافة إدراكي كما لو كان نافذة غرفة نومي.
تذكرت أنني دخلت اختبار عبر الانترنت هذا الصباح:
مَن هو آخر شخص تفكر به قبل نومك؟
ضغطة.
هذا هو أكثر شخص تحبه.
أنا كنت أفكر بـ مارك جاكوب وجيمي شو وتوم فورد ومايكل كورس. لا إستيبان. أبداً.

لأنه على عكس أصدقاء الطفولة، الأحذية تبقى معك. أستطيع أن أدع نفسي لإغرائهم وأجلب معي إبداعاتهم اللامعة.. وأن أذهب للنوم وأنا أعلم أنهم سيكونون هناك في الصباح. مثل أحذية (لوبوتان) التي كلمتكم عنها سابقاً... الحذاء الفوشيا الجذاب ذو الأشرطة الساتان حول الكعب أو الحذاء الذهبي من نوع "هاف دورسيه" ذا الارتفاع الشاهق؟ أنا سعيدة أنني اخترت الثاني. لديه كعوب حادة. حاولت أن أراهما في رأسي متخيلة عنوان صحف الغد:

"أحذية قاتلة!".

الصورة توضح الكعب المصقول المُميت بارز من جسد خاطفي.

نعم، هكذا ستسير الأمور بالضبط. قُلتُ لنفسي.

تنفسي، سكاي. تنفسي.

لكن الجو كان مظلماً ومغبّراً داخل غطاء رأسي ورئتاي كانتا تنهاران تحت ضغط الفزع والموت وقد بدأت أستوعب ما يحدث. إن هذا بالفعل يحدث. هذا حقيقيّ. عندما تكون اعتدت حياة ساحرة شيءٌ يتولد داخلك يعزلك عن الصدمة.. ضرب من الاستحقاق، وكأن ما يحدث أيضاً سيتم الاعتناء به. التمسُّك بذلك أعطاني بعضٍ من الجرأة والوقاحة! لقد كنتُ محبوبة ومُقدرة ومهمة لدى بعض الناس. بالتأكيد سيأتي شخصٌ ما ليقفز وينقذ الموقف بأكمله. صحيح؟ صحيح؟

سمعت صوت المسدس وشعرتُ بقبلة فوهته الآن ثابتة على مؤخرة رأسي.

"انتظر." آلمتني حنجرتي، صوتي مبحوح من الصراخ ككلب من نوع (بانشي) عندما أفقت ووجدت نفسي مقيدة ككلب برّي ومُلقاة في صندوق سيارتي. علمتُ أنها سيارتي لأن رائحتها كانت لاتزال عطرة بسبب العطر الذي أوقعته منذ بضعة أسابيع مضت.

لقد أمسكني في موقف السيارات بينما أدخل سيارتي المكشوفة الزرقاء حيث سحبني منها ودفعني -وجهي لأسفل- على مقدمة السيارة. ظننته سيأخذ حقيبتي، محفظتي، مفاتيحي،

سيارتي. ربما هي غريزة الحماية، ربما توجّه تركيزك فقط على ما ترغب في حدوثه لاحقاً. فقط خذهم وارحل!
لكن ليس ذلك ما حدث. هو لم يُرد حقيبتي أو محفظتي أو مفاتيحي أو سيارتي. لقد أرادني!
يقولون أنه أفضل لو تصيح (حريق) بدلا من (النجدة)، لكنني لم أستطع أن أخرج أياً منهما لأنني كنتُ أختنق من القماشة المليئة بالكلوروفورم التي وضعها على أنفي وفمي. الأمر الخاص بالكلوروفورم هو أنه لا يُفقدك الوعي على الفور.. ليس كما ترى بالأفلام، فقد ركلت وصارعت لما بدا كأنه الأبد قبل أن ترتخي قدماي وذراعاي.. قبل أن يحتويني الظلام.
كان يجب ألا أصرخ عندما عُدت للوعي، كان يجب أن أبحث عن طريقة لفتح صندوق السيارة أو أن أدفع بمصابيح الفرامل للخارج.. أو أن أفعل شيئاً يجعل الصحفيين يرغبون بإجراء مقابلة معي بشأنه لاحقاً. لكنك لا تستطيع إخراس الذعر، تعلم؟ فالذعر امرأة سافلة عنيفة صارخة وتريد الخروج.
لقد جعله ذلك غاضباً، استطعتُ الإحساس بذلك عندما أوقف السيارة وفتح الصندوق.
أصابني العمى بواسطة الوهج الأزرق البارد من نور الشارع خلف كتفه لكني استطعت الإحساس به.
وفقط حتى نكون واضحين.. قام بجذبي من شعري وحشا فمي بذات القماشة المليئة بالكلوروفورم التي استعملها ليُفقدني الوعي.
صارعته بينما يجبرني على الاتجاه ناحية رصيف الميناء، معصماي مازالا مقيدين خلف ظهري، لم تكن الرائحة الحلوة اللاذعة قوية لكنها أثارت غثياني. كدت أختنق بقيئي قبل أن يسحب القماشة من فمي ويضع كيساً فوق رأسي. توقفتُ عن الصراخ حينها.
كان يمكنه أن يتركني أختنق حتى الموت لكنه أرادني حية على الأقل حتى ينتهي أياً كان السبب الذي خطفني لأجله. الاغتصاب؟ الأسر؟ فدية؟ دار عقلي على الفور بمشاهد من

مقاطع عدة من تقارير صحف ومقالات مجلات. بالتأكيد كنتُ أشعر بغصة من التعاطف مع أخبار كهذه لكن كل ما يجب عليّ فعله هو أن أحوّل القناة أو أقلب الصفحة وعندها ينتهي القبح.

لكن لا نهاية لهذا. كان يمكن أن أقنع نفسي أنه مجرد كابوس لولا تلك الوخزات المؤلمة كالجحيم بفروة رأسي حيث انتزع بضع خصلات شعري. لكن الألم جيد، الألم يعني أنني حية، وطالما أنا حية.. يوجد أمل.

"انتظر،" قلت عندما أجبرني أن أركع على ركبتيّ. "أياً يكن ما تريده، أرجوك... فقط لا تقتلني."

كنتُ مخطئة. هو لا يرغب بي حية، إنه لا يحجزني بمكان ما أو يطالب بفدية، إنه لا يمزق ملابسي أو يستمتع برؤيتي أعاني. هو فقط أراد أن يجلبني هنا.. أينما يكون هذا المكان. هذا هو المكان الذي سيقتلني به ولن يضيع أي وقت!

"أرجوك،" توسلت. "دعني أنظر للسماء لآخر مرة."

أحتاج أن أماطل قليلاً لأرى إن كان هناك طريقة للخلاص. وإن كانت هذه بالفعل النهاية.. أنا لم أرد الموت في الظلمة الخانقة من أدخنة الخوف واليأس. أردت أن تكون أنفاسي الأخيرة حُرّة مملوءة بالمحيط والسطح ورذاذ البحر. أردت أن أغلق عينيّ وأدّعي أنه بعد ظهيرة يوم أحد وأنا تلك الفتاة الصغيرة ذات الفجوات بين أسنانها.. أجمع الأصداف مع "مامالو".

كان هناك لحظة من السكون. لم أعرف صوت آسري ولا وجهه لذا لم أمتلك صورة في رأسي، فقط وجود داكن يحوم خلفي كأفعى كوبرا عملاقة جاهزة للانقضاض. كتمتُ أنفاسي.

رفع الكيس وشعرت بنسيم الليل على وجهي، استغرق الأمر لحظة حتى تتكيف عيناي.. لتجد القمر، وها هو ذا... شريحة مثالية من الفضة على شكل هلال، ذات القمر الذي اعتدت مراقبته عندما أذهب للنوم وأنا طفلة بينما أستمع لحكايات "مامالو".

"لقد وُلدتِ في يوم حيث كبرت الغيوم وامتلأت بالأمطار" كانت تقول مربيتي وهي تمسد شعري. "لقد كنا مستعدين لعاصفة لكن الشمس سطعت في السماء، والدتك حملتك عند النافذة ولاحظت النمشات الذهبية داخل عيونك الرمادية الصغيرة. عيناك كانتا بلون جنة السماء ذلك اليوم. وذلك كان سبب تسميتك سكاي، أمورسيتو*"

لم أفكر بأمي لسنوات، لم يكن لدي أي ذكريات عنها لأنها ماتت وأنا صغيرة، لا أعلم لماذا كنتُ أفكر بها الآن. ربما لأنه بعد بضع دقائق سأكون ميتة كذلك.

تلوتِ أحشائي عند هذه الفكرة، أتساءل إن كنتُ سأرى أمي بالجانب الآخر. إن كانت ستحييني كهؤلاء الناس بالبرامج التلفزيونية الذي يدّعون أنهم ذهبوا للجانب الآخر وعادوا. أتساءل إن كان هناك جانب آخر.

بمعنى صغيرتي...

أستطيع رؤية الأضواء المتلألئة الخاصة ببعض الشقق العالية على الميناء، أنوار المرور تشق طريقها وكأنها ثعبان أحمر بالطريق. كنا على مَرسَى مهجور مُقابلا لـ (سان دييجو باي). فكرت بوالدي.. أريده ألا يقلق، أن يدعني بسلام ويتنفس ويعيش. أنا طفلته الوحيدة وهو قد فقد بالفعلِ أمي.

تساءلت إن كان يحظى بالعشاء في باحة المنزل يجلس حيثُ يطل على خليج هادئ في (لا يولا). لقد أتقن فنّ شرب النبيذ الأحمر دون أن يلمس شاربه حيث استخدم شفته السفلى ليُميل رأسه قليلا، سأشتاق إلى شاربه الرمادي الكثيف رغم أنني كنتُ دائماً أعترض عليه عندما كان يقبّلني، ثلاث مرات على خدّيّ. يسار، يمين، يسار... دائماً. لم يكن يهم إن كنت قد نزلت للتو للإفطار أو ذاهبة في رحلة حول العالم. لديّ خزانات مليئة بأحذية مُصممة والحُلي، لكن هذا هو ما سأفتقد أكثر. قبُلات وارن سيدجويك الثلاثة.

"والدي سيدفع لكَ ما تطلبه أياً يكن،" قلتُ.
"دون أسئلة." التوسُّل. المساومة. كلها تصبح سهلة عندما توشك على فقدان حياتك.
قوبل كلامي بلا ردّ عدا دفعة حازمة مُجبرة رأسي على الانحناء أسفل، لقد أتى قاتلي جَاهزاً.
كنت راكعة وسط مكان مُغطى بالكامل بواسطة غطاء كبير والجوانب مقيدة ومربوطة بقطعٍ مِن الخرسانة. أستطيع تخيُّل جسدي الميت وهو يُلقى به في مكان ما بوسط المحيط.
ثار عقلي أمام تلك الصورة، لكن قلبي....
قلبي عرف.
"إلهي القدير، بارك روحي. واعتنِ بـ أبي. ومامالو. واستيبان."
كانت صلاة من الماضي، صلاة لم أقم بتلاوتها لسنين عدة لكن الكلمات تكونت تلقائياً لتسقط من فمي كحبيباتٍ صغيرة من الراحة.
في تلك اللحظة، أدركتُ أنه في النهاية.. كل الآلام والضغائن والأعذار لا شيء أكثر من أطياف عائمة تتشتت كأشباح باهتة في وجه كل الأشخاص الذين أحببتهم وكل الأشخاص الذين أحبّوك. لأنه في النهاية، تلخصت حياتي في ثلاث قبلات وثلاثة وجوه: أبي، مربيتي وابنها. اثنان منهم لم أرهما منذ أخذنا الطريق الجاف المغبر مبتعدين عن (كاسا بالوما).
مَن هم آخر الأشخاص الذين تفكر بهم قبل موتك؟
أغلقت عينيّ منتظرة الـ(ضغطة).. منتظرة حتمية الموت البارد!
هؤلاء هم أكثر الأشخاص الذين أحببتهم.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الثاني :::

كان الجو ظلاماً. ظلامٌ كامل. ظلامٌ سريالي عميق في سكون شاسع. وأنا مُحاطة بالفراغ، بقعة من الوعي دون أيدي أو أقدام أو شعر أو شفاه. الجو مُسالمٌ تقريباً لولا الخفقان الممل المتدفق فيّ. يدور بي على شكل موجات، أكثر صخباً، أكثر قوة، حتى ترتطم داخلي.

الألم.

رمشتُ وأدركتُ أن عينيّ بالفعل مفتوحتين، لكن لا شيء حولي، لا شيء فوقي، لا شيء تحتي... فقط الألم يطرق رأسي. رمشتُ مجدداً، مرة، مرتين، ثلاثة. لا شيء، لا شكل أو ظل أو ضبابية معتمة. فقط مجرد ظلامٌ مُحقق يبتلع كل شيء.

قفزت على الفور.

في عقلي.

أما الواقع، لم يحدث شيء. وكأن عقلي فُصلَ عن بقية جسدي، لم أستطع الإحساس بذراعيّ أو ساقيّ أو لساني أو أصابع قدميّ، لكنني أستطيع السمع. إلهي القدير أستطيع السمع، حتى إن كان

ما أسمعه فقط هو صوت قلبي المتسارع كأنه على وشك اختراق ضلوعي. كل نبضة ضخمت من الألم الكامن برأسي وكأن نهايات أعصابي انتهت هناك.. في بركة دماء خافقة.
تستطيعين السمع.
تستطيعين التنفس.
ربما فقدتِ بصركِ، لكنكِ حية.
لا.
لا!!!!!
أفضل أن أكون ميتة على أن أكون تحت رحمته.
ماذا بحق الجحيم فعل لي؟
أين بحق الجحيم أنا؟
******
كنتُ جهزتُ نفسي لرصاصته، لكن سادت لحظة من الصمت بعدما تلوت صلاتي. رفع خصلة من شعري ولامسها بلطف.. تقريباً بوقار، ثم ضربني بظهر مسدسه.. ضربة عنيفة حادة لأشعر كأنه شق جمجمتي. انحنى أفق سان دييجو وبدأ بالاختفاء على هيئة بقع سوداء كبيرة.
"لمَ أمنحك الإذن بالتكلم،" قال وأنا أقع للأمام من الضربة ليرتطم وجهي بالأرض، بقوة وسرعة، لكن بدا كما لو أن كل شيء يحدث ببطء شديد.
لمحتُ حذاءه قبل أن تُغلق عيناي.
جلد إيطالي ناعم، صناعة يدوية.
أنا أعلم ما يتعلق بالأحذية، وأعلم أنه لا يوجد الكثير من هؤلاء.
لِمَ لم يسحب الزناد؟ فكرتُ وأنا أفقد الوعي.
******
لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا فاقدة للوعي، أعلم فقط أن ذلك السؤال لاحقني كـ تنين على رأس كهف، يرفض التحرك، جاهز لإطلاق سراح نيران كل الإمكانيات الوحشية والتي تعد أسوأ من الموت.
لِمَ لم يسحب الزناد؟
ربما خطط لإبقائي عمياء ومخدرة ومقيدة إلى جانبه.

ربما أراد أن يمزقني أشلاءاً ويبيعني.
ربما هو بالفعل حصد ما بداخلي من أعضاء والأمر مسألة وقت فقط قبل أن يختفي تأثير التخدير.
ربما اعتقد أنه قتلني ودفنني حية.
مع كل فكرة تمرّ، تحول الألم إلى رعب،
ودعوني أخبركم.. الرعبُ أكثر سوءاً من الذعر
فالرعب يبتلع المرء كاملا.
شعرتُ بنفسي تنزلق بعمق داخل نفسها.
شممتُ رائحة الرعب.
تنفستُ الرعب.
كان الرعب يتآكلني تماماً.
أعلم أن خاطفي قد أعطاني شيئاً، لكن لا أعلم هل الشلل مؤقتٌ أم دائم.
لا أعلمُ إن كنتُ قد اغتصِبْتُ أو ضُرِبْتُ أو أصبحتُ مشوهةً تماماً.
لا أعلم إن كنتُ أريد اكتشاف ذلك.
لا أعلم إن كان سيعود.
وإذا عاد، لا أعلم إن كانت هذه.. إياً تكن هذه الحالة التي أنا عليها، أفضل، أكثر أمناً، أسهل.

استمر الرعب بملاحقتي خلال متاهات عقلي، لكن هناك مكان واحد لا يستطيع الوصول إليّ فيه. مكان واحد أعلم أنني سأكون دائماً آمنة به.
استدرتُ لرُكن في مخيلتي وأغلقتُ على نفسي من كل شيء عداً تهويدة* مامالو.
لم تكن بالفعل تهويدة وإنما أغنية حول لصوص مسلحين وخوف وخطر. لكن الطريقة التي غنّتها بها مامالو -بنعومة وحالمية- دائماً كانت تهدئني. كانت تغنيها بالإسبانية، لكنني أتذكر المعنى أكثر من الكلمات.

من جبال سييرا مورينا،
سيليتو ليندو، يأتون
زوج من العيون السوداء،
سيليتو ليندو، إنهم مهربون...

أرى نفسي على سرير استوائي مربوط بين شجرتين، السماء فوقي، يعطيني إستيبان دفعة

أغنية هادئة للأطفال

بين الحين والآخر بينما تغني مامالو وهي تعلق الملابس لتجف. كانت تلك القيلولة في حدائق كاسا بالوما مع مربيتي وابنها من أوائل ذكرياتي. وطيور الطنان تحوم حول أزهار الحمراء والصفراء، بينما تفيض نباتات البوغانفيليا المشعثة من أطراف السياج.

آي، ياي، ياي، ياي،
غني ولا تبكي،
لأن الغناء يسعدنا،
سيليتو ليندو، قلوبنا...

كانت مامالو تغني عندما يتألم إستيبان أو أنا، تغني عندما لا نقدر على النوم، تغني وهي سعيدة.. وتغني وهي حزينة.

تانتاي نو يوريس،
غني ولا تبكي...

لكن أتت الدموع، بكيت لأنني لا أستطيع الغناء، بكيت لأن لساني يعجز عن تكوين الكلمات. بكيت لأن مامالو والسماء الزرقاء والطيور الرنانة تحدت الظلمة. بكيت وأنا أتمسك بهم، وببطء، خطوة خطوة على حدى، تقهقر الرعب.

فتحت عينيّ وأخذت نفساً عميقاً، لازلت محاطة بالظلام.. لكنني كنت أشعر بحركة اهتزاز ثابتة. ربما بدأت حواسي بالعودة رويداً رويداً.

حاولت ثني أصابعي.

أرجوك.

كوني هناك.

تحركي.

لا شيء.

لايزال رأسي يئن حيث ضربني ليفقدني الوعي، لكن وراء الـ (بوم، بوم، بوم) سمعت أصواتاً، وقد كانت تقترب.

"أتعبر خلال إنسينادا كثيراً؟" صوت امرأة.

لم أستطع التقاط الردّ كاملاً، لكن كان صوتاً أعمق.. بالتأكيد لرجل.

".... وأبداً لم أحصل على الضوء الأحمر قبلاً،" كان يقول.

صوت خاطفي، حُفِرَ داخل عقلي، مع حذائه.

"لا مشكلة. فقط فحص سريع قبل.... عبور الحدود" كان يخفت صوت المرأة ويعود. "أحتاج أن أتأكد..... الرقم المتسلسل يلائم رقم المحرك."

الحدود.

إينسينادا.

تباً!

أضحت حركة الاهتزاز مفهومة. أنا على قارب، تقريباً نفس القارب الذي أخذني عليه. إننا بـ(إينسينادا)، ميناء المدخل إلى المكسيك، تبعد حوالي السبعين ميلاً عن سان دييجو، وعلى الأغلب تلك السيدة موظفة بالجمارك.

ارتفع نبض قلبي.

هذه هي. فرصتك للهروب، سكاي.

استرعي انتباهها. يجب أن تحصلي على انتباهها!

صرخت وصرخت لكنني لم أستطع أن أصدر صوتاً. إياً كان ما أعطاني إياه فقد خدر أحبالي الصوتية.

سمعت أصوات الخطوات أعلى، وهو ما جعلني أفكر أنني على الأرجح بمكان ما للتخزين تحت السطح.

"فقط للتأكد، أنتَ داميان كاباليرو؟" سألت المرأة.

"دَامِيَان،" صحّح. دَاهـ - مِيـ - يَان.

ليس دِايـ - مِيـ - يون.

"حسن، يبدو أن كل شيء على ما يرام. سوف آخذ صورة من رقم تعريف قاربك ويمكنك أن تذهب في طريقك بعدها."

لا! إنني أخسر نافذة فرصي.

صحيح أنني لا أقدر على الركل أو الصراخ، لكنني وجدت أني أستطيع التدحرج، لذا هذا ما فعلت. من اليسار إلى اليمين، من الجانب للجانب. تدحرجت، بقوة، أسرع، لا أعلم إن كنت أرتطم بأي شيء، لا أعلم إن كنت أحدث أي فرق. سادس أو سابع مرة فعلت ذلك، سمعت شيئاً فوقي.. كصوت خشب يحتك بخشب.

أوه أرجوك.

أرجوك، أرجوك، أرجوك، أرجوك.

وضعتُ كل شيء بهذا الأمر، رغم أنني بدأت أدوخ.
شيءٌ تحطم. أصدر ضجة، وفجأة لم يعد المكان مُظلماً.
"ماذا كان ذلك؟" سألت المرأة.
"أنا لم أسمع شيئاً."
"بدا الصوت كما لو أتى من تحت. أتمانع أن ألقي نظرة؟"
أجل!
"ماذا لديكَ هنا؟" صوتها أوضح الآن.
إنها قريبة، حقاً قريبة.
"حبال، سلاسل، معدات صيد..."
كنت بدأت أميّز بعض الخطوط الباهتة تجري فوقي رأسياً، بعيدة بضعة إنشات من وجهي.
أجل، أستطيع الرؤية! عيناي بخير!
سمعت صوت قفل يُفتح وبعدها فاضت الغرفة بضوء لامع يعمي البصر والذي جعلني أريد البكاء.
حاولتُ أن أحاذي عيوني بالفراغات فوقي التي تسمح لذلك الضوء بالعبور. يبدو كأنني على الأرضية، مُحاصرة تحت ألواح من الخشب.
ظهر ظل رجل على السلم وخلفه خيالاً آخر.
أنا هنا.
بدأتُ أهزّ نفسي بشدة.
"يبدو أن واحداً من صناديقك قد وقع،" قالت.
أنا أوقعته. جديني. أرجوكِ، جديني.
"أجل." سار نحوي. "أحتاج فقط أن أؤمنهم جيداً."
ضرب رجله بقوة بصندوقي مانعاً إياه من التحرك.
أستطيع رؤية السيدة الآن بوضوح، من خلال الشقوق الرفيعة من الغطاء - ليس كلها، لكن يديها وجذعها. كانت تحمل بعض الأوراق، ومعها جهازاً لاسلكياً معلق بحزامها.
أنا هنا.
ارفعي نظرك عن أوراقك. سوف ترين الضوء ينعكس على عيني.
خطوة واحدة للأمام ولا يمكنكِ أن تخطئي رؤيتي.

فقط، خطوة، واحدة، لعينة.
"تحتاج بعض المساعدة؟" سألته بينما يحمل الرجل الصندوق الذي كنتُ تدبرت أن أزحزحه عن مكانه وأعاده مجدداً فوقي.
أجل! المساعدة. ساعديني أيتها الحمقاء!
"أنا حللتها،" ردّ. "حبل، وبعض الأربطة و.... أصبحنا جاهزين للذهاب. ها هو، كل شيء مُحكم."
"يا لها من صناديق كبيرة الحجم، أتتوقع صيداً كبيراً؟" سمعت صوت خطواتها مبتعدة على السلم.
لا! عودي.
أنا آسفة أنني دعوتكِ بالحمقاء.
لا تتركيني.
أرجوكِ.
لا تذهبي!
"في بعض الأحيان، أتمكن من اصطياد واحداً جيداً،" ردّ.
أرسلت العجرفة بصوته برودة خلال عمودي الفقري.
ثم أغلق الباب، وعدتُ مجدداً للظلمة الحالكة بالكامل.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الثالث :::

أزحفُ خِلال نفق من ورق الصنفرة والصقل. كلما تحركتُ للأمام، تحتك بشرتي مع السطح الخشن الجاف.

سكراب، سكراب، سكراب.

كانت تلك أصوات خلاياي الممزقة، طبقة تلو الأخرى. ركبتاي متألمتان، ظهري متألم، كتفاي متألمان، لكنني أستطيع الإحساس بدفء الشمس. علمتُ أنني إذا استمريتُ على المضي قدماً، سأصل للخارج. استمريت بالتقدّم والتقدم، وسرعان ما وجدت مساحة كفاية لأقف. كان هناك حصوات حولي كلي. غرق كعباي في الأحجار الصغيرة والحصوات الملساء.

كرانش، كرانش، كرانش.

استمريت بالسير. كل شيء يؤلمني لكنني سرتُ بإنهاك نحو الضوء. وفجأة كان موجهاً إليّ، يغطيني وما حولي كلياً، يجعلني أضيق عينيّ بسبب شدة سطوعه. رمشت واستيقظت، لأزفر نفساً عميقاً.

واو! تحدثُ عن الكوابيس الغريبة!
لقد كنتُ ممددة على سريرٍ، والشمس تتسلل خلال النافذة. تنهدت ولجأت لأحضان الغطاء مجدداً. سوف تمضي عدة دقائق وبعدها سأقوم ركضاً لأنزل الدرج وأحصل على قبلاتي الثلاثة من والدي قبل ذهابه للعمل. ولن أفكر بهم كشيء مضمون بعد الآن.
كرانش، كرانش، كرانش.
عبستُ.
ليس من المفترض أن يلاحقني هذا الصوت إلى واقعي.
أبقيت عينيّ مغلقتين. بينما شعرتُ بالغطاء غريب الملمس، خشن وغليظ.. ليس مثل لحافي الحريري الناعم.
النافذة، تلك التي لمحتها لحظياً، كانت صغيرة ودائرية. من النوع الذي ينتمي لقارب!
وأنا أتألم، استطعت الإحساس به الآن. الألم بكل مكان، رأسي ثقيل ولساني عالق في سقف فمي.

كرانش، كرانش، كرانش.
علمتُ أنه سيء، أياً كان ذلك الصوت. كان يأتي من خلفي وعلمتُ أنه سيء وشرير، وسوف يشدني معه مجدداً للجحيم.
"بالوقت المناسب،" قال.
تباً، تباً، تباً!
دَاهـ - مِيـ - يَان.
داميان مُمَزق الشعر، مُحطم الرأس، مُفقِد الوعي، كاباليرو.
إنه هنا، وهو حقيقي.
أغلقتُ عينيّ بشدة، إنني واثقة تماماً أن دمعة متهادية كانت لتهرب، لولا أن عينيّ جافتان بشدة لدرجة أنني شعرت بجفوني نفسها وكأنها مصنوعة من أوراق الصنفرة. كان كلي كذلك.. مسلوخ ومخدوش، من الداخل والخارج.
لا عجب أنني كنت أحلم بأنفاق من أوراق الصنفرة. إنني على الأرجح أعاني من الجفاف. مَنْ يعلم كم من الوقت بقيت فاقدة للوعي أو أي آثار جانبية حدثت لي مما قد استخدمه عليّ قبلاً؟

"هل أنتَ... ماذا فعلتَ لي؟" بدا صوتي غريباً لكنني كنتُ ممتنة جداً لوجوده. نفس الشيء كذلك مع ذراعيّ ورجليّ وبقيتي. يؤلمني رأسي وعظامي تئن لكنني مازلت قطعة واحدة ولن أكره أبداً أبداً بطني أو مؤخرتي أو فخذيّ مجدداً.

لم يُجب داميان. كان ما يزال خلفي، خارج حدود نظري، ولا يزال يقوم بأي كان ما يقوم به بحق الجحيم!

كرانش، كرانش، كرانش.

بدأت أرتجف، لكن كتمت الأنّة التي هددت بالهروب.

إنها لعبة فسيولوجية بطيئة، هو.. في السيطرة التامة، وأنا لا أعرف ما سوف يحدث تالياً، أو متى، أو أين، أو لماذا.

أجفلت حين وضع كرسياً قريباً مني، وعليه صحن مليء بحساء من نوع ما، قطعة من الخبز بدت وكأنها تم تمزيقها -بلا سكين، بلا جماليات- وزجاجة مياه. قفزت معدتي لدى رؤيتي ذلك. شعرتُ وكأنني لم آكل منذ أيام، ورغم أنني أردت إلقاء كل ذلك بوجهه، كنت جائعة جداً. رفعت رأسي لكنني غرقت مجدداً للخلف.. تلك الحركة، مع اهتزاز القارب، جعلاني أشعر بالتشوش وعدم الاتزان. حاولت النهوض مجدداً، ببطء هذه المرة، لأنهض على مرفقيّ أولا قبل الجلوس.

كرانش، كرانش، كرانش.

ماذا بحق الجحيم ذاك؟!

"لن أستدير إن كنتَ مكانك،" قال.

مثير للاهتمام. إنه لا يريدني أن أرى وجهه، لو أنه خطط لقتلي، لِمَ قد يهتم؟ سيهتم فقط إذا كان لا يرغب في أن أقدر على التعرف عليه.

استدرت للخلف، العالم حولي ضبابي ويدور لكنني التفتُ للخلف. ربما لأنني حمقاء مجنونة، لكنني أردت رؤية وجهه. أردت تذكر كل ملامحه وتفاصيله حتى أستطيع أن أميزه إذا آل الأمر لذلك. وإذا قتلني، فليكن. على الأقل سنكون متساويين.

لقد رأيتُ وجهك: بانج بانج*!
أفضل من...
أنا لا أعرف ماذا فعلتُ لأستحق هذا: بانج بانج!
لم يُظهر أي ردّ فعل على عصياني له، ولا حتى أي دلالة على ردّ. فقط جلس هناك، يدسّ أصابعه في قرطاس ورقي يحمله وألقي بشيء في فمه.
كرانش، كرانش، كرانش.
كانت عيناه محميتين بقبعة بايسبول، لكنني علمتُ أنه يراقبني. ارتجفت عندما أدركتُ أنه كان يأخذ وقته، يزن عقابي كما وَزَنَ أياً كان ما يأكله قبل أن يطحنه تحت ضروسه. لم أعرف ماذا أتوقع، أنا بالفعل أعلم أنني أكرهه، لكنني الآن أكرهه أكثر. في عقلي، تخيلته شخصاً مختلفاً تماماً، شخص لئيم وقبيح من الخارج كما هو من الداخل. ذلك ما كان منطقياً بالنسبة إليّ، ليس هذا! ليس شخصاً عادياً كهذا،
تستطيع السير بجانبه في الشارع ولن تدرك أبداً

صوت الرصاص

أنكَ عبرتَ للتو جانب شرّ صرف.
بدا أصغر مما ظننته، أكبر مني.. لكن ليس السفاح الأشيب الضخم الذي افترضته، ربما لديه بنية وطول متوسطين لكنه قوي كالجحيم، أعلم ذلك لأنني ركلته ولكمته وقاومته كقطة برية في موقف السيارات ذاك. كان كل إنش منه حديداً صلباً بارداً. تساءلتُ إن كانت القوة مطلوبة في مجال عمله: الخطف، عمليات الإعدام، تهريب الفتيات عبر الحدود.
لف قدمه حول الكرسي وجذبه ناحيته، اختفى الحذاء اللامع المصنوع خصيصاً وكان يرتدي الآن حذاءاً قبيحاً خاصاً بالقوارب ومعه بنطال عادي قبيح وتي-شيرت قبيح. التوت شفتاه بسخرية، وكأنه يعلم تماماً بتقييمي المزدري له ويستمتع به. الوغد يستمتع به!
مزق الخبز نصفين وغمسه في الحساء، تاركاً إياه يمتص المرق البني السميك، ثم قضمه ليسترخي يمضغه ببطء بينما أشاهده. لقد كان خبز الـ(ساوردو).. استطعت شمّ رائحته، كدتُ

أتذوق قشرته المحمصة يليها نكهة العجين الحادة تذوب بنعومة في فمي. ملأ البخار المتصاعد من الحساء معدتي بوعود من الجزر والبصل وقطع اللحم الناعم اللذيذة.. وعود لم يكن لدى داميان أي نية لتنفيذها. علمت ذلك الآن، أن هذا هو عقابي لأنني استدرت خلفاً بينما قال لي ألا أفعل. علمت أنه سوف يجعلني أشاهده بينما ينهي آخر لقمة من الطعام كانت لأجلي. الأمر أنه لم يكن حتى يرغب به، لقد بدا متخماً بالطعام لدرجة أنه يجبر كل لقمة لذيذة لعينة في فمه بينما معدتي تتذمر بصخب، وأنا غبت بدوامة من الجوع الحاد الملتهم. تجعد فمي كل مرة غمس بها الخبز بالحساء ليرفع ببطء قطعاً من الخضروات والمرق. راقبته وهو ينهي الصحن، غير قادرة على النظر بعيداً، ككلب يتمزق جوعاً جاهز للانقضاض على البقايا الضالة، لكن لم يتبق شيء. مسح داميان آخر لقمة قد تثير لعابي بآخر قطعة خبز. ثم وقف وفتح زجاجة المياه، ليمسكها فوقي.

أوه يا إلهي، أجل. أجل!

فردت يدي بينما يبدأ بصبّ المياه على شفتيّ الجافتين المشقوقتين المتشوقتين لقطرة المياه الأولى التي ستخمد عطشي.

أتت المياه، حقاً. لكن رفع داميان يده القذرة فوقي، يده التي استخدمها ليأكل، حتى تعبر المياه خلال أصابعه الملوثة قبل أن تصل إليّ. كان لدي خيار، أن أقبل إهانته أو أموت عطشاً. أغلقت عينيّ وشربت، شربت لأنني لم أكن لأستطيع وقف نفسي حتى لو أردت ذلك، شربت لأنني أصبحت حيواناً نهماً، لكن أكثر من كل ذلك.. شربت لأن جزءاً غبياً غير منطقي داخلي، ذلك الجزء الذي يغني تهويدات غبية غير منطقية، مازال يحمل بعض الأمل. شربت حتى تباطأ الماء وأصبح مجرى رفيع، وعندما ألقى داميان الزجاجة البلاستيكية الفارغة عبر الغرفة، شاهدتها تتدحرج على الأرضية آملة أن يذهب حتى أستطيع أن أمد لساني داخلها وألعق آخر القطرات بها.

عدتُ بذاكرتي لزجاجة (سواروفسكي) للمياه المعدنية التي لم يمسها نيك أو أنا بموعدنا الأخير. كان قد ترقى للتو ليصبح مساعد المدعي العام وقضيته الرسمية الأولى كانت بالصباح التالي، كان احتفالا عادياً لكن مع افتتاح زجاجة شمبانيا، كان يجب أن أنهي تلك الزجاجة الجميلة المجمدة من المياه الفوارة وأذهب للبيت مع نيك، لم يكن عليّ أبداً أن أتجه لموقف السيارات ذاك وحدي.
نظرت لأعلى حيث خاطفي، كان يمسح يده في بنطاله. فاستغليت الفرصة لأستوعب ما حولي، غرفة صغيرة مع سرير بحجم كبير، تتكون الجدران من خزانات خشبية داكنة، أظن أنها تستخدم كمساحة للتخزين، نافذة واحدة (ليست كبيرة كفاية للتسلل عبرها)، ومزلاج يسمح لكثير من الضوء بالدخول (لكن مغلق بالسلاسل) وباب. حتى إذا خرجت، فإننا على قارب لعين، في وسط المحيط. لا يوجد مكان للهرب والاختباء.

عادت عيوني لداميان، الذي كان يراقبني من تحت قبعته بلون الأزرق الغامق مع الأحرف (س.د) مطرزة بالأبيض، الشعار الرسمي لفريق (سان دييجو بادرس). على ما يبدو أنه يحب البايسبول. أو ربما يرتديها لأنها تلخص حالته تماماً: *سادي، داهية.*
وكذلك، إن كان حقاً مشجعاً للفريق فهو حالم غبي، لأن سان دييجو هي المدينة الأكبر في الولايات المتحدة التي لم تربح أبداً سلسلة عالمية، كأس ستانلي، نهائيات الرابطة الوطنية لكرة السلة أو أي بطولة للألعاب الرياضية الرئيسية. إنها لعنة نعاني منها، رغم أن والدي يظل متفائلا في بداية كل موسم: *حظاً جيداً، سان دييجو بادرس. اكسروا رجلاً*!*
"حاولي أن تفعلي أي شيء غبي وسوف أكسر رجليك." أمسك داميان بالصحن الفارغ الذي أنهاه للتو وتوجه ناحية الباب.

مصطلح يعني حظاً جيداً

كان يجب عليّ أن أحطم رأسه بالكرسي.
كان يجب عليّ أن أعرقله حتى يقع الصحن ويتحطم، وبعدها أطعنه بالزجاج المكسور.
"أرجوك،" قلتُ بدلاً من ذلك، "أحتاج أن أستعمل الحمام."
لم أستطع أن أفكر بشيء عدا إفراغ مثانتي، لأتلخص في لا شيء عدا الجوع والعطش والوظائف الحيوية. وأعتمد عليه كلياً، (أرجوك) و(شكراً لك) تخرج تلقائياً عندما تكون تحت رحمة أحدهم، حتى إن كنتَ تكرهه حد النخاع.
أشار إليّ كي أقف، أحسستُ بساقيّ يرتخيان واضطررت للاستناد عليه. كنتُ أرتدي ذات الثياب، بلوزة حريرية كريمية اللون وبنطالاً أنثوياً لكنها بالكاد كانت معروفة. بدت الإطلالة الباريسية لـ (إيزابيل مارانت) كأنها قضت الليلة تتسكع مع (روب زومبي).
قادني داميان خلال رواق ضيق، على اليمين وجدت حماماً صغيراً به حوض استحمام صغير، خزانة ملحقة، ومرحاض. استدرتُ أغلق الباب لكن داميان سد الباب بقدمه.
"لا أستطيع التبول وأنت تشاهدني!".
"لا؟" بدأ يجذبني بالفعل خارج الحمام.
"انتظر." رباه، كم أكرهه! أكرهه أكثر مما تخيلتُ أنني أستطيع أن أكره بشراً آخر.
انتظرني عند الباب، غير آبهاً بالنظر بعيداً، أراد أن يتأكد من أنني أفهم الموقف.. أنني لا أحسَب، لا أملك رأياً، لن يتم منحي أي خصوصية أو رحمة أو نعمة أو اعتبار. أنني سجينته، أتعرض لكل نزواته.
تحركت ناحية المرحاض، شاكرة أنني بشكل ما محمية من مرمى بصره بواسطة الخزانة، فتحتُ سحاب بنطالي ملاحظة الخدوش لأول مرة. لابد أن جلدي خدش من جوانب الصندوق الذي حبسني به، لمستُ مؤخرة رأسي وشعرت بتورم بحجم البيضة والذي لا يتوقف عن النبض منذ أفقت. اعترضت رجلاي وأنا أجلس، لأجد أن هناك كدمات عميقة بنفسجية على ركبتيّ

من القرفصة بذلك الصندوق لمدة لا يعلمها إلا الله. والأسوأ، يرفض بولي الخروج.. وحين فعل، حرقني كحمض ساخن. لم يكن هناك الكثير، ربما لأني كنت أعاني الجفاف.. لكنني ظللت جالسة آخذ بعض الأنفاس العميقة قبل أن أقف لأجفف نفسي. أعدت بنطالي مكانه وكنت على وشك أن أغسل يديّ عندما لمحت انعكاسي.

"ماذا بحق الجحيم؟!" استدرت إليه. "ماذا بحق الجحيم فعلت لي؟"

استمر بالنظر إليّ بلامبالاة، كأنه لا يسمعني، كأنني لا أساوي شيئاً يستحق الإجابة.

عادت نظراتي إلى المرآة، لقد قصّ شعري الطويل الأشقر وصبغه للون الأسود؛ لم يقصه وإنما جزره بمقص تلم غير حاد وصبّ عليه صبغة رديئة كاوية ممن تجدهم بالمتاجر. بعض من خصلاتي الشقراء مازالت موجودة تحت القطع الداكنة، لتجعلني أبدو كأنني أرتدي شعراً مستعاراً رخيصاً ورديئاً. عيناي الرماديتان اللتان كانتا دائماً تجذبان الانتباه لوجهي، بهتا أمام لون الصبغة. ومع رموشي الباهتة وحواجبي.. بدوت كشبح حيّ!

كان أنفي مخدوشاً، وكذلك وجنتيّ، بينما تجمعت جداول من الدماء الجافة عند أذنيّ من حيث اقتلع خصلات شعري. أحيطت تجاويف عيوني باللون الأزرق الداكن وشفتاي بدتا متألمتين ومشقوقتين تماماً كما أحسستهما.

لسعتني عيناي بدموع محبوسة، لم أستطع ربط هذا الانعكاس بتلك الفتاة التي كنتها منذ عدة أيام، الفتاة التي كانت ستدير الرءوس في عيد ميلادها الرابع والعشرين، يجب أن يكون أبي قد علم الآن أنني مفقودة. لم أكن أبداً لأفوت الحفل الذي أقامه لي. لابد أنه كلم نيك، آخر شخص كنت معه، لا أعرف كم من الأيام مضت، لكنني أعلم أن والدي بالتأكيد يبحث عني. سوف يستعين بالأفضل ولن يتوقف حتى يجدني. لو أنه تتبع سيارتي حتى رصيف الميناء، بالتأكيد كان ليأخذ بعين الاعتبار

وجودي على متن قارب. الفكرة أراحتني، ربما هو قريب. ربما كل ما أحتاجه هو محاولة كسب الوقت والمماطلة حتى يلحق بنا.
تحسست تحت بلوزتي وتنهدت براحة، لازالت موجودة.. القلادة التي أعطاها أبي لأمي عندما وُلدت، تم إعطائي إياها بعد موتها وأنا ارتديتها منذ ذلك الحين. كانت سلسلة ذهبية بسيطة ومعها مدلاة دائرية ذات نوافذ زجاجية شفافة التي تفتح كالكتاب. داخلها يوجد حجران كريمان نادران -من أحجار الأليكساندريت- ولؤلؤة وردية اللون.
"إليك،" خلعتها وتركتها تتدلى أمام داميان. ليس الأمر كأنني أستطيع مقايضتها مقابل حريتي، خاصة أنه يمكنه ببساطة أخذها مني، لكن إن كنت أستطيع إغراءه بوعد بالمزيد، إذا كنت أستطيع إثارة شهيته بالتعويض المالي، ربما أستطيع كسب بعض الوقت وتأجيل ما خطط له.
"هذه تستحق الكثير من المال،" قلتُ.
لم يبدُ عليه الاهتمام، ثم تركته اللامبالاة، تصلب جسده بأكمله وخلع قبعته. كانت حركة غريبة، كحركة قد يقوم بها شخص علم للتو بوفاة أحدهم. أو ربما قام بها كتعبير عن الاحترام، وكأنك تقف أمام شيء كبير وجميل ومقدس.
بكل الأحوال، مدّ يده ووصل إليها ببطء شديد، حتى أصبحت تتدلى من يده هو.
رفعها إلى حيث الضوء وللمرة الأولى، رأيتُ عينيه. كانتا داكنتين. سوداوتين. لكن نوع السواد الذي لم أره من قبل، سواد بالكامل. دون تدرج باللون، سواد محقق.. غير قابل للاختراق أو الفهم. سواد يمتص كل الألوان. إذا وقعت في السواد، إنه يبتلعك ككل. مع ذلك هنا كان نوعاً مختلفاً من السواد، ثلج أسود وفحم يحترق، بئر مياه وليلة صحراء. عاصفة داكنة وهدوء زجاجي. كان الأسود يعارك الأسود، العكس والقطبية، ومع ذلك لا يزال... الكل أسود!
استطعت رؤية قلادة أمي منعزلة في عيون داميان،

ذكرتني بماهية شعور المرء عندما يقف بين مرآتين، يحدق في صف الصور اللامتناهي يختفي في البُعد. كان هناك شيئاً بعينيه، بوجهه، شيء لم أستطع فهمه. بدا مفتوناً بالقلادة، وكأنه سقط في حالة من الانبهار.

يبدو أن لديه صدع في درعه بعد كل شيء!

"وهنالك المزيد من حيث أتت هذه،" قلت.

أبعد عينيه عن القلادة ونظر إليّ، ثم جذبني من ذراعي وشدّني خلفه في الرواق، متسلقان لأعلى بضعة درجات وثم كنا على السطح. تعثرت خلفه، لاتزال ساقاي مرتخيتين وضعيفتين.

"أترين هذا؟" أشار حولنا.

كنا في وسط اللامكان، مُحاطان بأميال وأميال من المياه الداكنة.

"هذا،" أكمل ومشيراً إلى المحيط، "لا يهتم به هذه." هز القلادة أمام وجهي. جواهرك لا شيء إلا حصى مغسول بالنسبة لي. "للأسف،" قال بصوت أكثر نعومة وهو يرفع القلادة عالياً حيث الشمس. "شيء صغير جميل حقاً."

لم يستطع أبي أن يقرر أي الأحجار يقدّم لأمي، أخبرني أنه اختار أحجار الأليكساندريت لأنهم كقوس قزح، يتلونون ويتحولون في اللون حسب الضوء. بالداخل، يبدون كالبنفسجي المحمر، لكن هنا حيث الشمس، التمعا بمسحة خضراء لامعة. تلألأ لونهما في وجه داميان.

"شيء صغير جميل حقاً،" أعاد بخفوت، بحزن تقريباً.

"إن الأحجار نادرة للغاية، اللؤلؤة أيضاً. لن ترغب بأي شيء أبداً بعدها، يمكنك الذهاب لأي مكان. الاختفاء، افعل ما تريد. وإذا كنت ترغب بالمزيد...."

"كم تظنين حياتك تساوي، سكاي سيدجويك؟"

إنه يعلم اسمي، بالطبع يعلم اسمي، على الأرجح قام بتفتيش حقيبتي بعناية، إما ذلك أو أنه كان يلاحقني.. إذاً في هذه الحالة الأمر متعمد وليس خطفاً عشوائياً.

"كم تظنين حياتي *أنا* تساوي؟" سأل وهو يرفع

القلادة مجدداً. "طول هذه السلسلة؟ اللؤلؤة؟ هذان الحجران النادران؟" نظر إليّ لكنني لم أمتلك جواباً.

"هل سبق أن حملتِ حياة بين يديكِ؟" أوقع القلادة بيدي وأغلق أصابعي عليها.

"إليكِ، اشعري بها."

إنه مجنون! مجنون بشدة لدرجة الهذيان.

"هل تعلمين كم هو سهل تدمير حياة؟" أخذ القلادة مني وببطء، بتعمد، ألقاها.

وقعت جانب قدمه، فلعب بها لفترة، يحركها ذهاباً وإياباً فوق السطح الأملس، بمقدمة حذائه.

"إنه سهل حقاً بشكل سخيف." رفع قدمه فوق القلادة وأطبق عليها بكعبه، كل ذلك وهو ينظر إليّ.

بدأ الزجاج بالتشقق تحت ثقله.

"لا تفعل،" قلت. "إنها الشيء الوحيد الباقي لي من أمي."

"كانت،" ردّ، دون أن يتوقف حتى تحطمت القلادة.

الطريقة التي قال بها (كانت) أرعبتني.

كانت.

أنا كنتُ.

أشياء أتت، أشياء أبداً لم تبقَ سليمة.

رفع الأطلال المحطمة وتفحصها، شعرتُ بدفعة من الانتصار لأن الأحجار واللؤلؤة ظلوا سالمين. بالطبع لن يُصابوا بشيء. لابد أنه ظهر على وجهي لأنه أمسك بعنقي وعصره بشدة لدرجة أنني أصبحتُ ألهث مطالبة بالهواء.

"هل أحببتِ والدتك؟" سألني، وهو يتركني أخيراً.

انحنيتُ محاولة التنفس. "أنا لم أحصل على فرصة للتعرف عليها."

سار داميان إلى السور ومدّ القلادة فوق المياه. شاهدته، لازلتُ على ركبتيّ، بينما تطفو القلادة في الرياح. علمتُ ما كان سيفعله، لكنني لم أستطع النظر بعيداً.

"من الرماد إلى الرماد....،" قال وهو يلقي بها في المحيط.

شعرتُ كأنه ألقى قطعة مني هناك، كأنه أهان الحب الذي تشاركه والداي. الذكريات التي صنعاها، أحجار الأليكساندريت ذات قوس القزح، وأنا، لؤلؤتهما الوردية. لقد دمر داميان كاباليرو ما تبقى من عالمنا الزجاجي الجميل.
لم أستطع البكاء، كنت مرهقة للغاية. تزحف روحي عبر أنفاق من أوراق الصنفرة، تسلخ حية.
انزع مني حريتي، انزع مني شعري، انزع مني كرامتي وذاتي وكل شيء أمتلكه، وأقدّره، وأعزه.
أتمدد هناك أنظر لأعلى حيث السماء، أنظر للشمس التي كنت أتوق إليها، ولا أهتم.
لم أهتم عندما أجبرني داميان على الوقوف ودفعني مجدداً أسفل الدرج، لم أهتم بشأن عدّ النوافذ أو معرفة أماكن المخارج. لم أهتم عندما حبسني أو عندما ارتفع صوت المحرك، يأخذنا بعيداً أكثر عن موطني، أبي، حياتي.
كل ما عرفته وأنا أرقد على السرير، أشاهد الغيوم البيضاء تتحول لأشكال غريبة، من خلال المزلاج، هو أنه إن سنحت لي الفرصة، لن أتردد لحظة واحدة قبل قتل داميان كاباليرو.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الرابع :::

كانِ الجو مُظلماً عندما أتى داميان مجدداً.
كنت أحلم بالكعك المُحلى بكريمة زهرية اللون والـ(بينياتا*) واستيبان.
المسها مجدداً وسوف أراك في الجحيم، كان قد قال وهُم يسحبونه بعيداً.
لقد كان حامياً لي لكن لا يوجد حماية لي من ذلك الرجل الذي وقف في المدخل الآن.
حدّد الضوء القادم من الرواق هيئته مُرسلاً ظلاً شريراً على سريري. أردت الاختباء في مكان ما لا يستطيع الوصول إليّ فيه.
وضع داميان صينية على السرير وجذب كرسياً، لقد ترك الضوء مغلقاً لكنني شممت رائحة طعام. لقد جلب لي طعاماً.
تقدمت من الصينية بحذر متفادية النظر بعينيّ، متذكرة ما حدث آخر مرة تحديته، ولسوف

---

*مجسم أو دمية بأشكال متعددة محشوة بالحلوى أو الألعاب أو كليهما يتم كسرها كتقليد ضمن احتفالات عديدة، ونشأت أصولها في المكسيك

أكون فتاة جيدة. سأكون فتاة جيدة مشروطة.
بالكاد أستطيع احتواء وخزات الجوع التي تدور بمعدتي على شكل انقباضات شديدة قصيرة لكنني أجبرت نفسي على البطء والتريّث.. أن أتصرف بحضارية وألا أدفن وجهي في الصحن كما أردت أن أفعل.
كان نوعاً من السمك مشوياً ببساطة مع الأرز على الجانب. يا إلهي، رائحته جيدة. لم أجد هناك أدوات المائدة وهو ما كان جيداً لأن كل ما أردت فعله هو تمزيقها لكنني علمت أنه يراقب لذا قطعت جزءاً بأصابعي، ليختلط الزيت وسوائل الطبخ مع الأرز.
"ليس بهذه السرعة" قال.
أوه يا إلهي، ليس مجدداً. أرجوك فقط دعني آكل!
تساءلت ما الذي سيفعله إذا لعقت أصابعي.
أستطيع تذوق السمك بشدة.
"قفي" أمر.
ابتلعت الغصة الجافة في حلقي، الغصة التي أرادت الصراخ والبكاء والأنين والتوسّل. ابتلعت الغصة الخالية من المذاق.. الخالية من السمك، ثم وقفت.
"اخلعي ملابسك" قال من بين الظلال.
لقد كنت أتوقع هذا، عاجلا أم آجلا، بطريقة أو بأخرى.. يعود الأمر دائماً لفحولتهم ولرغباتهم.
لأن أمي لم تحبني.
لأن والدي يضربني.
لأن مُدرسي تلاعب بي.
لأنهم كانوا يتنمروا عليّ.
لأن زوجتي تركتني.
لأني أطفالي لا يتكلمون معي.
لهذا أشرب.
أقامر.
لا أستطيع التوقف عن الأكل.
أنا مدمن على الجنس.
أؤذي نفسي.
أقلع رموشي.
أتعاطى المخدرات.

لكنه دائماً لا يكفي، تعلمون؟ وفي بعض الأحيان يتزايد الأمر عن حدّه لأنك لا تستطيع السيطرة عليه، لأنك تحتاج أن تجعل الآخرين يشعرون بألمك، وجعك، غضبك، لأنه أمر صعب أن تسير مُحطماً هكذا في عالم مليء باللوحات المشرقة وإعلانات معجون الأسنان الساطعة اللامعة والناس السعداء المتألقين.
الحياة ليست عادلة دائماً.
لم آبه لأي تصنيف ينتمي داميان، في بعض الأحيان يكون السبب.. لأنني فقط شرير صرف، تعلمون؟ أبقيت تفكيري على الجائزة وأنا أفك أزرار قميصي. ربما بدا كما لو أنني أنظر إلى الأرض لكنني كنتُ آكل الأرز والسمك بعينيّ، رائعة الأشياء التي يمكنك فعلها وأنتَ بوضعية غريزة البقاء. خلعت بنطالي ووقفت أمامه بملابسي الداخلية المختارة من (آيجنت بروفوكاتور-ميدنايت كابتيف كولكشن).
"اخلعيها كلها" قال مُشدداً على الكلمة وكأنني غير قادرة على فهم أمر بسيط.

فككتُ حمالات صدريتي الدانتيل نوع (34سي بلاك فيشنت لايس) وأخرجتُ نفسي من القطعة المماثلة من ملابسي الداخلية ثم وقفت أمام داميان. عارية.
تحرك في كرسيه. "اشعلي الضوء."
سمك. فكري بالسمك، أخبرت نفسي وأنا أبحث لأجد المفتاح الكهربي.
"أعلى، نحو اليمين" قال.
اهتزت أصابعي وأنا أضغط عليه.
"فتاة جيدة، الآن سيري نحوي."
وكأنه يقوم بإخراج فيلماً إباحياً بحق السماء!
أبقيتُ نظراتي لأسفل إلى أن وصلتُ إلى كرسيه، إلى أن أصبحت أنظر إلى حذائه القبيح. رباه كم أكره هذا الحذاء! كم أكره الأربطة والجلد والنعل وكل غرزة وحيدة شكلتهم وجمعتهم معاً. أكرههم لأنه أخذ حذائي الذهبي الجميل والآن أنا حافية القدمين وضعيفة وعارية وجائعة ومتألمة والحال كان السمك مقابل الجنس. لذا تباً له ولحذائه ولألعابه الدنيئة

المعتوهة و....
"استدِيري" قال.
نظرت إليه حينها متوقعة الرغبة والشهوة لكنه كان يتحقق من جسدي بموضوعية وحيادية أغضبتني. أنا معتادة على تحديق الرجال بي ورغبتهم بي. لم يكن جسدي مثالياً لكنني أمتلك كل إنش به، إنه قوتي، سلاحي، تذكرتي للملاهي الحصرية والصفوف الأولى في عروض الأزياء وعلاج السجادة الحمراء. قام الشباب بأشياء لأجلي، قامت الفتيات بأشياء لأجلي، وهذا يهم لأنه كان لأجلي.. ليس لأجل اسمي أو الشهرة أو الثروة أو سلسلة الفنادق التي يمتلكها والدي. كان لدي جسد جيد ولم أكن خجلة أن أتباهى به. لم أتلاعب بأحد لكنني لم أعارض استخدامه.
والآن كان داميان يأخذ ذلك أيضاً مني. يجردني تماماً حتى أعضاء الجسد ثم يتفحصني.. ذراعيّ، ساقيّ، ظهري، قدميّ... ليس أنا المرأة، لكن أنا سجينته.. مجموعة من الأجزاء المنفصلة المتحركة، لم يكن هنالك شيئاً حسّياً بشأن اطلاعه وقد كرهت ذلك لأنه تركني أكثر عجزاً حتى. وقفت وظهري إليه أحسّ بعينيه على جلدي متسائلة إذا كان سيبقى أي أثر للطعام إن لعقت أصابعي الآن.
شعرت بالهواء يتحرك حولي، كان يقف الآن خلفي، أنفاسه تلفح كتفي.
"رائحتكِ نتنة" قال. "اذهبي للحمام".
حمام. صابون ومياه. تأجيل تنفيذ من داميان.
لقد قمت بعمل جيد!
انتظرني أيها السمك. نظرتُ بتوقٍ إلى الصحن قبل التوجه نحو الحمام.
الحوض كان صغيراً بمساحة بالكاد موجودة للحركة لكن المياه الدافئة كانت كالجنة رغم أنها لسعت جلدي حيث التورم والجروح.
بدأت بغسل شعري وأمسكت بالصابون لأنه لفترة نسيت أن خصلات شعري الطويلة رحلت، بالكاد انتهيت من غسل جسدي عندما فتح الباب بقوة وأغلق داميان الصنبور.

"هذا ليس منتجعاً لعيناً! إنه قارب بخزان للمياه. سوف تبلين جيداً في تذكر هذا."
فرد منشفة، بالية لكن نظيفة. لمحتُ انعكاسي وهو يرافقني للغرفة وأجفلتني الفتاة ذات الشعر الغريب مجدداً.
قفز الحياء من النافذة، وأنا أجفف نفسي أمام داميان وأبحث حولي عن ملابسي ففتح خزانة وبدأ بإلقاء حقائب تسوق على السرير. كلها كانت لي، من كايت سبايد، مايسيز، أول سانتز، سيفورا، زارا. لم يكن الأمر أنني احتجت للعمل كي أقتات لقمة عيشي لكني تخرجت بشهادة في الفنون الجميلة وكنت بصدد الشروع في عمل استشارات الأزياء. أخبرت نفسي أنه بغرض الأبحاث فكنت أذهب في جولات للتسوق وأترك كل شيء بسيارتي لأيام وأحياناً لأسابيع.
اللعنة!
الطريقة الوحيدة لحصوله على هذه هي بعودته للسيارة، وإذا عاد للسيارة فهنالك احتمال كبير أنه تخلص منها أو حرّكها. بكل الأحوال أنا منتهية. أثر فتات الخبز الذي كنتُ آمل أن يتبعه والدي بدأ في الاختفاء. أملي الوحيد الآن هو أن يكون موقف السيارات الذي اختطفت فيه قد التقط شيئاً ما على كاميرات المراقبة. طوله، وزنه، وجهه... أي شيء قد يساعد في التحقيق.
مهما كان أنا أعلم أن أبي لن يستسلم، والآن في هذا الوقت هذا هو ما أحتاج فعله. ألا أستسلم!
بدأت بإخراج ما في الحقائب، تنورة قصيرة غبية، فستان رقيق شفاف غبي، خاتم ضخم غال غبي! رباه كيف يمكن أن أملأ حقائباً كثيرة بكل هذا الهراء؟! سيتحتم عليّ غسل وارتداء نفس الملابس الداخلية.
كنت لازلت أفرز ما بداخل الحقائب عندما بدأ داميان بحشو كل شيء مجدداً في الخزانة، كان هناك سروال يوجا أسود (نعم!) وثونج أبيض رقيق (لا!) على السرير. جذب تي-شيرت قبيحاً ورماه عليّ وبحكم الحجم.. كان خاصته.
"ألق المنشفة" أمر داميان.
كما قلتُ، يعود الأمر دائماً لفحولتهم ورغباتهم.

خاصة الآن بعدما تخلصتُ من رائحتي النتنة.
أغلقتُ عينيّ متوقعة سماع صوت بنطاله يرتطم بالأرض، لكنه لم يحدث. بدلا من ذلك، شعرت به يدهن شيئاً ما على خط شعري.. رائحته طبية ويلسع كالجحيم، خاصة بعدما نزع البصيلات.
فعل المثل حول أذنيّ ثم دَهَنَ مرهماً على ظهري.. على كل الشقوق والجروح والتورمات التي لاحظها عندما تفحصها.
فهمتُ ما كان يفعل، يكافئني على تصرفي الجيد بالعطف ومواساة الجراح التي سببها لي.
كان من المفترض أن أشعر بالامتنان والاستقلال، أن أزيد الأواصر بيني وبينه بسبب رحماته الصغيرة، لكن ذلك الشيء بشأن متلازمة ستوكهولم*؟ أجل، أنا حقاً لم أكن أشعر به.

إذا وجدتُ أين ألقى حذائي ذا الكعب الحاد.. سوف أثقب قلبه الأسود وأثبته بسارية قاربه اللعين.
مُت، داهـ - ميـ - يَان. مُت!
"يمكنكِ تدبّر أمر البقية بمفردكِ" قال مُلقياً بأنبوب المرهم على السرير.
رحل تاركاً الباب مفتوحاً واستطعتُ سماعه يغسل أسنانه.
تباً للمرهم! قفزتُ على الصحن البارد الآن من السمك والأرز، والسمك لم يخذلني فقد كان أكثر شيئاً لذيذاً تذوقته حتى بكيتُ وأنا آكله.
أمسكتُ بالأرز بأصابعي وأغمضتُ عينيّ ملتهمة خيراته النشوية الشهية، كانت مجسّات تذوقي تنفجر بسبب مجرد أرز أبيض لعين.
أجل. أجل. أجل. المزيد!
لعقتُ الصحن حتى أصبح نظيفاً. لا، فعلاً. لقد لعقتُ الصحن حتى أصبح نظيفاً ثم فعلتها مرة ثانية فقط حتى أتأكد جيداً. لم يكن لدي

ظاهرة نفسية تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو مَن أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المُختطِف

علماً متى ستكون وجبتي التالية أو ماذا يتوجب عليّ أن أفعل لأحصل عليها. ارتديت الملابس التي تركها داميان لي، أستنشق رائحته في قميصه.
كدت أن أتقيأ السمك، ليس لأنها رائحة سيئة. إنها فقط بدائية صريحة -شمسٌ وبحرٌ وعَرَق- الرائحة التي لا كمية من المنظفات يمكن أن تزيلها.
تلصصتُ خلال المدخل، كان داميان لايزال في الحمام لذا بدأت بالبحث خلال الخزائن: قماشات كتان، منشفات، عدة المطر، أشياء الغوص.
كنت قد قاربت على الانتهاء عندما خطوت على شيء دائري وصلب، رافعة قدمي.. وجدت حبة فول سوداني محمصة ملتصقة بنعلي، وهناك المزيد منهم على الأرض وقد بدا كأنهم تدحرجوا من قرطاس ورقي مُهمَل، الذي كان يلتهمه داميان سابقاً.
جلستُ على الكرسي الذي كان يجلس عليه وألقيتُ بواحدة في فمي.
كرانش، كرانش، كرا... توقفتُ حين دخل الغرفة، بدا كما لو كان قد استحم للتو، شعره مصفف للخلف وقد غيّر ملابسه لبنطال رماديّ مُريح وتي-شيرت أبيض. ضاقت عيناه حين رآني.
"أعاني حساسية من الفول السوداني قد تعرض حياتي للخطر وقد أكلت للتو مجموعة كبيرة" قلت. "إذا لم أحصل على العناية الطبية اللازمة حالا سأموت."
نظر إليّ للحظة قبل أن يفتح إحدى الخزائن التي لم أكن قد وصلت إليها بعد.
أجل! ربما لديه هاتف لاسلكي أو جهاز اتصال أو أياً كان ما يستخدمه القارب للتواصل.
جذب علبة وجلس على السرير، ثم فتح الغطاء وبدأ يرطب قدميه بالمرطب.
إنه يرطب قدمه اللعينة!
"هل سمعتني؟" صحت. "سوف أموت." بدأتُ آخذ أنفاساً عميقة.
أخذ كامل وقته، أولاً قدم واحدة ثم الأخرى كأنه أكثر عمل مهم في العالم ثم ارتدى جواربه وأغلق العلبة.

"إذاً موتي."
لقد كرهته بشدة، إنه لا يريد المال، لا يريد الجنس، لا يُبالي إن كنتُ حية أم ميتة. لا يخبرني أين نذهب، لا يخبرني لماذا، والآن يكتشف خدعتي أيضاً.
"ماذا تريد؟!" صرخت.
كنتُ آسفة في اللحظة التي نطقت بها ذلك، تحرك بسرعة.. سرعة البرق، قبل أن أستطيع الاعتذار كان كمم فمي وقيّدني جيداً بالسرير.
ثم أغلق الضوء وأتى للسرير، لم يكن الوغد حتى يلهث!
لا أعرف أيهم الأسوأ.. ذراعاي الممددتان بألم فوق رأسي، جوانب شفتيّ التي تدمي من الكمامة، أم معرفتي أن هذا هو كيف سيكون الحال. غرفة واحدة،
سرير واحد،
خاطفي ينام بجانبي، ليلة بعد ليلة.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الخامس :::

استيقظتُ مُتيبسة ومتألمة، داميان قد ذهب وأنا مازلتُ مقيدة بالسرير. وقد أخذ وقته في العودة إليّ حتى شعرت بدفعة من الارتياح عندما رأيته واقفاً هناك ومعه الصينية التي أصبحت مألوفة لديّ الآن.

حضرت مرة سابقاً ورشة عمل روحانية التي علمتني أن أشهد اللحظة، لا أن أحلل أو أرجع الأسباب أو أفكر بشأن الـ(متى) أو الـ(لماذا) أو الـ(كيف). كانت في الواقع مجرد عُذر للتسكع مع مجموعة من الفتيات لنحصل على تدليك الأيورفيدا والتذمر والشكوى بينما نحتسي العصير الأخضر. وتفرق أصدقائي منذ زمن لكن هذا هو الحال عندما ترتبط بأحدث النزعات والأماكن الصاخبة، وقتها تتغير الأشياء وتختلف. وبعد مامالو وإستيبان أغلقتُ نفسي تقريباً فأصبح الأمر يقتصر عليّ أنا وأبي لوقت طويل. كان نيك احتمالية وحقيقة أنه انسجم جيداً مع والدي كانت واحدة من الأسباب في أنه صمد مدة أطول من الرجال الذين

واعدتهم، أحببتُ لرجليّ أن يتفقا سوياً، فتخيلتهما الاثنين يُبرحان داميان ضرباً وهذا أسعدني. أحببتُ أن أشهد شعور السعادة أكثر من الاعتراف بردّ فعلي لـ داميان. لقد بدأت أربطه بالطعام والحمام والراحة من الألم الذي يسببه قيدي.

كان الإفطار كمادة لزجة غريبة. لديّ إحساس أنه بدأ على أنه الشوفان لكن تم خلطه ببروتين على شكل بودرة أو بياض البيض أو شيء ما يعادلهما في سوء المذاق. كان يمكنه أيضاً أن يضيف الكبد والبصل لذلك الشيء ومازلت سأنهيه، شعرت كأن ذراعيّ سيقعان من محجريهما بسبب تقييدهما طوال الليل، لكنني استحققت ملعقة معدنية. وكان هنالك تفاحة ومياه.

نظرت لأعلى لأجد داميان يراقبني، بعينيه ظلّ غريب لكنه أغمض عينيه فأخفاه. حالما انتهيت سمح لي باستخدام الحمام وقد وضع فرشاة أسنان لي ومشط.. إن الأشياء بدأت في التحسن.

لم أهتم بشعري وحاولت تجنب النظر إليه، راقبني داميان طوال الوقت. ثم تبعته مجدداً إلى الغرفة كفتاة جيدة وتركته يحبسني بها.. حتى أنني ابتسمت وهو يغلق الباب عليّ.

ثم وقعت على السرير وأطلقت نفساً عميقاً، الشك يقتلني فقد كنت جهزت نفسي لمشادّة مؤلمة ودورة أخرى من الإذلال والإهانة قبل أن أستحق امتيازاتي. كنت أحمل الإمكانية، ثقيلة وحادة، على كتفيّ ورقبتي. لكن فعل داميان الغير متوقع وذلك بحد ذاته أسوأ من الأمر المُخطط لأن الآن أنا في حالة من الحذر الدائم، أخشى مما قد يحدث وأخشى عندما لا يحدث!

كيف نقتله، إستيبان؟ أغلقتُ عينيّ وتذكرتنا نحن الاثنين نخطط في غرفتي، كنت في الثامنة من عمري أي أصغر منه بأربع سنوات لكن أساويه في التدبير والتخطيط بكل مغامراتنا.

******

منح سؤالي مهلة جيدة من التفكير قبل أن يجيب، أحببت الطريقة التي يلوي بها شعره

عندما يكون غارقاً في التفكير، كان شعره طويلاً وداكناً وعندما أطلق سراحه ترك تجعيدة صغيرة عليه. كانت دائماً مامالو تلاحقه كي يقصه وفي المرات التي نجحت بها.. كان يأتي للمنزل بلا مكان يُخفي به وجهه.

"لا أظن أننا يجب أن نقتله،" قال. "فقط نعطيه درساً جيداً."

جيديون بينيديكت سانت جون (يُنطَق سين جين)، المعروف سابقاً باسم جيديوت -أي الغبي- بواسطة إستيبان وأنا، وقد كان مصدر أذى لي. كان في العاشرة لكن أكبر حجماً منا نحن الاثنين مجتمعين وعندما يقرصني... كان يترك تورماً أزرقاً كبيراً على فخذي.

"إستيبان؟" ابتسمت ابتسامة زائفة في المرآة. "هلا تصنع سناً لأجلي؟"

تمدد على سرير يطوي ثم يفرد ورقة أمامه محاولا فهم كيفية تحويلها لزرافة.

"تريدين سناً ورقياً لتخفي الفراغ بين أسنانك؟" سأل.

أومأتُ وعدتُ مجدداً لتفحص أسناني بالمرآة.

"إنه فقط سيجد طريقة أخرى يغيظك بها، جويريتا." كان يناديني جويريتا. أي شقراء.

"ثم كيف ستثبتينها هناك؟"

"اصنعها من الورق المقوى وسألصقها من الخلف."

فتحت فمي وأشرتُ إلى المكان الذي اخترته. كلانا قفز حين فتحَ الباب ودخلت مامالو.

"إستيبان! من المفترض أن تكون بالمدرسة."

"ذاهب!" صاح عندما صفعته، كانت مامالو تضربه كثيراً، لكن كما لو كانت تضرب ذبابة بدافع التوتر والإحباط. وإستيبان كان يُضرَب كثيراً لأنه يسيء التصرف كثيراً، أسند زرافة نصف منتهية على حافة النافذة ثم خرج من النافذة متسلقاً الشجرة لأسفل ففتحت مامالو لوح الزجاج وراقبته بينما يجري عبر الحديقة.

"كم مرة أخبرتكِ ألا تدعيه يدخل؟ إذا اكتشف سينيور سيدجويك...."

"لن يفعل" قلت.

"ليس هذا هو الأمر، سيليتو ليندو." أمسكت

بالفُرشاة وبدأت تُمشط شعري. "أنتِ وإستيبان...."
هزت رأسها. "أنتما الاثنان سوف تضعاني بمشكلة بيوم ما."
"هل يمكنكِ أن تصففي شعري مثل شعركِ؟" سألت.
كانت تمتلك شعراً داكناً كثيفاً تضفره وتطويه في كعكة. دوماً أردتُ أن أزحف إلى حرف الـ(U) الذي يشكله شعرها عند مؤخرة عنقها لأنه بدا كما لو كان أرجوحة صغيرة.
"هذا شعر سيدة كبيرة" ردّت، لكنها قسّمت شعري لضفيرتين جانبيتين وجمعتهما في الخلف تاركة بقية شعري الأشقر الشاحب حراً.
"جميلة للغاية" قالت. ثم أمسكت بوردة حمراء صغيرة من شعرها ووضعتها عند شعري.
"جيديوت يقول أنني ساحرة لأن الساحرات يمتلكن فراغات بين أسنانهن."
"اسمه جيديون،" وبخت. "وعندما خلقكِ الرب، ترك ذلك الفراغ حتى يستطيع حبكِ الحقيقي أن يُمرر قلبه عبره عندما يجدكِ".

كانت مامالو مليئة بالقصص، وأن هناك حكاية خلف كل شيء.
"إذاً كيف استطاع والد إستيبان أن يمنحكِ قلبه؟ أنتِ لا تملكين فراغاً بين أسنانكِ."
كان والدِ إستيبان صياداً جيداً، مات في البحر عندما كانت مامالو حاملاً لكنها أخبرتنا بكل مغامراته.. عن السحر والوحوش والحوريات في البحرِ.
"حسنٌ، ربما لم يُعطني قلبه يوماً." ابتسمت وقرصتني في أنفي. "اجري الآن، إن السيدة إدموندز بالفعل هنا."
"هل جيديوت هناك أيضاً؟"
رفضت مامالو الإجابة، فجلبتُ حقيبتي المدرسية وذهبت للأسفل. تجمع الكل بالفعل حول طاولة الطعام. المكان الوحيد المتبقي كان بجانب جيديوت لأن لا أحد يرغب بالجلوس بجانبه.
"جيد، الجميع هنا الآن. جاهزين للبدء؟" سألت مس إدموندز.
داس جيديوت على قدمي تحت الطاولة فأجفلت

وأنا أفتح كتابي.
"كل شيء بخير، سكاي؟" سألت مس إدموندز.
أومأت ومنحتها ابتسامة صغيرة، لم أكن ناقلة أسرار لكني عرفت أنني عالقة مع نهار طويل.
ثلاث مرات بالأسبوع، تأتي السيدة إدموندز من المدينة إلى (كاسا بالوما)، ورثت والدتي كاسا بالوما كهدية زفاف من والدها. كاسا بالوما عبارة عن مبنى رائع أسباني القالب والمحتوى يقع على مشارف قرية صيد تدعى (بازا ديل مار).
وهناك مدرسة صغيرة في بازا ديل مار حيث يبعث المحليون بأبنائهم لكن فضل المغتربون تعليماً خاصاً لأبنائهم، ولهذا تجمعنا في منزلي الذي يُعدّ الأكبر بين البقية.
كنا نتعلم عن تعرية التربة والانهيارات الأرضية والزلازل عندما شدّ جيديوت ضفيرتي بقوة حتى وقعت الوردة الحمراء التي وضعتها مامالو على الأرض. رمشتُ بعينيّ عدة مرات رافضة أن أبكي وركزت على الجداول في كتابي، تمنيت أن يقع جيديوت من على الخطوط الخطأ وإلى المركز الملتهب للكرة الأرضية.
"آه!" نبح جيديوت وهو يمسد رجله.
"ما الخطب؟" سألت مس إدموندز.
"أظن شيئاً عضني".
أومأت مس إدموندز وأكملنا. الحشرات شيء عام. لا أمر خطير.
"آه!" قفز جيديون. "أقسم أن هناك شيء تحت الطاولة."
نظرت مس إدموندز بسرعة. "أيشعر أحد آخر بشيء؟"
الكل هزّ رأسه نفياً. فاتجهت عيناي إلى الصندوق الكبير الأثري خلف مس إدموندز. في الأسفل وجدت بابين صغيرين النقوش عليهما كانت ابتكار بحد ذاته، لكنهما كما اكتشفت واستيبان بنهار ما... كانا يشكلان عيوناً سحرية مثالية إذا كنت تختبيء بالداخل.
ابتسمت وأنا أعلم أن إستيبان عاد من الحديقة، كان يكره المدرسة لذا يختبيء في الصندوق الكبير في الأيام التي تأتي بها السيدة إدموندز،

بتلك الطريقة يصبح لديه شيئاً يقوله لـ مامالو عندما تسأله ماذا يتعلم في الفصل.
أخرج إستيبان إصبعه من الخشب ولوّح لي بطريقة مصغرة، ثم أخرج من الفتحة ماصة أو ربما هي واحدة من ابتكاراته الورقية وبالثانية الأخرى كان جيديوت يقفز حول الطاولة على قدم واحدة وهو يمسد ساقه الأخرى.
"آه، آه، آه، آه!"
"جيديون!" السيدة إدموندز لم تكن تشعر بالتسلية. "أنتَ تشتت الجميع. انتظر بالخارج حتى ينتهي البقية من درس اليوم."
أمسكت بحبة برتقالية اللون من على الأرض بينما يغادر جيديوت، كان هناك عدة حبوب تحت الطاولة. كان إستيبان يضرب جيديوت بالحبوب البرتقالية من خلال ماصة (شاليمو)، استطعت رؤية العلامات الحمراء على ساق جيديوت وهو يغادر فنظرت لمكان إستيبان لأجد يرفع إبهامه علامة النصر.
****

ضحكتُ على خيال إبهامه المقوس خارجاً من تلك الخزانة القديمة الخشبية، كنت لا أزال أضحك عندما سمعتُ صوت المُفتاح بالباب.
داميان قد عاد. وهذه المرة بلا صينية.
"حان وقت استحقاقك لطعامك." قال.
أومأت وتبعته، أنا أقضي كل وقتي في الغرفة لكن الآن وقفنا في المساحة على شكل (U) وتعد مظبخاً مصنوعاً من خشب الماهوجني والساج والمكان مُصمم لاستيعاب زوجاً من المقاعد. كان هناك حوض وثلاجة وموقد بمشعلين وفرن مايكروويف. كل الأدراج مغلقة لكن هناك لوح تقطيع، بعض البطاطا وسكين جزار كبيرة على سطح المنضدة.
"أحتاج لهؤلاء مقشرين ومقطعين" قال داميان.
وسوف يتركني أستعمل السكين؟ الرجل شجاع!
"بالتأكيد." كنتُ بالفعل أفكر بأي طريقة سأقطعهم.
بدأتُ بغسل البطاطا لكن اضطررتُ للإمساك بالحوض لثانية، رأسي مازال يؤلمني وشعرت

بساقيّ ضعيفتين، كانت عيوني مازالت مغلقة عندما أمسك داميان بكفي الأيسر وأجبرني على فرد راحة يدي على لوح التقطيع ثم... واه! لقد قطع رأس إصبعي الخنصر، قطع الجزء الثالث -بالإظفر والعظام وكل شيء- كله تماماً وكأنه جزرة يقوم بتقطيعها للسلطة. حل الألم بعد عدة ثوان، بعدما بدأ الدم بالنزيف على السطح بأكمله.

صرختُ من الألم، من الذعر لرؤيتي رأس إصبعي يجلس هناك.. ميت بلا حركة وكأنه نسخة زائفة من ألعاب الهالووين البلاستيكية. أغلقت عينيّ وصرخت بصوت أعلى عندما ضغط داميان ليوقف النزيف، استندت على شيء -شيء صلب وقاس- ثم انزلقت ببطء حتى أصبحت على الأرض.

حاولت جذب إصبعي بعيداً لكن داميان تمسّك به، مبقياً إياه مرتفعاً يلفه بشيء ما.. يفعل ما يعلمه الله وكل ما استطعت فعله هو الصراخ والصراخ والصراخ لأن كل شيء يفعله يجعله أسوأ بعشر مرات. صرختُ حتى استقر النشيج، حتى تكورت بشدة على نفسي، حتى توقفت الدموع وكل الذي استطعتُ فعله هو الأنين الناعم بلا صوت.

عندما فتحت عينيّ، كان داميان يحمل هاتفاً موجهاً فوقي تماماً.

"هل حصلت على ذلك؟" سأل الرجل على الخط الآخر. "جيد." سار للناحية الأخرى من المنضدة. "ارسل التسجيل الصوتي لـ وارن سيدجويك، أخبره أن ذلك ما بدا صوتها عليه عندما مزقت جسدها أشلاءً."

رفع إصبعي الميت ووضعه في حافظة ثم رماه في المُبرد. "وأخبره أن يتوقع تذكاراً في البريد. إنه القطعة الوحيدة التي سيحصل عليها منها لأن البقية مبعثرين في المكان بأكمله."

استطعت سماع صوتاً خافتاً من الشخص الآخر.

"أعلم أنني فعلتها من قبل." بدا داميان عصبياً. "هذا كان مختلفاً. لقد تجمدت، اللعنة! لقد بدأت بالصلاة قبل أن أسحب الزناد.

لقد صلّت بحق الجحيم!" ضرب بقبضته أسفل فرنت السكين بصخب على المنضدة.
"لقد أخفقتُ، رافاييل،" أكمل. "أردته في المشرحة، يتعرف على جسد ابنته الميت في عيد ميلادها. أعلم. سأتدبر أمراً ما." توقف وتغلل شعره بأصابعه. "أنا لا أهتم بذلك، يمكنه أن يستخدم كل صائدي المكافآت اللعينين بهذا العالم. أنا فقط أريده أن يشعر بذلك، أريده أن يعاني. على قدر ما يعلم وارن سيدجويك، فإن ابنته ميتة." استدار وثبّت نظراته عليّ.
"ومَن يعلم؟ خلال 21 يوماً.. ربما ستكون."
أغلق الهاتف ومسح الدماء عن نصل السكين ثم سكب كوباً من عصير البرتقال وأمسكه أمام شفتيّ. رشفت منه ببطء لأن أسناني كانت تصطك، شعرتُ أنني ساخنة وباردة ودائخة وغارقة بعرقي، كانت لاتزال الدماء تقطر من المنضدة على الأرض.
"لِمَ لا تقتلني فقط؟" سألته عندما أنهيتُ العصير. إنه ليس خطفاً عشوائياً. إنه عملية قتل تحولت إلى خطف. لحظة من الضعف. هجوم شخصي هدفه والدي. "ماذا يحدث خلال 21 يوماً؟"
لم يرد داميان. أنهى تنظيف فوضى الدماء في المطبخ قبل أن يتفحص إصبعي، بعض اللون الزهري ظهر خلال الضمادة وقد كان إصبعي ينبض كالجحيم لكن داميان بدا راضياً.
تركني على الأرض مستندة على الخزانة وبدأ يقطع البطاطا.
"لحم اللانشون وسلطة البطاطا للغداء؟"

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل السادس :::

أحسّ داميان أن شيئاً قد كُسر داخلي، أو ربما شعر بلمسة ندم طفيفة بسببِ ما فعله، أياً يكن السبب فهو لم يعد يقيّدني ليلاً، رغم أنه لايزال يغلق الباب ويُبقي المفتاح معه بينما ننام. عندما أستيقظ أجد الباب دائماً مفتوحاً، يترك لي شيئاً لآكله على نفس المنضدة حيث قطع إصبعي ورغم عدم رؤية السكين بأي مكان، تهديدها وحده إستقر عميقاً في عقلي.
أصبحت حرة للتجول على القارب كما أرغب، لكنني قضيت وقتي مكورة على الأريكة بعيداً عن المطبخ، بينما بقي داميان فوق بمركزِ القيادة لأغلب الوقت. شخصان مجبران على القرب، بمرور يوم وحلول آخر، يستطيعان التواصل معاً أضعافاً دون كلمة واحدة. يذكرني هو بالألم والعتمة والإصبع ذا الشاش المزدوج، ولابد أنني أذكره بثأر لم يكتمل وبالوحش الكامن داخله، لأن كلينا يتجنب الآخر تماماً، عدا في الأوقات حين يتوجب علينا الأكل أو النوم.

لم أسأله ماذا فعل أبي، أياً كان ما يحمله داميان ضدّه من أمور سيئة لابد أنها كذبة أو سوء فهم. إن وارن سيدجويك أكثر الأشخاص طيبة وأكرمهم روحاً في العالم، إنه يستخدم اتصالاته الفندقية ليبني السدود والآبار ومضخات المياه للناس في أكثر المناطق بُعداً بالعالم، أماكن لا يهتم بها أحد. لقد منح قروضاً عدة للمشاريع الصغيرة وموّل الكثير من المدارس وبنوك الطعام والمعونات الطبية. بل وتظاهر ضد الظلم، يعامل موظفيه باحترام وكرامة، ودائماً.. دائماً كان يقوم بصناعة الفطائر المحلاة لابنته في يوم الأحد.

عندما وصلتُ وأبي إلى سان دييجو لأول مرة، كان يصنع الفطائر على شكل ميكي ماوس ومعها السكر المطحون والكثير من العسل، ثم تحولوا إلى أشكال قلوب وأمور الأميرات، وحين ظننت أنني كبرت وأصبحت ناضجة، رفض أن أنتقل لأعيش بعيداً عنه وتمسّك بتلك التقاليد. مؤخراً، كان قد بدأ بصنعها على أشكال من أحذيتي وحقائبي، كُتل كبيرة من العجين غير محددة المعالم لكنه أصرّ أنني يجب أن أنظر إليها من عدة زوايا لأقدّرها. وكذلك تغيّرت الإضافات مع اختلاف أذواقي، الموز مع النوتيلا، التوت الطازج مع السكر البني والقرفة، شوكولا داكنة مع قشور البرتقال. كان يمتلك قدرة خارقة على اختراق عقلي، فيجذب كل الأشياء التي أشتهيها ويحولها إلى حقيقة. فكرت الآن في الليمون ممزوجاً بجبن ماسكاربوني الإيطالي، ليس لأنني أرغب بالفطائر المحلاة، لكن فقط كي يشعر به أبي.. اختياري لهذا اليوم، فقط كي يعلم أنني حية.

كانت تتعافى معظم كدماتي، لكن مازال إصبعي مؤلماً أحمر اللون ليذكرني أن جزءاً مني محفوظ في كيس بلاستيكي يتجمد في الثلج بالمُبرّد، أزلت أظافري الأكريليك بالعض والخدش حتى نفذت إلي الخلايا تحته -تسعة أظافر بدلا من عشرة- كلها مشققة ومتصدعة ومغطاة بفتات أبيض قبيح. ظننتُ أنه الوداع

المناسب للرفيق طريح الثلج.
تحيةٍ من تسعة أصابع.
اشتقتُ لإحساس قلادة أمي على بشرتي، اشتقتُ لإظفر إصبعي الصغير. اشتقتُ لشعري، أشعر كأن كل الأجزاء التي تلملمني يزول صمغها ببطء، تتساقط قطعة تلو الأخرى. إنني أختفي، أتفكك كالصخور عندما يتآكلها البحر.
شققتُ طريقي إلى السطح للمرة الأولى منذ شدّني داميان إليه، ذلك اليوم الذي ألقى به قلادتي بالمياه. كنا على يخت متوسط الحجم، قوي كفاية للإبحار عميقاً في المياه لكن غير بارز كفاية كي يتجنب الانتباه. وضعه داميان بحالة القيادة الآلية وكان يجلس الآن على كرسي من النوع المطوي ومعه صنارة في المياه.. مهما يكن ما يصطاده فسوف يكون عشاء الليلة.
استطعت الإحساس بعينيه عليّ وأنا أتقدّم إلى الحافة، تتفرق المياه إلى صفين رغويين بينما نشق طريقنا خلالهما. تساءلت كم يا ترى عمقها وما مدى القوة التي سأقاومها بها قبل أن تغزو رئتيّ تملأهما، فكرتُ في الغرق إلى القاع.. قطعة واحدة، بدلاً من التحطم بشدة.. قطعة صغيرة تلو الأخرى.
سامحني، يا أبي.
سرقتُ لمحة سريعة على داميان، لقد استكان -سكون الموت- وكأنه يعلم بالضبط ما يدور بعقلي، أصبحتُ أعلم حالات (خلجات) جسده الآن.. لقد كان كذلك قبلاً، كل عضلاته مشتدة في حالة حذر وتوتر وحدة، تماماً قبل أن يحصل على شريحة من انتقامه. شعرت بها حينها وأستطيع الشعور بها الآن.
الوغد! لن يتركني أفعلها، سوف يوقفني قبل أن أحرّك قدماً من فوق القارب، إنه يمتلكني.. يمتلك قدري، حياتي، مماتي. لا يحتاج أن يقول كلمة.. وقد كانت هناك واضحة في عينيه، أجبرني على التراجع عن الحافة وأنا أطعت. لم أستطع إيقاف شهقاتي لذا بكيت وبكيت.
بكيت كما بكيت حين كسر جيديون بينيديكت سانت جون قفل قلادتي وتركت

السلسلة علامات على عنقي.
*****
كان إستيبان قد وجدني وبدأ يستعد ليذهب ويركل مؤخرة جيديوت.
"لا تجرؤ." جعلته يعدني. "أنتَ تعلم ما سيحدث إذا وقعت في مشكلة مرة أخرى."
"أنا لا أهتم." أعاد شعره من على جبهته، وهو يكون جدّياً عندما يفعل ذلك.
"أرجوك، إستيبان. سوف ترسلك مامالو بعيداً ولن أراك مجدداً."
"إن مامالو تخادع فقط."
كان ينادي إستيبان والدته بـ مامالو، دائماً كان كذلك.. كانت أمه لكن اسمها ماريا لويزا، لذا بوقت ما بالطريق.. بدأ يتمتم بـ مامالو ولصق بها الاسم، الكل الآن يناديها مامالو، عدا فيكتور ماديرا الذي يعمل لدي والدي، كان يناديها باسمها الكامل ولم يبد أن مامالو يعجبها ذلك.. أو هو.
"قالت مامالو بالمرة التالية التي تتصرف بها خطأ، سوف ترسلك إلى خالك."
"ها!" ضحك إستيبان. "إنها لا تستطيع حتى العيش يوماً بدوني."
كانت تلك الحقيقة، إن مامالو وإستيبان لا ينفصلان، جزء -سريع الشجار، قويّ المحبة- من حياتي. لم أستطع تخيّل أحدهما دون الآخر.
كانا ينامان في جزء منفصل من المبنى، بعيداً عن المنزل الكبير حيث جناح صغير يسكنه الخدم، لكنني كنت لا أزال أستطيع سماعهما في بعض الليالي.. كتلك المرة عندما غاب إستيبان طوال اليوم ولم يعد حتى بعد منتصف الليل. وقتها كانت السنة الأولى لافتتاح السينما في القرية، عرضوا فيلم (الطيب والشرس والقبيح)*، وقد بقي إستيبان لمشاهدته طويلاً.
"إستيباندديدو!" راحت تطارده بعصا المكنسة عندما عاد أخيراً.

فيلم إنتاج 1966 بطولة كلينت إيستوود، لي فان كليف وإيلاي والاك

كان يعلم إستيبان أنه بورطة كبيرة كلما نادته بذلك، وسمعت صراخه يصل حتى غرفتي.
باليوم التالي عاد بعد أعماله الروتينية يبدو ك (بلوندي) -أي الأشقر- شخصية للممثل كلينت إيستوود من الفيلم، يرتدي شال مامالو.. يضيق عينيه مثله ويتلاعب بقشة باقية من شجرة بين شفتيه.
بالعام التالي شاهد إستيبان فيلم (دخول التنين)، وظنّ أنه بروس لي.
"ماذا تفعلين، سكاي؟" سأل.
"أقاتل وأقاتل بشدة." كررت العبارة التي درّبني على قولها، مراراً وتكراراً، لأنها كانت عبارة من أحد الأفلام التي رآها.
"مستعدة؟" قال. "بعد خمسة."
5، 4، 3، 2، 1...
حاولتُ أن أحرر نفسي من قبضته الخانقة، أمسكت بذراعه بيديّ الاثنتين وأكملت الحركة التي علمها لي، محاصرة رجله برجلي لأقوم باستدارة حادة 180 درجة قبل أن أجذبه وأدفعه بعيداً عن جسدي.
انتهينا بنا الحال على العشب، كومة من الأعضاء والأطراف الحادة. ضحكتُ بينما لم يظن إستيبان أنني جيدة كفاية بهذا.
"تحتاجين للتدريب، والانضباط. كيف تتوقعين أن تتغلبي على جيديوت إن كنتِ لا تستطيعين حتى تدبر أمري أنا؟"
ولذا تدربنا، كل يوم.. تحول إستيبان إلى *إستيباندیدو*، رغم أنه أبداً لم يحب لعب دور الشخص السيء.
"فقط لأجل التدريب،" قال. "فقط لأجلك، جويريتا. قومي بها هكذا. وويـــاااااه! مستعدة؟ بعد خمسة."
5، 4، 3، 2، 1...
"لا، لا، لا." هزّ رأسه. "يجب أن تصدري الصوت."
"ووواه!"
"لا، سكاي. كقطة، وويـــاااااه!".
بالمرات القليلة التي استطعتُ بها إلقاء إستيبان على ظهره، لمعت عيناه بالإعجاب.

"لست سيئة جداً لفتاة،" قال.
تمددنا تحت ظل شجرة، ننظر إلى السماء. غطت الأزهار الرقيقة فروع الشجرة، كأشرطة صفراء تتدلى من الأفرع البنية.
"سوف أجلب لك الكعك غداً،".
أومأ ونفخ شعره ليبعده عن وجهه. "اركلي مؤخرته لو حاول فعل أي شيء، حسناً؟"
ضممت أصابعه وابتسمت.
لم يكن إستيبان مدعواً لحفل مولدي أما جيديوت فنعم، وكل الأطفال الآخرين الذين تدرسهم مس إدموندز، كان هناك ساحر ومهرج وعربة مثلجات وبينياتا. امتلأت الحديقة ببالونات فضية ووردية اللون، أطفأت تسع شمعات بينما جنّ والدي بكاميرا التصوير.
"انتظري، لم أسجّل ذلك! مامالو، هل يمكنك إضاءة الشموع من جديد؟ سكاي، أبطأ هذه المرة.." قال.
كان إستيبان جالس على سلم محمول ينظف النافذة، بين الحين والآخر كنت أنظر إليه فيبتسم، استطاع رؤية قطعة الكعك الكبيرة التي خبأتها تحت الطاولة، عليها ثلاث قطع كبيرة من الفراولة.. كانت الفراولة فاكهته المفضلة لكنه نادراً ما كان يأكلها.
الكعكة كانت سرّنا الصغير وجعلتني أشعر كأنه جزء من الاحتفال.
بحلول نهاية الألعاب وحقائب الغنائم، بدأت الكريمة الوردية بالذوبان من فوق كعكة إستيبان، لذا قررت التسلل لأعطيها له.
"إلى أين تذهبين، سكاي؟" تبعني جيديوت.
كنا واقفين بجانب المنزل، معي كعكة إستيبان في يد وكأس عصير الليمون في الأخرى.
"دعني أمرّ،" قلتُ عندما سدّ طريقي.
"هل ستأكلين كل هذا؟" سأل.
"ما شأنك؟"
"لدى سكاي ثقب بين أسنانها وثقب في معدتها أيضاً، إنها ساحرة ببطن خنزير ولا أم!" دفعني للخلف وأنا أحاول المرور فوقعت الكعكة

وتناثرت على الأرض.
ألقيتُ بالعصير في وجهه، ذلك جعله غاضباً أكثر. شدّني من خصري ورفعني من فوق الأرض يهزني كدمية بالية.
"سكاي!" وقف إستيبان أمامنا، يتدفق العرق من وجهه بسبب الشمس. "بعد خمسة."
قمنا بالعد تنازلياً في رءوسنا: 5، 4، 3، 2، 1...
ركلت جيديوت في ركبته فانحنى للأمام، كان ذلك كافياً لإستيبان أن يهاجمه في غفلة منه.
"ووويـــاااااااه!" ارتطمت قبضة إستيبان بوجهه.
تركني جيديوت وترنح للخلف، وضع يده على فمه وبصق سناً. بدا جيديون بينيديكت سانت جون كسيدة عجوز بفجوة في أسنانها ولثة محمرة. ثم أطلق صرخة تم سماعها بوضوح في أنحاء كاسا بالوما.
"إن لم تقدر على الأخذ، فلا تُعط." قال إستيبان. متأكدة أنها عبارة ما من أحد الأفلام التي شاهدها، لم يهم ذلك. لم يمتلك إستيبان الوقت للإيضاح، فقد وجدنا فيكتور ماديرا.
ألقى نظرة واحدة على الموقف ثم جذب إستيبان من ياقته. "أيها الملعون الصغير!".
تلوى إستيبان والتف بينما يسحبه الرجل بعيداً.
"المسها مجدداً وسوف أراك في الجحيم." قال لـ جيديون.
لقد كان يطلق مما حفظه من أحاديث الأفلام، لو لم أكن مرعوبة لأجله.. لكنتُ ضحكتُ.
بدأ الكبار بالتجمع والكل يدور حول جيديوت، ويدعسون على فراولة إستيبان.
هذا ليس عدلاً!
حاولت ملاحقة فيكتور وإستيبان لكنني لم أجدهما، استسلمت وعدت لغرفتي، لأكتشف أن إستيبان مرّ من هنا قبلا.. ربما قبل بدء الحفل، وقد ترك لي هدية على السرير... زرافة ورقية مثالية.
حملتها وذهلتُ من مهارته. عندما كان صغيراً، لم يكن يمتلك العديد من الألعاب لذا علمته مامالو فن الأوريغامي. لم يمتلك المال الكافي لشراء الهدايا الفخمة لي، لذا صنع لي عالماً

كاملاً من الورق.. حيوانات سحرية رائعة رأيناها بالكتب فقط، أو سمعنا عنها في القصص التي ألفتها مامالو: التنانين والأسود والجمال، وشيئاً بدا كالكانغارو لكن لديه قرن بارز من أنفه.
كانغاروسيروس؟
"سكاي؟" دق والدي باب غرفتي. "تريدين إخباري ما حدث مع جيديون؟"
"ليس فعلاً." حملت الزرافة الطويلة وعدلتُ عنقها أعلى.
"أهذه من إستيبان؟"
لم أردّ.
"دعيني أراها." أخذها مني وتفحص الطباعة الذهبية على الورق.
"إنها جميلة، أليس كذلك؟" سألتُ.
"إنها كذلك، إنها أيضاً من كتاب نادر مفقود من مجموعتي. أعلم أنك صديقته لكنه أسقط للتو سن جيديون، والآن أأخذ كتاب من مكتبتي؟ هذه سرقة، سكاي."
"إنه لم يأخذ أي شيء! أنا أعطيته له."
"حقاً؟" وضع أبي الزرافة مجدداً. "إذاً سوف تعرفين أي لون كان لون الغلاف." ونظر إليّ بتحفز.
"أبي..." كنتُ على حافة البكاء، ممزقة بين أبي وصديقي. "ربما ظنّ إستيبان أنه فقط كتاب قديم مغبر لا أحد سيفتقده، أنا أعرف أنه أبداً لم يأخذه.. فقط استعاره لأنه يحب صنع الأشياء لي من الأوراق الجميلة."
وقف والدي صامتاً وقت طويل. "إنك تشبهين أمك كثيراً." أجرى إبهامه على القلادة التي أرتديها. "هي الأخرى جعلتني خاتماً بإصبعها."
"أخبرني كيف تقابلتما."
"مجدداً؟"
"مجدداً."
ضحك. "حسناً، كنتُ قد تخرجتُ للتو من الجامعة، دون فلس واحد باسمي، لكنني أردتُ أن أرى العالم ووجدت نفسي في (كابوراس) مع بضعة من أصدقائي. بليلتنا الأخيرة، اقتحمنا حفل زفاف وها هي ذا: أدريانا نينا توريس، أكثر فتاة جميلة في العالم. أخبرتها أنني رجل أعمال

ناجح، صديق للعريس. فقامت هي بنداء رجال الأمن وجعلتهم يلقونني في غرفة الحجز بسبب انتحال شخصية ضيف بحفل زفاف أخيها. عرفت أنه حب من النظرة الأولى عندما أتت باليوم التالي لتطلق سراحي."

"أتمنى لو كنت عرفتها." لم أملّ أبداً من سماع قصتها، وكيف كان عليه أن يثبت نفسه أمام عائلتها.

"لقد كنت أكثر شيء غال بحياتها، سكاي. لم أستطع حمايتها، لكنني أعدك أن الأمر سيكون مختلفاً معك. لقد قاربت على الانتهاء، فقط القليل وسنكون أحراراً."

لم أعلم ما قصد، لكنني أدركت أنه يفتقد أمي وأنه يحبني رغم أنه دائماً يكون بعيداً.

"سينيور سيدجويك،" قاطعنا فيكتور ماديرا من عند الباب. "إن والديّ جيديون سانت جون بالأسفل ويطالبان أن يتم القيام بشيء بشأن إستيبان."

"أبي." أمسكت يد والدي. "رجاءاً لا تخبر مامالو بشأن..." لمّحت بخفة إلى الزرافة الورقية، لا أرغب أن أعطي فيكتور أي وسيلة إضافية أكثر مما لديه فكما يبدو هو يستمتع بأذية إستيبان.

"لقد قالت أنها سترسله بعيداً."

"أريد عودة الكتاب في الحال." ألقى أبي نظرة تحذيرية لي. "ولا مزيد من (الاستعارة)." أمسك بيدي ونزلنا معاً لمواجهة جيديوت ووالديه، كانوا جالسين بتصلب على الأريكة بينما يقف إستيبان ومامالو خلفهم.

بقدر ما تهدده مامالو، كانت دائماً تحمي إستيبان بشراسة عندما يأتي الأمر لذلك، لكنها أيضاً تعلم حدودها ومكانها. "سوف أرضى بأي عقاب يراه سينيور سيدجويك ملائماً لابني." رفعت رأسها عالياً.

استدار السيد والسيدة سانت جون لوالدي بينما يبتسم جيديوت لـ إستيبان ولي.

"آسف،" قال والدي عندما رن هاتفه. "يجب أن أتلقى هذه المكالمة." تحدث لبضع لحظات وأغلق المكالمة. "أخشى أن شيئاً عاجلاً قد طرأ

لكنني أؤكد لكما أن الأمر سيتم التعامل معه كما ينبغي." ترك لعائلة سانت جون القليل ليعترضوا وهو يريهم الطريق للخارج. "اعتن بالأمر فيكتور." أشار لإستيبان بعدما ذهبوا. ابتسم فيكتور لـ مامالو لكنها لم تبتسم بالمقابل، لا أظنها أعجبت بحقيقة اختيار فيكتور لعقاب إستيبان.

"وأمر آخر.." عاد أبي قبل أن تستطيع قول أي شيء. "أخبري السيدة إدموندز أن تنتظر طالباً جديداً بدءاً من الأسبوع المقبل، أريد أن ينضم إستيبان للصف."

سقط فك مامالو. "شكراً لكَ، سينيور سيدجويك. شكراً جزيلاً!"

"أعتقد أن بحوزتك كتاب يجب أن يعود، أيها الشاب الصغير،" قال أبي لـ إستيبان. "أنتظر منكَ حضور الصف والبقاء بعيداً عن المشاكل."

أدركت أنه كان يفعل ذلك ليمنع مامالو من إرساله بعيداً.

"أجل، سيدي. سأفعل." كانت ابتسامة إستيبان واسعة للغاية، لدرجة ظننتُ وجهه سيتشقق.

"عيد مولد سعيد، سكاي." غمز لي أبي قبل أن يتجه إلى الخارج. في تلك اللحظة اكتمل عالمي، كنتُ سعيدة للغاية.. لم أهتم حتى عندما أخبر فيكتور إستيبان أن يتبعه للخارج ليتلقى عقابه.

بقيت مامالو معي، فتحنا بقية الهدايا وهي أصدرت أصواتاً كـ (أوه) و(آه) بسبب الهدايا المفرطة، ثم حفظنا زرافة إستيبان بالنهاية مع كل إبداعاته الأخرى، لأنها تعلم أنهم أكثر ما أحب.

كان الوقت قارب الليل عندما فتحت مامالو النافذة وشهقت، حلقت على الفور لجانبها ورأيتُ إستيبان على يديه وركبتيه في الحديقة يجز الأعشاب... بمقص! كانت الحديقة الخلفية ذات الخشخاش الشائك والأعشاب الشوكية، تأوه إستيبان مع كل خطوة، بدت راحتا يديه وركبتاه ملتهبتين ومخدوشتين بينما التصق به قميصه من العرق والمجهود.

أدركتُ أن مامالو ترغب في لعن وسبّ فيكتور لكنها أحجمت لسانها، سرحت لي شعري ووضعتني بسريري.
"هل سوف تقصين عليّ حكاية الليلة، مامالو؟" سألت.
جلست على السرير معي ولفّت ذراعاً حولي.
عندما انتهى إستيبان، تسلق عبر النافذة ليستمع، كانت قصة لم نسمعها من قبل، عن بجعة سحرية أنارت أراضي كاسا بالوما بتواجدها، إن لمحتها.. ستكون مباركاً بكنز نادر، أخبرتنا مامالو أن البجعة كانت تختبيء بالحديقة لكن بين الحين والآخر، عند اكتمال قمر جديد، كانت تحب السباحة في البركة ذات الزنابق بجانب الشجرة ذات الأزهار الصفراء.
ابتسم إستيبان وعدّل من وضع أصابعه لأنهم كانوا مخدرين من حمل المقص لوقت طويل، ابتسمتُ بالمقابل. كاسا بالوما تعني بيت الحمائم، ثق بـ مامالو عندما تلقي ببجعة بينهم، كلانا كان يعلم أن لا وجود لبجعات سحرية، لكننا أحببنا صوت مامالو.
"غني لنا التهويدة." قلتُ عندما أنهت القصة.
اقترب إستيبان وركع بجانب السرير، أدارت مامالو وجهها بعيداً عنه، لازالت غاضبة منه على ما يبدو للكمه جيديوت لكنها تركته يضع رأسه بحضنها.

من جبال سييرا مورينا،
سيليتو ليندو، يأتون

كانت تهويدة إستيبان، منذ كان طفلاً، لكنني كنتُ (سيليتو ليندو) خاصتهما... قطعتهما الصغيرة من السماء، اقتربتُ أكثر بينما تغني عن الطيور التي تغادر العش والسهام والجراح.
رقدت واستيبان بينما تجلس مامالو بيننا، لم نتحرك عندما انتهت بسبب النعومة والهدوء الذين سادا.. وأردنا أن نبقى كذلك للأبد.
"تعال إستيبان،" قالت مامالو. "حان وقت قول عمت مساءاً."
"انتظرا،" لم أكن مستعدة لأنام بعد، إنه أفضل عيد ميلاد لي رغم عقاب إستيبان. غداً سيذهب

معي للصف ولن يحتاج للاختباء في الصندوق مجدداً. "أنا لم أقم بتلاوة صلاتي بعد."
أغلقنا عيوننا وأمسكنا بأيدي بعضنا في دائرة.
"إلهي القدير، بارك روحي. واعتنِ بـ أبي. ومامالو. وإستيبان."
اهتز صوتي بالضحكات لأن إستيبان فتح عينيه ووجدني أتلصص، ثم فتحت مامالو عينيها وطرقت بأصابعها على رأسينا.
*****
لقد كانت الصلاة التي أنقذتني، أو لعنتني. لا أستطيع أن أقرر أيهما.
عاد داميان لمراقبة صنارته بثقة تامة أنني لن أفعل شيئاً غبياً كمحاولة إغراق نفسي. بدت نظرته مركزة على نقطة غير مرئية في الأفق. نظرت عبر الحاجز وتتبعت سرب النوارس وهم يسايرون الرياح ويركبونها حتى الشاطيء.
الشاطيء!
رمشت. لأول مرة منذ أيام، أستطيع رؤية اليابس. لم نكن متجهين إليها وإنما نسير بمحازاتها..
لكنني استطعتُ تمييز الأشجار والبعض المباني الصغيرة ولمحات الزجاج.
ماذا تفعلين، سكاي؟
مسحت عيناي سطح القارب.
أمسك مطفأة الحريق وأسحق رأسه.
وقفتُ ببطء وشققت طريقي ناحية الأسطوانة الحمراء اللامعة.
كان ظهر داميان إليّ لذا لم يستطع رؤيتها قادمة، طوحتها ناحيته وأحسست بحماس غريب عند سماعي صوت المعدن يرتطم بعظامه حيث ضرب فكه. كلانك! تحرك رأسه لجهة واحدة وسقطت الصنارة على الأرض محدثة جلبة. ضربته مجدداً، مهاجمة الجانب الآخر، وأوقعته من على الكرسي. ترنح منحني الظهر تقترب أطرافه من صدره وهو يمسك برأسه بين يديه.
هذا صحيح، أيها الوغد. ما إحساسك وأنتَ على الجانب الآخر؟
كنتُ جاهزة للانقضاض عليه مجدداً عندما

ارتخى تماماً فجأة. سقطت يداه وانمحت عن وجهه التعابير، ركلته بضعة مرات... محبطة عندما لم يستجب، اهتزت يداي بشدة لأشعر بالوحش الكامن بداخلي أنا، وحش يرغب بضرب مطفأة الحريق وضربها وضربها بوجهه حتى تتحول عيناه وشفتاه وأنفه إلى فوضى دموية ممزقة. لم أكن أرغب أن يرحل بهذه السهولة، أردته أن يعاني.

توقفت مدركة أن ذلك بالضبط هو ما قاله عن والدي:

أنا فقط أريده أن يشعر بذلك، أريده أن يعاني.

كنت الآن محاصرة بنفس الدائرة، أغذي نفس الوحش، أتحول إلى داميان، أفكر مثله، أتصرف مثله، أصبح عبدة لنفس المشاعر المظلمة القوية. أرعبني الأمر بشدة لأنه حتى رغم إدراكي ذلك.. لازلت أحمل مطفأة الحريق عالياً فوق رأسي، لا أرغب بأي شيء أكثر من ضربها لأسفل على داميان، مجدداً ومجدداً.

الانتقام فقط يولد انتقاماً أكثر، فوضى أكثر، عتمة أكثر. يختطفنا الانتقام ويسجننا ويمزقنا، فنعاني ونعاني حتى نحل طفيلياته اللعينة من حولنا.

أخذت نفساً عميقاً مهدئاً وتركتُ مطفأ الحريق، عندما أصبحت قادرة على التفكير بوضوح.. فتشت داميان، أعلم أن لديه هاتف لكنه لم يكن معه. ركضت إلى غرفة القيادة وبدأت أبحث بها، وجدت محطة قيادة بلوحات إلكترونية عديدة وأجهزة المحرك، جدول بياني، منطقة للجلوس وجانب للضيافة والتسلية من خشب الماهوجني. فتحت كل الأدراج ليتدحرج الفول السوداني المحمص، وجبات خفيفة، أوراق، خرائط، سترات نجاة، كشاف ضوء. لا هاتف. حدقتُ في الدرج الوحيد المغلق، لابد أنه هناك. يتوجب ذلك.

"تبحثين عن هذا؟" ترنح داميان يحرك المفتاح أمامي.

اللعنة!

إنه ليس ميتاً، لقد فقد وعيه فقط وأنا كنتُ

مشغولة فلم ألاحظ عندما أفاق. إنه كـ هيدرا ذات عشر رءوس، تقطع رأساً لكنه يبقى آتياً، كان يجب عليّ أن أدق وجهه حتى أفرده وأحوله إلى فطيرة دموية!

حلقتُ على الفور من الباب الآخر، على الأقل لازلتُ أسرع منه. حثّ الخطى خلفي ممسكاً برأسه، تسلقتُ السلم حتى أعلى السطح، إذا استطعتُ فكّ الزورق المطاطي الصغير، سوف أصل إلى الشاطيء. كان مُحكماً بنوع من العصيان والحبال والأربطة وخطافات. بدأتُ أحاول جذب أحد الخطافات لفكّه، وكنتُ بمنتصف العملية عندما رأيتُ أصابع داميان تمسك بقمة السلم، شددت قبضتي أكثر. بدأ رأسه يطفو لأعلى. لقد أوشكت على الانتهاء، لكن حتى لو تدبّرت تحرير الزورق قبل وصول داميان لي، كان الغطاء ممدداً وليس لدي أي فكرة عن كيفية تشغيل المحرك.

رفع داميان نفسه فوق السلم.

لقد نفذ الوقت مني، ركضتُ إلى حافة السطح.

وقد أصبحنا أقرب إلى قطعة اليابس البارزة في الأفق.

إنني سباحة ماهرة، أستطيع فعلها.

سمعتُ أصوات خطوات داميان بينما يتسلق إلى السطح. فأخذت نفساً عميقاً وقفزت إلى المياه.

أشعلتِ المياه المالحة النيران بإصبعي المجروح، طفوتُ للأعلى ألهث بحثاً عن الهواء. لأجد داميان ينظر إليّ من فوق القارب، كظل مهدد أمام الغيوم البيضاء.. ظل مهتز غير متزن. بدا كأنما يُصارع ليبقي على قدميه.

جيد، قد نلت منه جيداً.

عدلتُ وجهتي وبدأت أسبح تجاه اليابس، كانت المياه أكثر برداً مما توقعتُ لكن هادئة بينما يضخ الأدرينالين خلال أوردتي مع كل نفس آخذه. ابتعدت مسافة جيدة قبل أن أنظر للخلف مجدداً.

كان القارب على نفس وضعيته ولم أرَ داميان بمكان، ربما أدرك أنه من الأفضل تركي أرحل. ربما يكفيه معرفة أن والدي اختبر تجربة

موتي، أحسّ بها وعانى منها. أياً كان سببه، اختار داميان عدم ملاحقتي.
تابعت تحركي. 1، 2، 3، تنفسي. 1، 2، 3، تنفسي. توقفت بعد ما بدا كأنه الأبدية، ونظرت أمامي فلم يبدُ أنني أقترب ولو قليلاً من الساحل. المسافات خادعة في المياه، ما يبدو مسافة صغيرة يمكن أن يتخذ ساعات. خلعت سروالي واستمريت بالسباحة والتنفس والسباحة والتنفس. عندما بدأ الألم في إصبعي يهدأ، أدركتُ أن أطراف جسدي بدأت بالتخدر، فتوقفتُ لألتقط أنفاسي.
لايزال القارب على مرمى البصر وقد عاد داميان الآن للصيد!
غير معقول. ألا يجب عليه الآن أن يكون ينزف بسبب ارتجاج أو يهرب بحثاً عن الأمان؟ إن أبي سيطلق كلاب الجحيم عليه.
تقدمت بضعة خطوات ثم تجمدتُ. هناك شيء ما بالمياه، على بُعد أقدام قليلة، اخترق السطح ولمحتُ زعنفة سوداء. اختفت لكنني استطعت الإحساس بشيء داكن يحوم حولي.
اللعنة!
لا عجب أن داميان لم يكلف نفسه عناء ملاحقتي، إننا بمياه مليئة بأسماك القرش، وأنا قفزت داخلها ومعي ضمادة مليئة بالدماء.
لقد حللت بنفسي معضلته بشأن ماذا يفعل معي. منذ ساعة مضت، أردتُ أن أغرق نفسي، لكنني حقاً حقاً لا أرغب بالموت بهذه الطريقة، ممزقة إلى أشلاء بواسطة وحش بحر ذا صفوف أسنان حادة مدببة.
"داميان!" بدأتُ ألوّح بذراعيّ. "داميان!"
لم أعرف لِمَ أنادي عليه، ربما هي فقط غريزة أساسية بالإنسان أن يلتفت إلى البشري الوحيد المجاور. ربما جزء مني أحسّ أنه بمكان ما، عميقاً داخله، لايزال يمتلك ذرة من الإنسانية.
شعرتُ بشيء يمسّ قدمي، شيء بارد وصلب، على الأرجح يجب ألا أتحرك أو أقوم بضجة عالية لكنني لم أعرف ماذا أفعل غير هذا لأحصل على انتباهه، أزلتُ ضمادتي الدامية وألقيتها إلى أبعد

ما يمكن.
"داميان. ساعدني!" صرختُ.
رأيته يقف ويحدق بالمياه، ثم يذهب إلى غرفة القيادة ويجلب منظاراً. لوّحتُ له بينما ينظر خلال العدسات، إن الشيء اللعين يحوم حولي بأريحية الآن.. يستعد لقتلي.
نظر داميان لمدة أطول، ثم أخفض المنظار وجلس مجدداً، استطعتُ رؤيته يصل إلى صندوق بجانبه ويجذب شيئاً ما.
أجل! مسدس. بندقية قناص. رمح لعين.
أمسك شيئاً لم أستطع تمييزه، رفع قدميه وأسندهما ثم ألقى بشيء في فمه.
اختنقتُ بكمية كبيرة من مياه البحر تسع لرئتيّ.
لقد كان يأكل الفول السوداني وهو يشاهدني، وكأن الوقت قد حان للفشار والعرض الصباحي!
سعلتُ ودرتُ حول نفسي، كيف استطعتُ حتى أن أساير خيالي أنه قد يقفز لمساعدتي؟ إذاً هو لم يقتلني وأوقفني عن قتل نفسي، لكنه لم يكن معارضاً لتركي أذهب من هذا الاتجاه. إن الشقراء الجذابة دائماً ما تتمزق في أفلام أسماك القرش.
أستطيع الإحساس بالمياه تتحرك حولي بينما يقترب القرش أكثر، شق وجه داكن سطح المياه فصرختُ، اختفى ثم صعد مجدداً. جهزتُ نفسي متوقعة أسنانه الحادة لكن ما حصلت عليه هو منقار. كنتُ أنفاً لأنف مع دولفين مبتسم الوجه، كان لايزال قلبي يتصارع أميالاً بالدقيقة عندما لكزني برقة وكأنه يقول: "هاي، ابتهجي."
أطلقتُ سراح أنفاسي في سلسلة أصوات لابد أنها أجفلته لأنه تراجع، لديه زعنفة خلفية بارزة وكذلك زعانف جانبية طويلة ونحيفة بأطراف مدببة.
ليس قرشاً، سكاي. بل دولفين.
وبالحكم من حجمه، يبدو صغيراً فضولياً، تحرك حولي يستعرض بطنه وردية اللون قبل أن يلتفت بحدة ويسبح بعيداً، لمحت هيئة أخرى.. هذه المرة أكبر، في الغالب الأم. تبادلا أصواتاً

عالية قبل أن يعود الصغير إليّ، سبح بجانبي لفترة مقلداً حركاتي، يطفو عندما أطفو وينقلب عندما أنقلب، ثم صفر ثلاث مرات بزقزقته الصغيرة قبل أن يرحل.
راقبت الأم وصغيرها يرحلان، واستطعتُ رؤية المنظار أيضاً من القارب، داميان يراقب أيضاً. إنه يعرف البحر، ويعرف الفرق بين زعنفة قرش ودولفين، وقد اختار أن يتركني أرحل.
طفت على ظهري، مرهقة، مبتهجة، مرتعبة، مبجلة، لقد ظننت انني سأموت ومع ذلك لم أشعر أبداً أنني أكثر حيوية. سمعت صوت المحرك وأدركتُ أن داميان قادم لأجلي، أوقف المحرك بعيداً عني ببضعة أقدام. نظرت بتوق إلى حدود كتلة اليابس عند الأفق، لكنني أدركت أنني حمقاء إن كنتُ أظنني أستطيع الذهاب هناك، وداميان أدرك ذلك أيضاً. إنه فقط جلس منتظراً مني أن أجهد نفسي، وقد نجح. لم أعد أقدر على التقدم للأمام، على الطوف حتى.

يجب أن أخطط للأشياء بحذر أكثر المرة القادمة.
تسلقتُ السلّم عند مؤخرة القارب وسقطتُ، بطني لأسفل، على أرضية القارب.
بينما استمر داميان بالصيد.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل السابع :::

عندما استيقظتُ، وجدتُ أنني لازلتُ ممددة على بطني على سطح القارب، انتشرت النجوم وقد غطى داميان جسدي بلحاف، كان الجو بأواخر مايو أو بداية يونيه.. لقد فقدت حسّي بالأيام لكنني أعلم أننا نتجه جنوباً.. إلى مكان ما على طول ساحل المحيط الهادئ للمكسيك.

لقد ولدت في المكسيك، لسيدة في كاسا بالوما، وكانت المكسيك وطني لتسع سنوات لكنني لم أعد أبداً. تساءلت كم نبعد عن بازا ديل مار، وإذا ما كانت مامالو قد تقاعدت هناك واشترت بيتاً أبيض اللون ذا سطح رخامي أحمر اللون... من النوع الذي دائماً كانت تتوقف أمامه معجبة به في طريقنا من السوق، أتساءل إن كان إستيبان صنع لها سوراً حديدياً وساعدها في زراعة الأزهار بالحديقة. سيكون منزلا صغيراً بالطبع لأن مامالو أبداً لم تجرؤ على أن تحلم أحلاماً كبيرة، ودائماً كانت تخشى عندما يفعل إستيبان. حتى وقتها، كان دائماً أكبر من الحياة ولا أحد ولا شيء يقف عائقاً في طريقه، ولو

عرف أن أحدهم اختطفني.. سوف يجدني وينقذني وليساعد الله داميان!
ربما هو بالفعل يعلم، ربما سمع الأخبار، ربما صدّق أنني ميتة تماماً مثل أبي، بكل الأحوال.. لن يهدأ إستيبان حتى يجد داميان، لقد كان بطلي.. محاربي، سندي، آلة ضرب جيديوت اللئيم. أستطيع تخيّله بزيّ قرصان وربطة عين مزيفة يقود سفينة من بازا ديل مار، بحثاً في البحار عني.
ابتسمت لأن يمكن للعقل أن يرسم أكثر التصورات سخفاً وبُعداً عن الحقيقة بكثير لدرجة أنك تتعجب من قوة الخيال! حتى في غيابه، فهو يبقي الرجال السيئين والأفكار السيئة بعيداً عني.
سمعت صوت احتكاك شيء ما على الأرض.
كان داميان يفرد كرسياً مطوياً ويضعه بجانبه مع طاولة صغيرة تفصلهما.
"كلي." أشار إلى الطبق على الطاولة، قبل أن يبدأ الغوص بطبقه ويده تمسك بكيس ثلج على فكه.. حيث ضربته.
وقفت بحذر لا أعلم ما أتوقعه، الطعام؟ العقاب؟ الثأر؟ لكنه لم يقل شيئاً بينما أجلس بجانبه.
ربما هو فقط مرهق للغاية مثلي، فجأة أصبحت واعية أنني دون بنطالي لذا لففت الغطاء أكثر حولي. كان العشاء كالعادة، السمك والأرز، ربما نوع مختلف من السمك لكنه دائماً ذات الأرز. أعتقد أنه مرضياً.. لا دلال وبذات الوقت يقضي المهمة. أرز بسيط غير معقد.
أكلنا في صمت، نشاهد الهلال يسكن السماء، لامعاً ودافئاً، كشريحة حلوى الليمون.
دون أية أضواء تغطي عليهم، كانت النجوم ساطعة براقة بوضوح الألماس، التمع صفان كبيران من الضوء في المياه حيث اندفعت دوامات من الأسماك تحت السطح، بينما تطاردهم أشكالا أكثر ضخامة وعتمة وهم يرقصون كالدراويش حول المركب.
بدا أفضل من أي عرض أزياء، اللمعة البراقة وموسيقى الليل.. تبدو المياه أميالا وأميالا من

مخمل منتصف الليل، بينما نتمايل نحن أعلى وأسفل كقطعة من خيط.. صغيرة وغير مهمة قبالة هذه العَظَمَة.
فكرت بكل الليالي التي قضيتها في النوادي محكمة الحرارة والمطاعم، تحت الأضواء الاصطناعية، نشرب المشروبات الاصطناعية مع أصدقاء مصطنعين زائفين. مشاكل سطحية. دراما مفتعلة. كم ليلة حقيقية عظيمة فوّتها؟ ليال كهذه، عندما يرقص الكون لأجلك، وتصبح أنت نوتة صغيرة لكن جميلة ضمن الأغنية السحرية التي يعزفها.
"سكاي،" قال داميان لكنني لم أستطع إيقاف الدموع. كان الأمر كتطهير كبير عظيم، لتتكسر كل الأمور الجيدة والسيئة والمحزنة والمفرحة.
كرهت ضعفي أمامه، كرهت عندما حملني وتمسكت به، كرهت عندما حملني لأسفل ووضعني في حوض الاستحمام، كرهت حينما جففني وساعدني في ارتداء ملابسي، كرهت عندما وضع الداوء وضمادة جديدة على إصبعي. كرهت عندما دثرني بالغطاء في السرير وأطفأ الضوء، كرهت أنني أردته أن يبقى ويحتضنني ويمسد خصلات شعري، بسبب هراء متلازمة ستوكهولم اللعينة؟
كرهت أن ذلك كان يحدث لي!

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الثامن :::

استيقظتُ في الصباح التالي على ما يبدو كأصوات عشرات المدافع تنطلق في البحر، إننا نتعرض للهجوم! شخص ما قد لحق بنا. ركضت أعلى السلالم متوقعة أن نكون محاطين بمجموعة من القوارب وأبي يحمل مكبر صوت: اخرج وارفع يديك عالياً في الهواء.
سيراني وسيعلم أنني حية! وتتحول القبلات الثلاثة إلى ستة وتسعة واثنتي عشر.
حمداً لله أنك أتيت أبي، لأنه كنت أنا وداميان وحدنا وقد قطع إصبعي، واتضح أنني محاطة بأسماك القرش وهو تركني لكنه كان مجرد دولفيناً، كما ترى، وبعدها حضرت ليلة حقيقية، وشيء ما بدأ بالحدوث ورأسي تشوش و.....
لأجد أن لا قوارب، لا مكبر صوت، لا أب.
اتضح أننا رسونا في ظل منحدر حاد، عشرات الطيور يغوصون في المياه ويعودون بسمك السردين للإفطار. في بعض الأحيان كانوا يرتطمون بالمياه بذات الوقت فنسمع أصواتاً

كالانفجار في منطقة حرب.
وجدت داميان يسبح على الجانب الآخر من القارب، كانت ضرباته للمياه طويلة وسلسة وقد بدا غافلاً عن الضوضاء حولنا، بالواقع لديه جسد السباح المثالي.. سيقان قوية، كتفان عريضان، أفخاذ ضيقة صلبة، أدار جسده لليسار ثم اليمين ليخرج كتفاً لأعلى آخذاً نفساً بين كل حركة. كان هادئاً وماهراً بالكاد يرفع ذقنه فوق السطح، وقد كنت مركزة على كل زفير يزفره لدرجة أن كل شيء آخر بهت واختفى.. كل الأصوات، كل الطيور، حتى لم يتبق سوى هو، نفسه، واحتكاك شفتيه المبللتين. كان متناغماً وثابتاً وقوياً وفاتناً.... ورجولياً بشكل ساحق!
طرأ شيء داخلي بتلك اللحظة، وقفت خارج نفسي لأدرك كم من السهل الحكم على شخص ما، على ذم وإدانة الأشياء التي لا نفهمها، لأن:
يا إلهي! كيف تستطيع حتى التفكير بتلك الطريقة نحو الشخص الذي خطفها؟ لقد قطع إصبعها بحق الجحيم!!!
أو
ذلك الشخص كان يجب أن يكون أكثر وعياً ألا يدخل السيارة مع غريب.
أو
كيف تستطيع البقاء معه كل ذلك الوقت وهو يضربها يوماً بعد يوم؟
أو
متوحش! لقد قتل عائلته!
لأن هذه هي الأشياء الغير من المفترض أن نفعلها، ومع ذلك داخلي بذرة لشيء يتعذر تفسيره من حيث تأتي الأشياء الداكنة، شيء لا أستطيع فهمه أو إنصافه، أنا أعرف أنني لا يجب أن أحمل أفكاراً رومانسية تجاه خاطفي، لكن ها هو ذا... أمر خاطيء وملتو ومقزز، وهذا أخافني. أخافني لأنني رأيت لمحات من كل الأمور المرعبة القادرين على فعلها، لأن النفس البشرية شيء هش للغاية، كصفار البيض يحتويه قشرة

ضعيفة رقيقة، صدع واحد وستبصق ما بها؛ جار يذهب في مهمة انتحارية، قبائل تذبح قبائلا، بلاد تدير وجهها بعيداً عن الظلم الذي يحدث. وكله يبدأ من الداخل، لأن الداخل هو حيث بداية كل الأشياء.

ركضت تجاه غرفة النوم وأغلقتُ الباب، أحتاج أن أضح حاجزاً بين نفسي و.... نفسي!

أحتاج أن أفكر في لعب كرة قدم الطاولة و(باكمان) والبيتزا مع نيك، ماراثون من بعض الأشياء الطبيعية اللطيفة مع رجل طبيعي لطيف... شخص يستحق الرومانسية.

"الإفطار." لم يكن هناك طرق على الباب أو خصوصية أو أمور كياسة طبيعية لطيفة مع داميان، فقط يدخل.

واجهنا بعضنا للمرة الأولى منذ انهياري اللزج الغبي في الليلة السابقة، لا أعرف أين نام لكنه لم يأتِ بعدما وضعني بالسرير.

نظر إليّ كما يفعل دائماً... بغموض وحدة، لابد أنه قام بالاستحمام لأن رائحته كالنعناع، وأنا حقاً حقاً أريدها أن تكون كرائحة السردين.

"سوف نرسو في باهيا تورتوجاس الليلة،" قال بينما نأكل. "نحتاج للوقود وإعادة ملء خزان المياه."

ليس لدي أي فكرة عن أين تقع باهيا تورتوجاس هذه، لكن الوقود والمياه يعني ميناء أو مرسى أو شيء من هذا القبيل وهذا يعني أننا سنتواجد مع أناس آخرين.

لقد كان يحذرني: لا تفعلي أي شيء غبي.

أومأت وأنهيت طعامي. سنرى بشأن ذلك.

لقد أصبحت أكثر رغبة الآن بالهرب.

*****

كان الجو معتماً عندما ظهرت التلال الوعرة لـ باهيا تورتوجاس على مرمى البصر، لدي إحساس أن الأمر كله مخطط أكثر من مجرد صدفة، لقد خطط داميان أن نأتي بهذا الوقت حيث نجذب أقل قدر من الانتباه، بدأ قلبي بالخفقان ونحن نقترب من الميناء. يجب أن أتمسك بأي فرصة سانحة في الساعات القليلة التالية.

وقفتُ أمام المرآة وأخذتُ نفساً عميقاً، شعري قذر ومعقد، بينما أطفو في واحدة من قمصان داميان، قفزتُ إلى حوض الاستحمام وغسلتُ شعري، الفرص بمساعدة هاربة ذات شعر ملوث قليلة لذا فتشتُ بحقائبي وارتديت بلوزة مثيرة وسروال قصير من قماش الدنيم.

إن مقدمة الصدر والساقين دائماً ما يتم ملاحظتهم. وجدت عدة زينة فوضعت بعضاً من مرطب الشفاه ومحدداً للعيون.

بالتزامن مع انتهاء ما أفعله، ثبت داميان المرساة، لم نكن أقرب للرصيف مما ظننت وبالنظر للخارج استطعت رؤية قاربين آخرين فقط. كانت اللحظة المثالية للوقوف.

ارتفعت معنوياتي عندما أتى زوج من الأشخاص لتحيتنا، لولا الضوء الأصفر الصادر من مصابيح الكيروسين لديهم.. كنت سأفوّت الزوارق الصغيرة. أتذكر من الإسبانية ما يكفي لمعرفة أن الرجال يعرضون خدماتهم ويفاوضون بشأن الوقود والماء. فكرت بالركض إليهم صارخة للمساعدة لكن الجو مظلم ويستطيع داميان بسهولة كشفي قبل أن أجذب اهتماماً أكبر.

كنت لازلت أتلصص من نافذة الغرفة عندما أتى داميان، توقف بخطواته عندما رآني، ولثانية كاملة عظيمة.. لم يبدُ محكم السيطرة، انزلقت نظراته على طول ساقيّ تحت السروال القصير الرائع وتلكأت ببطء عند ما تحاول بلوزتي الفاضحة تغطيته.

ها! إنه ليس منيعاً بعد كل شيء.

لمح نظرة الانتصار بوجهي قبل أن أقدر على محوها وضاقت عيناه.

تباً!

تراجعتُ للخلف خطوة مقابل كل خطوة يتقدمها، حتى أصبحتُ محاصرة بينه وبين الحائط.

رباه كم يبدو حاداً ومتأنياً، يستطيع قول أشياء بعينيه تجعل ركبتيّ ترتجفان، جانب من وجهه متورم ومشوه حيث ضربته، أمسك كلا معصميّ بيد واحدة وثبتهما فوقي. شعرتُ بكل جزء مني

يحمرّ من الحرارة المنبعثة من جسده، حتى رغم أن تلك هي نقطة الاتصال الوحيدة.
علق إصبعاً في ياقة الـ(V) التابعة لبلوزتي يتتبع فتحة البلوزة الخطيرة، لمسته ناعمة لدرجة أنني بالكاد أحسّ بها.
"سكاي؟" بدا منوماً مغناطيسياً بسبب الارتفاع والانخفاض السريع لصدري.
ابتلعتُ ريقي.
"لا تلعبي مع العقارب إلا إذا كنت ترغبين بلدغك." شق الياقة، فطارت الأزرار الدائرية الزجاجية للأرض وتدحرجت كعيون مذهولة برؤية بشرتي العارية.
"إننا قاسون ومفترسون ومليئون بالسمّ." صرّ على أسنانه أمامي ومزق بلوزتي إلى نصفين، مزق جزءاً منها وقيّد معصميّ. ثم استخدم الجزء المتدلي منها لشدّي خلفه إلى السرير.
"لقد كنتِ تحاولين إثارتي لأيام، الآن وقد حظيتِ بانتباهي.. ماذا سوف تفعلين؟" انحنى للأمام، قريباً لدرجة أنني وقعتُ للخلف على الفراش، محاولة أن أبتعد عنه. "أو أنك ترغبين مني أنا أن أقوم بكل المطلوب كي تحظى نفسك المدللة بالمتعة، لكن يمكنك إخبار نفسك أنه لم يكن لديك خيار؟" زحف فوقي، ببطء، حتى أصبحنا أنفاً لأنف.
شعرتُ كأن الجحيم سيبتلعني ويستهلكني، استطعتُ سماع أصوات الرجال بالخارج يستعدون لملء الخزانات.. هل سوف يسمعون صرخاتي؟
"هل تريدين مني أن أدعوهم؟" أحكم داميان معصميّ للسرير. "أحقاً تظنين أنك ستكونين آمنة معهم أكثر مني؟" مزق قطعة أخرى، ليعطيني الفرصة للصراخ أو الصياح أو الهتاف بالمساعدة. وعندما لم أفعل، ربطها حول فمي.
استند للخلف بركبته وأجرى إصبعاً من عنقي حتى بداية صدريتي الداخلية فتوقفت عن التنفس، استمر بحركته فوق معدتي حتى وصل إلى بداية سروالي القصير، تلاعب قليلاً بالزر مستمتعاً بتأثيره على قلبي.
"يالك من عصفور صغير مرتعب!" قال ثم لفّ

ساقيّ حول خصره. "كان يجب أن تكوني أكثر حذراً ألا تستفزيني."

نهض من على السرير وأبعد ساقيّ عن بعضهما مقيداً كلا منهما في الركن المعاكس، أغلقتُ عينيّ فوراً بينما يسير حولي، يتأكد من سلامة العُقد وأنها ستثبت، كل شيء داخلي يتلوى.. فأنا الآن تحت رحمته كاملا.

"ربما الآن ستحسنين التصرف،" قال، ليتضاعف نبض قلبي.

توقعت لمسات يديه عليّ، لكنه ارتدى قبعة البايسبول خاصته ثم أغلق الضوء ورحل مغلقاً الباب خلفه. سمعته يتحدث مع الرجال ثم صوت محرك صغير حيث انطلق واحد من الزوارق.

تساءلتُ إن كان أخذ إصبعي المقطوع إلى البريد لأبي. وارن سيدجويك: بريد خاص.

كان يجب أن أشعر بالراحة لأي عمل كان ما أبعده عني، لكنني شعرت فقط بالقلق.. لا أعرف متى يعود أو ما ينتظرني، يدور عقلي في الفضاء اللامحدود حيث الثقوب الدودية المرعبة في العتمة، الأسوأ كان الاحتمالية المخجلة أنني لن أقاومه عندما يعود!

*****

كانت خطوط الوقود لاتزال تدور عندما عاد داميان، لكنه لم يكن وحده. أدركتُ أن قرع الـ(تاب، تاب، تاب) ينتمي لحذاء عالي الكعب؛ لقد أتى برفقة.

اشتدت عضلاتي بينما أسمع خطوات أرجلهما خارج الباب، كنت غارقة في بركة من العَرَق وإصبعي بدأ بالنبض سريعاً. قفزت بسبب الضربة القوية على الباب متوقعة إياه أن ينفجر مفتوحاً، لكنه بقي مغلقاً.. سمعتُ شهقة مكتومة ثم ضغطة أخرى.

للحظة ظننت أنه سحب معه ضحية أخرى تصارع الآن للفرار، لكن تحولت التحركات لتصبح تناغمية والأصوات الصادرة عنها تبدلت بين المتعة والألم.

لقد كان يضاجعها على الباب، بسرعة وقوة، الوغد الحقير أراد أن يتأكد من أنني أعلم

بالضبط ما يفعل... لقد كان يختارها بدلاً مني، يستنفذ الإرهاق الحسّي الذي أنشأته داخله. أنه يفضل أن يدفع لعاهرة محلية على أن يعترف بالشهوة، الرغبة، أو الضعف تجاه أي جزء مني. أنني شيء غير مهم، منفذ فارغ للثأر.

طوال الوقت الذي قضيته أتخيله يفرض نفسه عليّ كان عقاباً قاسياً متعمداً، لقد زرع الفكرة برأسي.. مرر لي الطعم وأنا تماشيتُ معه. لقد تركته يلوثني وينتهكني بأغلب الطرق الفظيعة وقد فعلت كل ذلك بنفسي، في عقلي أنا!

لم أحب المشاعر التي تمر خلالي الآن، يجب أن أكون ممتنة أنها هي وليست أنا لكنني شعرت بالإذلال، بالاكتئاب، بالرفض. كان يجب أن أكون متقززة من أصوات ممارستهما الحميمية، راسخة بكرهي لداميان، لكنني أصبحت متذبذبة ومشوشة.

صرخت المرأة عندما وصلت للذروة لكن صوتها بدا كتنهيدة حادة، كل شيء سكن.. عدا صوت التنفس الثقيل، لم يدم الأمر طويلاً حيث عاد ضجيج الحركات على الباب، استطعت سماعها تتوسل لكنني لم أعرف هل ليتوقف أم كي لا يتوقف.

تحركا بعيداً عن الباب، سمعتُ تحطماً.. شيئاً يتدحرج للأرض، أغلقت عينيّ متمنية أن أصمت الأصوات الآتية من المطبخ.. لكنه مجرد شيء سخيف نقوم به، نغلق أعيننا لنوقف أنفسنا عن سماع شيء! وقد جعله أسوأ.. فالآن أستطيع تخيلهما معاً بالغرفة.. هي بين ذراعيه وهو يمتكلها كحيوان بري، لأن هذا ما يبدو عليه الجنس مع داميان... برّي، بدائي ومتوحش.

استمر الأمر طويلا، إن الرجل وحش حقاً! عندما انتهى كان فيه سلسلة من همهمات قصيرة لاهثة، أرخيت أسناني لأدرك أنني كنت عالقة بالأمر برمته وكأنني كنت معه.

قالت المرأة شيئاً ما لكنه كان ناعماً لدرجة لم أستطع التقاطه، ظننتُ أنني سمعتُ داميان يضحك لكنني لم أستطع تصوره يفعلها -أبداً-

لذا لابد أنني تخيلتُ الأمر. تحدثا معاً في نبرات منخفضة لفترة ثم سمعتُ أصوات خطواتهما تبتعد.

كان داميان يدفع للرجال أو المرأة أو كليهما، فبعد الوقود والمياه للقارب وممارسة جيدة لمالكه.. أصبحنا مستعدين للذهاب. لن يكون هناك أي فرصة للهرب، سمعتُ أصوات الزوارق تبهت رويداً رويداً.

دخل داميان الغرفة عندما ذهبوا، كان لايزال يرتدي قبعة البايسبول لذا أشك أنه جعل المرأة ترى وجهه كاملاً أو أنه حتى خلع ملابسه كاملة، على الأرجح فقط أسقط بنطاله وامتلكها أمام الباب.

تفحصني بينما أنا ممددة على السرير دون شيء سوى سروالي القصير وصديريتي الداخلية.

"العشاء،" قال وهو يزيل الكمامة من فمي.

"لستُ جائعة."

أخذ وقته في فكّ العُقد حول ساقيّ ومعصميّ.

"أظن أنكِ تنسين كيف يسير الأمر،" قال بهدوء بينما يتفحص إصبعي المضمد متعمداً.

لم يتوجب عليه قول شيئاً آخر، أبغضه.. أبغض نفسي لتركه يكسرني، تبعته حتى المطبخ أدلك معصميّ المتألمين. فرد حقيبة ورقية دهنية ووضع بعض النقانق في صحن، كان يجب أن أبتهج لهم بعد أيام من السمك والأرز، لكن كل ما استطعتُ شمّه هو رائحة العاهرة. رأيتُ حامل الأطباق على الأرض والأشياء مبعثرة كأنه قد تم تطويحها من على المنضدة.

"كلي." التهم داميان حصته وبدأ بوضع المؤن التي أتى بها في مكانها.

عندما ملأ الثلاجة، أمسك بأداة فتح العلب القصدير وفتح علبة لبن مكثف، شاهدته يصبه في إناء فارغ ذا غطاء. أعتقد أنه يخزن أفضل من اللبن الطازج، استدار إلى صانع القهوة وبدأ يقيس القهوة. سقطت عيناي على الجزء المعدني المسنن العلوي للعلبة التي فتحها للتو مُلقى في القمامة بجانب قدميّ، وصلتُ لأسفل ومسكته. كان داميان لايزال مولياً إياي ظهره.

أغلقتُ راحة كفي على القطعة الدائرية من القصدير وشعرت بحافتها المسننة الحادة، هذا ما أحتاج لأغرزه بعنقه.
بعد خمسة، سكاي. بعد خمسة.
أخذت نفساً عميقاً وبدأت بالعدّ التنازلي.
5، 4، 3، 2، 1...
أدركته بينما يلتفت، كان جرحاً مثالياً لولا أنه اعترض معصمي قبل أن أتعمق أكثر، عيناه اتسعتا من الألم الحاد قبل أن تأتيني صفعته القوية لدرجة أنه أطاح بي عبر المطبخ وخدّي يكسوه الاحمرار من طبعة كفه.
جذب المعدن من عنقه وسدّ جرحه بيده، أردتُ أن ينتشر دمه على المنضدة كما أسال دمائي، أردته أن يركع على ركبتيه ويموت في بركة من الثأر الأحمر، أردت أن أرى نفسي في عينيه وهو يلتقط آخر أنفاسه.
لم يحدث أي من هذا، لعن داميان وأزاح يده ليتفحص الجرح ليجده جرحاً كبيراً لكنه فقط يخدش السطح لا العمق.. لذا بضعة ضمادات وسيدبر الأمر. بدأ بالسير نحوي، كقوة غير قابلة للتدمير تقترب دون هوادة مني ولا أقدر على تفاديها.. ثم انهرت، مسدت خدي المتألم وبكيت وبكيت.
"إن لم تقدري على الأخذ، فلا تُعطي."
إن لم تقدري على الأخذ، فلا تعطي.
إن لم تقدر على الأخذ، فلا تعط.
صبيّ أحببته قبلاً قال ذلك، تماماً بعد أن يُسقط سن جيديون بينيديكت سانت جون.
انقلبت أفكاري رأساً على عقب كأسلاك كهربية في دائرة كهربية تعمل فوق طاقتها.
لا!
ثارت كل ذرة داخلي من الفكرة.
نظرت لأعلى حيث الشخص الواقف أمامي، الصبي قد تحول إلى رجل، جسده تغير، صوته تغير، وجهه تغير. لكن لا يجب أبداً على أعين الناس أن تتغير هكذا لدرجة ألا تستطيع تمييز أرواحهم منها، لا يجب أبداً أن تتحول هكذا بهذه القسوة تغلق كل الأبواب إلى الماضي.

"إستيبان؟" همستُ.
لا ، أرجوكَ قل لا .
"هنا لا يوجد إستيبان، إستيبان مات منذ وقت طويل." جذبني وحاصرني بينه وبين المنضدة.
"يوجد فقط داميان، وأنتِ لا تخدعين أو تهربين من أو تغوين داميان، وبكل تأكيد لا ترغبين بمواجهته." بصق كلماته.
رمشت محاولة استيعاب حقيقة أن الفتى الذي أحببته والرجل الذي كرهته هما نفس الشخص، لكنني لم أستطع تخطي الحاجز الأسود العازل وقد بدأ يتسع ويتمدد.. يبتلعني رويداً رويداً، لتبدأ الأرض بالاختفاء تحت قدميّ.
"سكاي." هزني داميان، لكنه فقط جعل التصدع داخلي يزداد ، أحسستُ بنفسي أسقط به.. مرحبة باللاشيء الذي يغلفني.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل التاسع :::

عندما أفقتُ، وجدتُ داميان ينام جانبي.
نعم، دَاهـ - مِيـ - يَان.
لأن هكذا هو الآن، حاولتُ البحث عن الفتى الذي عرفته يوماً، لكن لا يوجد مكان يستطيع الاختباء به بين ملامح داميان القاسية. لقد كان في الثانية عشر من عمره بآخر مرة رأيته، خمسة عشر عاماً حوّلوه إلى هذا الرجل الذي أمامي الآن.. أخذوا منه رقته، تعابيره، جعلوا صوته أعمق.. وقلبه أقسى.
حوّل ضوء القمر لون جلده إلى الأزرق الفضي وأبرز ظلال حاجبيه وأنفه، كان ينام عاري الصدر لأول مرة.. وكأنه اكتفى مِن كل الأقنعة والطبقات والادعاءات.. ومَن يعلم، ربما لا يرتدي شيئاً تحت الأغطية أيضاً.
تحركت مبتعدة عنه قليلاً ناحية حافة السرير، ليتحرك شيء مبلل ومتكتل تحتي.. كيس ذائب من الخضروات المجمدة لأجل خدّي.
هذا صحيح، داميان. اصفعني وعالجني.
لا تستطيع قتلي، لكن لا تستطيع تركي أيضاً.

أخيراً فهمتُ ما كنتُ أرى في عينيه، الأسود يقاتل الأسود. داميان يبقي إستيبان بعيداً، القسوة يتخللها لمحات من الرحمة.. الصداقة تعوق الثأر بخيط رفيع.

لم أستطع فهم أفعاله، لكن كما هو واضح يوجد دماء سيئة بين أبي وداميان.. وأحتاج أن أعرف الأمر. على حد علمي، آخر مرة تقابل بها الاثنان كانت يوم عيد مولدي التاسع، عندما طلب أبي من فيكتور أن يُسجله في صف السيدة إدموندز.. لكن إستيبان أبداً لم يأتِ. استيقظتُ وانتظرتُ مامالو لكنها أبداً لم تأتِ.. لا ذلك اليوم، ولا باليوم التالي، أو الذي يليه. عندما أتت إحدى الخادمات وبدأت بحزم ملابسي في حقيبة كبيرة، أصبتُ بنوبة غضب.

"لمَ تأخذ أبيلا أشيائي؟" سألتُ عندما وصل أبي.

"أين مامالو؟"

"إننا سنذهب إلى سان دييجو، سكاي." طوى أبي الأوراق التي يحملها وحك صدغيه. "سنبقى بعيداً لفترة، وقد بدأت مامالو عملاً آخر."

"أنتَ أبداً لم تقل أي شيء بشأن الرحيل! متى؟ إن مامالو واستيبان لن يغادرا أبداً دون قول وداعاً."

"سكاي، أعلم أنكِ دائماً كنت تعتبرينهما عائلتك، لكنهما يذهبان أينما يأخذهما عمل مامالو. أنا واثق أنهما أرادا فقط جعل هذا أسهل عليكِ."

"أنا لا أصدقك." دفعتُه بعيداً. "أنا لن أذهب إلى أي مكان حتى أراهما."

"هؤلاء يمكنهم البقاء،" قال أبي إلى أبيلا التي كانت تلملم المخلوقات الورقية التي صنعها إستيبان لي.

"أنا لن أترك هؤلاء خلفي!!" نزعتُ الصندوق منها.

"لدينا مكان فقط للأشياء المهمة، سكاي، ويجب أن نكون سريعين. سوف نغادر للمطار قريباً، أحتاجك أن تساعدي أبيلا وتستعدي. يمكنكِ فعل هذا، سكاي؟"

"لا! لن أفعل! أنا لن أذهب لأي مكان، ولن أحزم أي شيء. أنت اذهب."

"سكاي..."
"أنتَ دائماً تغيب بكل الأحوال، لذا سوف أبقى هنا وعندما تعلم مامالو ذلك.. ستعود وسوف..."
"سكاي!".
لم أعرف أي واحد منا كان متفاجئاً أكثر عندما صفعني، كان صفعة قاسية وحادة ولسعتني. سقط الصندوق من بين يديّ وحدق كلانا في الحيوانات الورقية الراقدة عند أقدامنا.
"متى سوف تفهمين أنهما فقط الخدم؟!" قال والدي. "ليسا أقارب بالدماء، ليسا عائلة. الشخص الوحيد الذي يمكنكِ الاعتماد عليه هو أنا، والشخص الوحيد الذي أستطيع الاعتماد عليه هو أنتِ. كل شيء آخر وكل شخص آخر سيأتي ويذهب، إذا أراد مامالو واستيبان رؤيتك.. سوف يجدان طريقة، ثم أنه يمكنكِ الكتابة إليهما ومراسلتهما بقدر ما تحبين.. لكن يجب أن نرحل الآن، سكاي. ليس لدينا خيار!".
وبهذا رحلت، رغم أنني بقيتُ أستدير وأتطلع للخلف بينما نغادر كاسا بالوما، ظننت أنني سمعتُ إستيبان ينادي اسمي لكن كل ما رأيتُ خلال النافذة الخلفية تجمعات الغبار المنتشرة بسبب انطلاقنا السريع بالسيارة في الطريق الترابي. استدرت وتطلعت ونحن نغادر المكسيك... استدرت عندما هبطنا إلى الولايات، استدرت كل مرة رأيت صبياً ببشرة إستيبان، وبكل مرة لمحت شعراً طويلا داكن اللون مزيناً بالورود.
بعد فترة، توقفت عن الاستدارة لأن مامالو واستيبان أبداً لم يردّا على أي من رسائلي المعطرة برائحة الفراولة، أو الصور المجمعة التي ألصقتها بعناية: هذه مدرستي الجديدة. هذه غرفتي الجديدة. هذا عنواني الجديد. هذه قصة شعري الجديدة لأن شعري قد طال كثيراً ولا يوجد مَن يسرّحه لي الآن. أشتاق إليكِ، مامالو.
اكتب لي، إستيبان. بعد خمسة، حسناً؟
وبمرور الوقت، دفنت ذكرياتي.. كما دفنتُ آلامي. واتضح أن رحلتنا لـ سان دييجو أضحت إقامة دائمة. عندما صفعني أبي ذلك اليوم،

أغلق الباب بعدها لينقلب عالمي رأساً على عقب ويصبح حذراً ومحروساً. العائلة هي العائلة، الأصدقاء لا يدومون، كل شيء سيتحطم. الناس يقولون وداعاً.. وإن اقتربت بشدة ستتألم.
عندما صفعني داميان، أطاح بنفس العالم جالباً معه قطعاً صغيرة للغاية كنت لاأزال أحاول ترتيبها، هناك ما هو أكثر بهذه القصة مما أخبرني أبي، إن مامالو وإستيبان لم يرحلا فقط دون وداع.. شيء قد حدث، شيء حوّل إستيبان إلى داميان.
ظننته جزر شعري وصبغه أسوداً كي يمنع أي شخص من أن يميّزني، لكنه فعل ذلك لنفسه... حتى لا أحمل أي شبه للفتاة التي عرفها قبلاً.
كان جاهزاً للثأر بسبب أياً كان ما يظن والدي قد فعل من أمور سيئة مرعبة، وأياً كانت الصلات التي بداخله تجاهي... كانت مدفونة بأعماق نفسه كثيراً حتى أصبح قادراً على القيام بأشياء سيئة ومرعبة لي أنا. لقد عاملني كشيء بدلاً من إنسان ليحمي نفسه. آلمني، أذلني، حجب عن نفسه صوتي، وجهي، دموعي. لكن بين الحين والآخر كانت تطفو تلك الذكريات ولابد أنها لاتزال تعني شيئاً له لأنها أخرجته من الغمامة الحمراء من الغضب والكراهية.
إستيبان الذي أعرفه هناك في مكان ما وقد سمعني أصلي له، هو السبب الوحيد أنني حيّة.
لا أعرف كم لدي من الوقت لكنني أعلم أنه لا فائدة من سؤال داميان أن يوضح (لماذا) يفعل هذا، بالتأكيد لم يكن ليتمادى لهذه الدرجة لو أنه لا يشعر أنه محق. هناك شخص واحد يستطيع اختراق حواجزه، لابد أن أجد طريقة للوصول إلى مامالو قبل فوات الأوان.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل العاشر :::

ظلل الإفطار الصمت حيث حدّقتُ أنا وداميان في الصحون، أردتُ بشدة أن أنظر إليه في ضوء النهار، أن أنظر إليه فعلا. آلمني المضغ.. كانت شفتاي متورمتين لذا دفعتُ الطعام جانباً، غطى داميان الجرح على عنقه بالشاش، كلما بقينا معاً وقتاً أطول، كلما زادت جراحنا.. داخلياً وخارجياً.

"كيف حال مامالو؟" سألته متمسكةً بقهوتي.

كان البحر هائجاً والأشياء تتراقص ذهاباً وإياباً على المنضدة.

"أحب أن أراها." قلتُ عندما لم يردّ.

ترك صحنه في الحوض واستدار إليّ. "هذا هو حيث سنذهب. إن كنتِ تستطيعين الصمود خلال الأربعةَ عشر يوماً المُقبلين، سترينها."

كان داميان قد ذكر قبلا الـ21 يوماً. ونحن على القارب منذ حوالي الأسبوع، وهذا يعني أنه يعدّ الأيام حتى يرى مامالو.

"هل تعلم...؟" أنكَ خططتَ لقتلي؟ "هل تتوقع حضوري؟"

التقطت تعبيراً متألماً بعينيه قبل أن يلتفت

بعيداً. بالطبع هي لا تعلم، إنها أبداً لن توافقه على هذا. إذا كنت أستطيع الذهاب إليها على هيئة قطعة واحدة، فهي سوف تصلح كل شيء. مامالو تعلم كيف تصلح الأشياء.. الأشياء الضائعة، الأشياء المتألمة، الأشياء المكسورة، الأشياء المجروحة والمتورمة.

راقبت من خلال النافذة ونحن نغادر باهيا تورتوجاس، لأرى مجموعة من أسود البحر تعوم خلفنا.

آي، ياي، ياي، ياي،
غني ولا تبكي...

أراحتني فكرة رؤية مامالو وللمرة الأولى.. أشعر بوميض أمل. أبحرنا خلال المنحدرات الصخرية محاطين بالغيوم، وبينما يتقدم اليوم.. كانت الأمواج تعلو وتتلاطم أكثر، لتتحول السماء داكنة ومنذرة بالسوء. استطعت سماع أصوات الراديو المتقطعة من الأعلى لكن غطى على صوت داميان أصوات المقاعد تسقط بجلبة. بدأ كل شيء بالتحطم والتدحرج بينما يتخبط القارب ويقفز لأعلى بحدة.

تمسكت بالجدران وأنا أشق طريقي لأعلى، لتقذفني قطرات المطر الحادة الباردة الشبيهة بالإبر، بدت السماء كمشهد من دراما عليا.. الغيوم السوداء تعكر الرؤية أمامنا جالبة ظلالاً عميقة على المياه الصافية. صفرت الرياح بحنق في أحبال الشراع والمعدات لتأتي إليّ في صيحة عاصفة، لم أستطع رؤية الأفق وعندما حدقت خلال العتمة المخيفة أدركت السبب. أمامنا يقف جدار من الماء عال بشدة لدرجة اضطرتني أن أحني رأسي للخلف كي أراه.

اللعنة!

"عودي لأسفل!" صاح داميان وسط الفوضى بينما أعاني لأبقى على قدميّ.

بدأ القارب بالقفز والاصطدام أسفل مجدداً جالباً لنا معه توقف قلب مفاجئ مع كل موجة مرعبة. تمسكت بالحافة لكن كان المعدن مبللا فبقيت أخسر قبضتي حوله، طار دلو من الماء في وجهي وانزلقت قدماي على الأرضية.

صاح داميان بشيء في الراديو وأغلق، ثم شقّ طريقه نحوي.. مقاوماً الرياح ليلبسني سترة نجاة، لم أتمكن من سماع ما يقول حيث كنا نسقط ضحية كل موجة جديدة بأصوات تحطم مدوية. أشار ناحية السلالم وبدأ بشق طريقه مجدداً ناحية القيادة.

كنتُ قاربت على الوصول عندما سمعتُ شيئاً يصدر صوتاً كالسوط... صوتاً عالياً رناناً ك ووووش! نظرتُ لأعلى وأدركتُ أن واحداً من الأحبال التي تحكم الزورق أضحى مفكوكاً ويتحرك وسط الرياح كسوط يجلد ما يقترب منه... على الأرجح الحبل الذي قمتُ بفكه جزئياً في محاولتي للهرب، أخطأتني القطعة الحديدية المربوطة بطرفه للتو وكانت تعود الآن.. متجهة تماماً ناحيتي. وقفتُ مشلولة عاجزة عن الحركة، عاجزة عن التنفس، بينما تتقدم نحوي الكرة المدمرة للموت.

"سكاي!" دفعني داميان عن الطريق بفارق ميللي ثانية قبل أن تضرب.

تدحرجتُ على الأرضية لأسمع تصادماً، صوت الزجاج يتحطم، ثم فتحتُ عينيّ. لقد اصطدم الحبل بواحد من النوافذ والخطاف المعدني المربوط به تعلق في إطار النافذة، كان الزورق بالكاد ثابتاً بواسطة الحبلين الباقيين وبدا كأنه سينفكّ هو الآخر.

"داميان." التفتُ إليه.

كان مُلقى بجانبي لكنه لم يستجب، لأجد جرحاً بليغاً كبيراً بجانب رأسه والدماء تنزف منه ممتزجة مع الأمطار.

"داميان!" ركعت بجانبه.

أوه رباه، أرجوك استيقظ.

لكن كان جسده مرتخياً ورأسه يستدير من جانب لآخر مع حركة القارب كحصان بري من نوع (برونكو).

"داميان، أرجوك،" بكيتُ.

أنا لا أستطيع فعل هذا بمفردي.

تورم المحيط من حولنا في فوضى برّية مرعبة، إنني أحتاج إليه. أحتاج قوته الوحشية ليقهر

الأمواج ويأخذنا إلى مامالو. أحتاج برودة وغضبه اللامحدود كي يقودنا خلال العاصفة.
"ماذا تفعلين، سكاي؟" ظننت أنني سمعته يقول ذلك بينما أحمل رأسه النازف بحضني.
نظرت إلى القيادة، إن داميان لم يغلق الراديو، لايزال يصدر أصوات طنين في سكون. إنها فرصتي... لأهرب، لأرحل، لأستغل الفرصة، إذاً لِمَ لا أزال أتمسك بداميان؟
لأنه أنقذك.
لأنه دفعك بعيداً عن الطريق.
لأنك إن اتصلت السلطات، تعلمين أنهم سيسجنونه.
لا تكوني غبية، سكاي. قومي بالاتصال!
ترنحت إلى حيث الراديو، معدتي تسقط بكل مرة يتعرض القارب إلى موجة جديدة. تخبطت بين أزرار التحكم حتى فهمت أيها أضغط لأتكلم، ليس لدي أي فكرة عمن هناك في المياه المكسيكية، أو ما هي العملية الملائمة للقيام باتصال كهذا.

"هذه سكاي سيدجويك، مرحباً؟ هل يستطيع أي أحد سماعي؟
لا شيء.
"هذه سكاي سيدجويك. أنا الابنة المفقودة لـ وارن سيدجويك، لقد تم اختطافي وحالياً أنا بمكان ما قرب ساحل المحيط للمكسيك. علق قاربنا في عاصفة ونحتاج لمساعدة عاجلة. أرجوكم استجيبوا."
أغلقت عينيّ وكتمت نفسي، كانت محتويات الخزانة تقع بكل مكان... الكتب والمخططات والأقلام، عندما أتت رسالة مشوشة من الطرف الآخر.
"مرحباً؟" كررت. "هل أنت هناك؟"
الصمت مجدداً ثم صوت رجل. قال شيئاً بشأن عدم قدرته على استلام الرسالة واضحة ثم سمعت كلمة (هاتف).
"انتظر." قلت.
وجدت مفتاحاً مغروزاً في الدرج الذي كان يبقيه داميان مغلقاً، فتحته لأجد ثلاثة أشياء داخله:

صندوق معدني صدئ، مسدس، وهاتف لاسلكي.
"وجدته!" أمسكت الهاتف. "ما هو رقمك؟"
ضغطت على ما أملاني إياه الرجل واتصلت، يداي تهتزان بشدة وبينما أفسر الوضع.
"أين الرجل الذي اختطفك؟" سأل.
"إنه مُصاب، لقد فقد الوعي."
"هل يمكنك أن تمليني إحداثياتك؟"
"أنا لا أعرف كيف أقرأ هذه اللوحات."
استمعت بينما يرشدني وعندما قرأت الأرقام له.
"هل القارب آلياً؟" سأل.
"كيف أعرف؟"
أرشدني خلال ذلك أيضاً وجعلني أضبط المسار حتى نستطيع الالتقاء بقاربه أسرع.
"إننا لسنا بعيدين كثيراً، تماسكي جيداً ولا تفزعي. المساعدة في الطريق."
"شكراً لك." زفرت نفساً عميقاً مرتعداً.
إنه يحدث، سيتم إنقاذي. سوف أنجو من هذا النفق المعتم من الجحيم والمياه العالية، سوف أصمد وأعود إلى القبلات الثلاثة.. سأحصل على المزيد من الفطائر المحلاة أيام الآحاد ومع كل الإضافات التي يمكنني أن أحلم بها، فجأة امتلأت بتوق عميق لسماع صوت أبي مجدداً..
لأجعله يعرف أنني حيّة.
طلبت رقمه وانتظرت.
"مرحباً." بدا مترنحاً ومرهقاً. لابد أن الوقت متأخر حيث هو الآن.
"أبي؟" أردت النحيب لكنني لم أرغب بإقلاقه، لذا شددت على حلقي لأخنق العبرات داخله.
ساد الصمت على الطرف الآخر... السكون... بينما كل شيء حولي يعصف ويتماوج بعنف.
"سكاي؟" تلعثم. أعلم أنه كان يبحث عن نظاراته وكأن وضعه لها سيجعل صوتي حقيقياً.
"سكاي؟ أهذه أنت؟" كان منتبهاً تماماً الآن، مستيقظاً بالكامل.
"أبي." لم أستطع منع صوتي من التقطع.
"سكاي." هذه المرة لم يكن سؤالا، تمسك باسمي وكأنه كان يتخبط بحثاً عن طوق نجاة والآن وجده.

"أنا بخير، أبي." قلتُ بين نشيجي.
لم يقدر أي منا على إيجاد الكلمات لقول أي شيء آخر، كما أنني أبداً لم أسمع والدي يبكي قبلا.
"اخبريني أين أنتِ،" قال.
"أنا على متن قارب، لا أعلم بالضبط أين لكن سيتم إنقاذي. سوف أكون على اتصال عند....."
انقطع الاتصال قبل أن أكمل.
"مرحباً." توقفتُ. "مرحباً؟"
لقد نفذت البطارية، احتضنتُ الهاتف قريباً من صدري مدركة أن أبي لايزال على الطرف الآخر.
ابقِ معي.
ابق معي فقط لوقت أطول.
هدأت الرياح بالوقت الذي وضعتُ الهاتف بعيداً، وقد بدأت العاصفة بالانحسار. ثبت الزورق لكن بقيت الأمواج قوية. كان لا يزال داميان غائباً عن الوعي، جسده يتحرك بحركة القارب، أمسكت بعدة الإسعافات الأولية من الداخل وعدت لأمسك مسدس داميان، نظفتُ جرحه وضمدته بينما يتعلق المسدس بإحكام في بنطالي. لن أخاطر بعد الآن، كان الجرح عميقاً ويحتاج لقطب عديدة لكنني لا أعرف سوى الأساسيات لذا غطيته بشاش سميك، لكن لم يتخذه وقتاً قبل معاودة النزيف من خلال الشاش فأمسكت بقطعة قماش فوق جرحه آملة أن الضغط الذي أمارسه سيُبطئ النزيف.
كنا نسير بالقيادة الآلية عندما بدأ الرادار بإصدار صوتاً كالرنين. إن نجدتي أوشكت على الوصول.
دفعت شعر داميان بعيداً عن جبهته لأجدها بمغطاة بالدماء.
لماذا، إستيباندديدو؟
أردت النحيب لأن شخصاً أحببته قد مات في هذا الوجه، ولا أعرف متى أو أين، وأبداً لم أجد الفرصة لرثاءه. والآن سوف يأخذونه بعيداً..
الصبي داخل هذا الرجل.
شق البرق السماء للحظة ورأيته، إستيبان. أصابعه ملوثة، ابتسامته واسعة، وقد تذوق للتو الفراولة لأول مرة.

ماذا حدث لك؟

ماذا حدث؟

حاوطتُ رأسه وبدأت أهدهده بهدوء ذهاباً وإياباً.

ثم حضر القارب الآخر وبدأ الرجل بالتسلق آتياً إلينا.

"لا بأس، كل شيء سيكون على ما يرام،" قال.

"يمكنك ترك المِسدس الآن."

لم أدرك أنني كنتُ ممسكة به حتى أخذه مني. أمسك بالقماشة من بين يديّ وتفحص جرح داميان الذي بدا مصبوغاً بالأحمر القاني.

رمشت عينا داميان. "رافاييل،" همس عندما رأى الرجل. لتتحول الدماء داخل عروقي صقيعاً، أنا أعرف هذا الاسم. لقد سمعت داميان يتحدث إليه على الهاتف.

هل حصلتَ على ذلك؟ داميان قد قال لرافاييل، الرجل على الطرف الآخر من المحادثة، الرجل الذي كان يسجّل صرخاتي!

"أنا هنا، داميان،" قال الرجل الذي ظننته أتى لإنقاذي. "أنا هنا."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الأول :: سكاي

::: الفصل الحادي عشر :::

أبحرنا بجانب الخليج الصغير تلو الآخر على طول الساحل، مع رافاييل الذي يقود قارب داميان وصديقه مانويل يتبعنا في القارب الآخر. جلستُ ورأس داميان على فخذيّ، بينما ينزف طوال الليل. في بضع المرات رأيته يفتح عينيه لأجدهما فاقدتين لمعتهما. وكل مرة، يغلفني حزن بدائي لأنني أرى لمحات من إستيبان في تلك العيون. أياً يكن ما يشعر به، أياً يكن ما يفكر به، كان داميان يرقد أمامي عارياً الآن.. أستطيع الإحساس بكل آلامه، ليست من النوع الذي يتسرب خارجه ببطء.. لكن العذاب الذي كان مدفوناً داخله، يضرب القضبان الحديدية لقلبه دون طريقة للخروج.

تقلب داميان واهتز بينما حاولتُ أن أحتويه.

"شششش. شششش." لا أعلم متى بدأت في الهمهمة بتهويدة مامالو، لا أعلم إن كان لأجله أو لأجلي.. لكنها بدت أنها تريحه حيث توقف عن التخبط. كانت المياه هادئة الآن، لكن الجو بارد وكلانا مبللان حد النخاع، كان داميان يهتز

فقربته مني لأجده يستدير في حضني دافناً رأسه عند بطني.
إنه يعتقد أنه طفل صغير، ويظنني مامالو!
أردت أن أحتضنه أكثر، أردت أن أدفعه عني.
كيف أستطيع حتى أن أفكر بمواساة داميان؟
كيف لا أفعل؟!
غنيت له حتى بدأت الشمس بالشروق، حتى رسونا على جزيرة صغيرة ذات تلال مليئة بالغابات تنحدر ناحية المحيط لتقابل رمال الشاطيء البيضاء. على حد بصري، لم أجد مبانياً على الجزيرة، لا طرق، لا سيارات ولا خطوط تليفون.
حمل الرجلان داميان من القارب وحتى فيلا صغيرة مخفية بين أشجار النخيل، تأوه داميان وهما يضعانه برفق على الأريكة ذات ألوان الفلامنجو. بينما بقيت أنا مذهولة من قدرته على البقاء طوال الليل.. لا أحد يقدر على فقد كل هذه الدماء والنجاة! لكن بدا رافاييل أنه يظن عكس ذلك.
"سوف تنجو من هذا داميان، أتسمعني؟" قال رغم أن داميان أضحى شاحباً وغير مستجيب. أرسل مانويل بالقارب ليجلب الإمدادات الطبية، بينما شرع يبحث في عدة الإسعافات الأولية.
كان لديه نفس الطبيعة الداكنة كـ داميان، لكن إلى هنا وينتهي التشابه. يبدو رافاييل أطول ببضعة إنشات ذا شعر فاتح وعيون خضراء، لم يكن يرتدي ملابساً قبيحة بل تي-شيرت مصنوع من قطن نقي جيد والخامات كانت متقاطعة بشكل متعرج لتصبح مسطحة ومستقيمة، ساعته تساوي أكثر من قارب داميان كاملا، أما حذاؤه... حذاؤه يذكرني بالذي كان يرتديه داميان عندما اختطفني.. جلد إيطالي ناعم، صناعة يدوية.
حاولت فهم ما حدث، طرأ على بالي أن داميان كان بالفعل يتكلم مع رافاييل عندما ضربتنا العاصفة. من الممكن أنهما قد حددا بالفعل هذا المكان للقاء وكان رافاييل قريباً كفاية للحاق بنا كما أن المكان بعيد جداً حتى نمرّ عليه مصادفة. عندما اتصلت بالراديو، كان مضبوطاً

بالفعل على القناة التي كانا يستخدمانها للتواصل، لكن كان يمكن لأي أحد التدخل بالمحادثة ولهذا طلب مني رافاييل أن أحوّل للهاتف.

"كان يجب عليه أن ينهيكِ." نظر إليّ رافاييل بحدة وهو يقطب الجرح في رأس داميان.

"لقد كان يأخذني لرؤية مامالو،" إذا مات داميان، أعلم أنني سأكون في مشكلة أكبر مع رافاييل.

إنني لا أعرف مَنْ هو أو كيف تقابلا لكنني أحتاج أن أجد طريقة لأبقى عائمة، الشيء الوحيد الذي يسير لصالحي هو تلك المكالمة لوالدي. إنه يعلم الآن أنني حية ثم أن لدى الهواتف اللاسلكية نظام تحديد المواقع (GPS) لذا لن يتخذ الأمر وقتاً طويلاً ليتتبعوا الرقم ويضيقوا منطقة البحث إلى هنا.

"كان داميان يأخذكِ إلى بازا ديل مار؟" ارتفع حاجبا رافاييل. "إنه لا يأخذ أي أحد لرؤيتها أبداً."

"أنتَ تعلم مامالو؟" سألتُ، على الأقل أعرف أين هي الآن.

"إنني أعرف داميان منذ كان في الثانية عشر من عمره، لقد نشأنا معاً.. ولن أتوانى عن فعل أي شيء لأجله."

"إذاً، إذا حدث شيء له... إن مات... هل سوف تُبقي على وعده؟ ستأخذني إلى مامالو؟"

أنهى رافاييل تقطيب جرح داميان قبل أن يردّ.

"هل أبدو كـ سائقك؟" تقدم خطوة نحوي.

"خادمك؟" خطوة أخرى. "حارسك اللعين؟" بصق عند قدميّ. "إنكِ لا تعيرين أدنى اهتمام بشأن داميان أو مامالو، لذا لا تدعي أنكِ ترغبين برؤية مامالو بينما كل ما تريدين فعله هو إنقاذ نفسك. تعيشين في قلعتك العظيمة العالية ورأسك العظيم العالي في السحاب. الشخص الوحيد الذي تهتمين به هو أنتِ.. لأنكِ لا شيء سوى مدللة مزعجة. حسناً، احزري ماذا؟" جذب مسدسه ودفعه إلى صدغي. "أنا لن أدع داميان يتحمل عواقب السقطة. ربما هو تهاون معكِ،

لكن قد نفذ حظكِ الآن آنسة سكاي ابنة العظيم سيدجويك. سوف ننهي هذا الأمر، الآن!" لكزني لأسير ناحية الباب.
"لكنني..." اتجهت عيناي لداميان لأجده ضائعاً في نوم غير سهل.
"إنه لا يستطيع إنقاذك الآن، أيتها الأميرة.." قال رافاييل. "تقدمي، هيا للخارج."
سرنا حتى الشرفة المطلة على الخارج بين أشجار النخيل لجوز الهند.. وإلى الغابة.
"توقفي، هنا تماماً." قال رافاييل عندما وصلنا إلى أرضٍ خالية.
وقفتُ مولية إياه ظهري إنظر لأسفل حيث ظلّي على كومة الرمال.. ظل طويل ورفيع بسبب الشمس، تقدم رافاييل خلفي ليشكل معي ظلين كمخلوقات فضائية طويلة الأطراف.. وواحد منهما مستعد ليضرب الآخر بمسدسه الإشعاعي لينفيه إلى مجرة أخرى.
شعرت تقريباً بالراحة.. لترك الأمر، للاستسلام، للقبول. إن الأمل عمود فقري أجوف خال.. لا يمكنه دائماً حمل ثقل الحقيقة، كما أنني متعبة من تدعيمه.. متعبة من إصلاحه بكل مرة يتصدع. بالنهاية لا يمكنك غش الموت كل هذه المرات... يمكنك فقط المقاومة طويلاً، بقوة.
"فقط أمر أخير قبل أن تطلق الرصاص، رافاييل." استدرت ونظرت إليه بعينيه. "أحتاج أن أعرف، أخبرني ما حدث لإستيبان. أخبرني كيف انتهى به الحال كـ داميان."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل الثاني عشر :::

أول مرة رأى بها إستيبان سكاي، كان من خلال مجموعة من القضبان الخشبية. لم يعرف إن كانت هذه القضبان كي تبقيها بالداخل كالحيوانات الشرسة في حديقة الحيوان، أو كي تبقيه هو خارجاً كنوافذ العرض التي يضغط أنفه تجاهها منبهراً عندما يذهب للمدينة الكبيرة مع مامالو.

"لِمَ يبقونها في قفص؟" سأل.

"إنه ليس قفصاً." ضحكت مامالو.

"إنه مهد للأطفال،" قالت أدريانا سيدجويك، والدة الطفلة والتي تبدو كأنما خطت للتو من إحدى المجلات اللامعة التي تقرأها.

كان إستيبان في الرابعة حينها ولم يرَ مهداً من قبل، فهو ينام مع مامالو في غرفة صغيرة ضمن جناح الخدم. أعجبه العيش هناك بشدة أكثر من العيش مع شقيق مامالو، فرناندو.

في بعض الأيام كان يأتي فرناندو مخموراً ليجد أن مامالو أغلقت الباب وتركته خارجاً، بتلك الليالي كان يصيح ويلعن ويضرب على الباب

بقوة. وفي بعض الأحيان الأخرى كان يجلب معه (إيلوتي) أي الذرة المسلوقة في أكوازها، ويصفهم ليعبث بهم بمديّته. لم يكن يقدر إستيبان وقتها على توقع أي الأيام سيكون هذا لذا كان يسير دائماً على قشر البيض حول خاله.

بليلةٍ ما، أتى فرناندو مع صديق.

"تعال، إستيبان." لوّح للفتى ليأتي. "قل مرحباً لصديقي.. فيكتور ماديرا."

حينها أتت مامالو وتحوّلت نظرات فيكتور ماديرا سريعاً. "وهذه هي...؟" سأل.

"أختي، ماريا لويزا." ردّ فرناندو.

لم يستطع فيكتور أن يبقي عينيه بعيداً عنها، لقد سمع عن ماريا لويزا.. بالنهاية عمله هو معرفة التفاصيل عن كل شخص وكل شيء.

أخبره فرناندو أشياءاً بشأنها كان على الأرجح يجب أن يبقيها لنفسه، لكن عندما تجد للرجل ضعفاً.. كالمقامرة أو الكحول أو النساء.. يمكنك دائماً جعله يتحدث.

"أخبرني فرناندو أنكِ تبحثين عن عمل،" قال.

"هذا صحيح،" ردّت وثوبها يتمدد بضيق عند مقدمة صدرها.

"ربما يكون لدي شيء لكِ." لم يرغب فيكتور بشيء أكثر من رؤيتها عارية.

تلك الليلة، ذهب إلى أدريانا سيدجويك وأخبرها أنه وجد لها مربية.

"أخبرها أن تأتي لرؤيتي غداً لأجل المقابلة،" قالت.

عمل فيكتور كحارس شخصي لوالدها، رجل أعمال ثري يتعامل مع عالم الجريمة المكسيكي، لذا يعد أمن عائلته قلقاً رئيسياً. وقد وظف والدها فيكتور منذ سنوات طويلة لكنه كان لا يشعرها بالراحة، تتمنى لو أن والدها لم يصرّ على مصاحبة فيكتور لها عندما تزوجت وارن.. لكن ذلك كان واحداً من شروطه. الشرط الآخر أن يدخل وارن بأعمال عائلتها.

"بشأن ماذا كان كل ذلك؟" سأل وارن وهو يحيط ببطن زوجته الحامل ويدس أنفه بعنقها.

لم تجبه، لتختار بدلاً من ذلك أن تشبك أصابعها بأصابعه وتقوده إلى حيث تركلها الطفلة. "هل ندمت يوماً؟" سألته.
"ندمت على ماذا؟"
"زواجك مني، ترك سان دييجو لأجل بازا دي مار، التورط مع عائلتي."
"أدريانا لقد تكلمنا بهذا سابقاً. إلى جانب أنهم ليسوا متورطين بشكل مباشر ولا أنا كذلك."
"غسيل الأموال يعتبر تورطاً مباشراً، لا يهم كم شخص يفصلنا عنهم، أعلم أنك فعلت ذلك لأجلي. والدي..."
"والدك رأى أمريكياً يافعاً واقعاً في الحب مع ابنته ومنحه خياراً. رأى شخصاً يستطيع إخراج المال من المكسيك وأنا رأيت فرصة لمنحك كل الأشياء التي اعتدت عليها، نجمع حصتنا وخلال بضعة سنوات، نرحل. هذه هي الخطة حبيبتي.. بسهولة وسلاسة." قبّلها. "إذا ماذا كان يريد فيكتور؟"
"يقول أنه يعرف واحدة يمكنها أن تكون مربية جيدة."
"أصبح فيكتور يوصي بالمربيات الآن؟"
ضحكت أدريانا. "إن كانت تشبهه في أي شيء، لا أظنني سأحبها."
لكن دهشت أدريانا بشدة، لقد كانت تتوقع واحدة أكبر، أقسى... لكن مامالو كانت نابضة بالحياة والنشاط، ذكية ومتقدة الذهن، تتحدث الإسبانية وتحول إلى الإنجليزية بسهولة وطلاقة... وما أعجب أدريانا بشدة هو أنها أتت ومعها ابنها على فخذها.
"هذا إستيبان،" قالت وكأنه إنجازها الأعظم.
سألتها أدريانا الأسئلة لكن أكثر من ذلك، كانت تراقب كيف يتفاعلان سوياً.. بنهاية المقابلة تأكدت، إن كان هناك مَن يقدر على مساعدتها في نشأة طفلتها... ستكون مامالو، ورغم أنها المربية.. لم تكن تخشى فرض الانضباط.. عرفت متى تحجم ومتى تعطي، مليئة بالقصص عن كل شيء.. حقيقة كانت أو من الخيال، دوماً هناك شيء آسر وسحري بشأنهم...

بشأنها هي.
"لن تولد الطفلة إلا بعد أسبوع آخر، لكنني أحب أن تستقري وتعتادي العيش معنا... هل يمكنكِ البدء غداً؟" سألت أدريانا.
وهكذا بدأت صداقة عميقة ودائمة بين امرأتين مختلفتين تماماً.
ماتت أدريانا عندما كانت سكاي في الثالثة من عمرها، كانت في المدينة تزور والدها عندما حدث الأمر... كل شخص علم أن الرصاصة كانت موجهة نحوه بسبب نزاع مع الـ كارتل -عصابة-. وبعدما دفن ابنته قطع كل اتفاقاته معهم لكنه لم يستطع سحب ابنه بالقانون معه وقد أرادوا شخصاً معه جواز سفر أمريكي وأرادوه بشدة لدرجة تهديده بـ سكاي. اتخذ الأمر من وارن ست سنوات لينفصل عنهم وفي ذلك الوقت عملت مامالو بشدة كي لا تشعر ابنة أدريانا أبداً بفقدان الأم.. أحبتها كأنها ابنتها هي. عندما كانت تستيقظ سكاي، كانت مامالو أول شخص تراه وعندما تنام.. تنام على صوت مامالو.

استاء إستيبان من الفتاة الصغيرة التي سرقت منه أمه، أراد كل ابتسامات مامالو وكل تهويداتها له. في الليل، كان ينتظرها أن تأتي وعندما لا تفعل.. يتسلق الشجرة حيث نافذة سكاي ويجلس هناك منزعجاً.
كبرت سكاي على المهد وبدأت تنام على السرير وإلى جانبها تجلس مامالو، في بعض الأحيان كانت تنادي إستيبان ولكنه دائماً كان يرفض.. إنه متأكد تماماً أن الفتاة الصغيرة ليست حقيقية، شعرها بلون الهالات التي رآها في لوحات الكنيسة، والضوء من المصباح جانب السرير جعله يبدو ريشاً ذهبياً ناعماً، لذا لن يخدع إستيبان.. إنه يعلم منذ أول يوم أنها ستطير بعيداً في يوم ما لكن حتى ذلك الحين هي تدعي أنها حقيقية حتى تبقى مامالو معها وتعتني بها.
أصبح يأتي إستيبان إلى غرفة سكاي كل يوم ليلحق بقطع وأجزاء من قصص مامالو، وبمرور الوقت أضحى يتسلق ثم يدخل من النافذة ويجلس

على الأرض حتى يسمع ما تقول، يقترب للأمام.. قليلا قليلا حتى أصبح يقدر على الاستناد على ساق مامالو. وبليلة ما غنت التهويدة التي اعتادت أن تغنيها له عندما كان صغيراً.. عرف إستيبان أنها غنتها له لأن سكاي نائمة، لكن بمجرد أن توقفت مامالو عن الغناء، استدارت سكاي.

"مجدداً، مامالو." قالت.

"لا!" وقف إستيبان وانتزع مامالو منها. "إنها تهويدتي أنا!"

"بان؟" حكت عيونها الناعسة ونظرت إليه.

"إنه إستيبان، ليس بان!"

"بان." خرجت من السرير ساحبة معها الغطاء ثم تركته عند قدميه.

"ماذا تريد؟" راقبها إستيبان بحذر.

"تريدك أن تبقى،" قالت مامالو.

لفت الفتاة الصغيرة يدها حول يده قبل أن يقدر على التسلق عبر النافذة، شعر بأصابعها الصغيرة الممتلئة حقيقية جداً وهي تشده ليجلس، تمددت على الغطاء ووضعت رأسها على فخذه، ليقع إستيبان في الحيرة. نظر إلى مامالو لكنها فقط غطت الفتاة بغطاء آخر وأكملت التهويدة، لم يحرك إستيبان عضلة حتى غرقت سكاي بالنوم، وبعدما تأكد أنها لن تستيقظ.. لمس شعر الملاك الذي تمتلكه.

هاه! إنه كذلك حقيقي!

كل يوم بعد ذلك، أصبحت الفتاة الصغيرة تبحث عن إستيبان، ترفض النوم حتى يتسلق عبر النافذة.

بان تحولت إلى إيبان.

وإيبان تحولت إلى تيبان.

وتيبان أصبحت إستيبان.

وكان هو الآخر قد بدأ يأتي لأجل مامالو لكن الآن أضحى يأتي لأجل سكاي. وبينما تمر الأيام، كبرت صداقتهما.. علمها كيف تصنع الطائرات الورقية من أوراق الجرائد وعصيان الكنس.. وهي عرفته على الأقراص المدمجة التي يأتي بها والدها لأجلها من الولايات. وعندما كانا يستمعان إلى أغنية (قطرات من المشترى)

أضفت الشمس لمعانها على شعر سكاي ليفكر إستيبان أن كوكب المشترى حتماً مصنوع من أكثر الدرجات الذهبية شحوباً مقارنة بشعر سكاي، وفي بعض الأحيان تخيل أن كل المجرات تتسع داخل العقد الذي ترتديه.
عندما كان يشاهد وارن سيدجويك مع سكاي، كان يتساءل كيف سيكون الحال لو أن لديه أب، وتمنى ألا تتزوج مامالو من فيكتور الذي كان يتسلل عندما يظن أنهما نائمان. بتلك الليالي، كانت تجذب مامالو الستائر التي تفصل الغرفة لجزئين فلا يقدر على رؤيتهما خلال القماش السميك لكنه كان يقدر على سماعهما وكم كره الأصوات الثقيلة الجشعة التي يصدرها فيكتور.. وكان يعلم دائماً متى سيزورهما فيكتور، لأن مامالو لم تكن تغني طوال ذلك اليوم.
بليلة، تشاجر فيكتور ومامالو وطردته، فأتى في الليلة التالية ومعه الزنابق البيضاء في وعاء من الفخار.

"تزوجيني، ماريا لويزا،" قال، وقد كان يصرّ على مناداتها ماريا لويزا لأنه لا يستطيع تحمل فكرة أنها والدة إستيبان أو أن رجلاً آخر قد لمسها.
لم تردّ مامالو وبدأت في غلق الباب في وجهه.
"إذاً هذا هو ما آل إليه الحال؟" ضرب قدمه في الباب. "هل نسيتِ مَن أنقذكِ من فرناندو، مَن أتى لكِ بهذه الوظيفة وبمكان لكِ ولابنكِ؟"
"كان ذلك منذ سنوات مضت، فيكتور. وقد كنت أدفع مستحقاتي منذ ذلك الحين. لقد اكتفيت، ولا أريد أي شيء يتعلق بك بعد الآن."
أجبر فيكتور الباب على الفتح وألقى بالأزهار بعيداً، لتتحرك مامالو للخلف متعثرة تدوس على الطين والأزهار المتساقطة.
"تظنين أنكِ أفضل مني، أليس كذلك؟" سخر فيكتور. "هل أخبرتِ ابنكِ أنه ابن غير شرعي؟" شهقت مامالو.
"تظنين أنني لا أعلم؟ أوه نعم. أخبرني فرناندو، لم يمت والد إستيبان في حادثة صيد.. بل رحل وأنتِ تخططين لزفافكِ الصغير، لم يرغب بأي

شيء يتعلق بكِ أو طفلك اللقيط. وها أنا ذا أمنحكِ الفرصة لاستعادة شرفك.. يجب أن تكوني ممتنة أنني مستعد لمنح الصبي اسمي."
"إنه لا يحتاج لاسمك، ولا أنا كذلك. أفضل أن أعيش بلا شرف على أن أحمل اسم رجل يتاجر بحيوات الناس لأجل المال."
"إنني حارس شخصي، إنني أدافع عن الناس."
"إذاً أين كنتَ عندما أصيبت أدريانا سيدجويك؟ كان يفترض أن تكون معها. يبدو الأمر سهلا للغاية أنه تم مناداتك حينها، في الواقع.. أستطيع أن أراهن أن...."
"اخرسي!" أمسك فيكتور مامالو من عنقها وهزها حتى أضحت تلهث.
نهض إستيبان من الفراش وانقض عليه، ضرب رأسه في معدة فيكتور محاولا إزاحته. "دعها!" لكن فيكتور أقوى بكثير، ترك مامالو وهو يبقي إستيبان بعيداً، ركل إستيبان ولكم الهواء قبل أن يطيح به فيكتور بعيداً.
"سوف تندمين على هذا." أشار إليها بإصبعه، صوته بارد وقاس.
"اخرج،" قالت مامالو. "اخرج قبل أن أنادي سينيور سيدجويك!"
بصق فيكتور عند قدميها واستدار على عقبيه، بينما وقفت مامالو بطول واستقامة حتى رحل.. عندها اندفعت ناحية إستيبان.
"هل أنتَ بخير، كارينيو؟"
ابتلع إستيبان الغصة في حلقه.
"أهو صحيح ما قاله؟ والدي لم يمت؟ هو فقط... رحل؟ لم يرغب بي أبداً!".
"لم يكنِ خطأك، إستيبان. لقد كان خطئي أنا، كنت يافعة وحمقاء.. ظننته يحبني."
على حد ذاكرته، دائماً كانت مامالو مقاتلة، فخورة وقوية وأبداً لم تبكِ.. لكن الآن تعلقت الدموع كبيرة بحافة رموشها بينما تحاول كبتهم داخلها بقدر ما تستطيع، لكن عندما رمشت.. انحدروا تاركين آثارهم المبللة على خديها.
ثم بدأت مامالو بالبكاء... أنّات غريبة مزقت

إستيبان إلى أشلاء، لقد كان عاجزاً عن الدفاع عنها.. لم يعرف كيف يريحها لذا فعل الشيء الوحيد الذي يريحه هو... وضع رأسه بحضنها وغنى لها.

آي، ياي، ياي، ياي،
غنّي ولا تبكي....

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل الثالث عشر :::

وقع إستيبان بالعديد من المشاكل بعد ذلك، أصبح يبقى متأخراً في القرية يشاهد الرجال الطيبين يفوزون على الأشرار في الأفلام الكثيرة الغربية التي أضحى يعشقها، يعتبر نفسه (بلوندي) صائد الجوائز المحترف في إطلاق الرصاص من فيلم (الطيب والشرس والقبيح).. عدا أنه لم يكن يسعى خلف قليل من الدولارات، بل كان القوي الذي سيحمي مامالو. كانت هنالك فقط مشكلة واحدة عندما يعود إلى المنزل، حيث يتحول هو ليصبح مَن يحتاج الحماية.. من مامالو!

"إستيباندیدو!" كانت تناديه هكذا فقط عندما تكون غاضبة، وعندما تغضب مامالو تسعى خلفه بالمكنسة.

كل مرة يشعر إستيبان بالألياف الخشنة تحكّ ظاهر ساقه، يسرع أكثر في الركض حتى تستسلم مامالو، حيث تعود للداخل مجدداً لكن تترك المكنسة عند الباب، فينتظر إستيبان لفترة قبل العودة.

"مامالو، إنه أنا." يجرّ قدميه عند المدخل. "إن إستيباندیدو خاصتك بالمنزل."
كانت دائماً تفتح الباب وتمنحه نظرة صارمة. وعندما يرتجف بكفاءة تحت نظرتها المميتة.. تستدير وتعود إلى الفراش. ودائماً تترك له طبقاً من (توستاداس) -أكلة مكسيكية- وكأس من الـ(هورتشاتا) وهو مزيج من الحليب واللوز والبندق، فيأكل في العتمة ويبتسم... يحلم باليوم الذي سيركل مؤخرة فيكتور به.
عندما رأى إستيبان أول فيلم حركة ومهارات قتالية، رسم وجه فيكتور على جدار وأخذ يضربه.. ذلك تسبب له فيما يعادل سنة من الأعمال المنزلية الشاقة.. إن مامالو لم تكن تؤمن بالتعامل بتساهل. بالطبع لم تساعد حقيقة أن فيكتور دائماً يزعجه ويتنمر عليه، كانت طريقة سريعة مؤكدة لإزعاج مامالو وقد استمتع فيكتور كثيراً بتعذيبها بسبب رفضها له. عندما لكم إستيبان واحداً من الأطفال في عيد مولد سكاي، بالكاد استطاع فيكتور إخفاء فرحته.. لذا سحبه من ياقته آملاً أن تتبعه مامالو تتوسله أن يتساهل معه، لكنها كانت أكثر كبرياءً لفعل ذلك.
بالنهاية، اتضح أن الأمر ليس مرضياً كما ظنّ فيكتور، كان يجب على قطع الأعشاب الضارة الخشنة بالمقص أن يحطم إستيبان لكن الصبي لم يشتكِ.. لقد هوّنت متعة كسر سن جيديون بينيديكت سانت جون الأمر، ذلك إلى جانب حقيقة أن وارن دعاه ليحضر الصفوف مع سكاي مما جعل إستيبان يبتسم.. حتى رغم احمرار ركبتيه وكوعيه بحلول انتهاء عمله.
لم يرغب فيكتور بشيء أكثر من محو تلك الابتسامة المغيظة من على وجه إستيبان، لكن لديه أشياء أهم لفعلها.. إن وارن سيقابل (إلشارو).. زعيم المخدرات شبه الأسطوري الذي يدير فرعاً مربحاً ضمن الكارتل في مدينة سينالوا بالمكسيك، بل هي أول مقابلة وجهاً لوجه مع الزعيم... والأمر يعود لفيكتور في تدبير أمور الأمن. إن إلشارو يسافر مع حراسه الخاصين لكن

يجب على فيكتور التأكد أن تم مسح كل شيء بذلك اليوم وأن يتأكد من تجنب الخدم للمنزل الرئيسي تماماً. حتى الآن لا يستطيع أحدهم إثبات اتصال وارن مع منظمة الكارتل ومن المهم للغاية أن يتأكد ألا يوجد شهود لهذا الاجتماع. بيوم الاجتماع ذلك، وضع فيكتور رجالا إضافيين عند البوابة وحول الأسوار وما يحيط المكان. وعندما اقترب الموعد.. ذهب إلى الداخل ووقف أسفل الدرَج بانتظار وارن.

أخذ وارن نفساً عميقاً بينما يتطلع إلى انعكاسه بالمرآة، لقد انتظر ست سنوات لهذا اليوم.. يجب عليه أن يقنع إلشارو أن يحرره من العمل مع المنظمة لكن لن يكون الأمر سهلا. لا أحد يخرج من الأمر نظيفاً تماماً.

حمل وارن صورة له وأدريانا في يوم زفافهما وتتبع ابتسامة زوجته.

أشتاق إليكِ كثيراً، حبيبتي.

سمع ضحكات صادرة من غرفة سكاي، فوضع الصورة المؤطرة مكانها مجدداً.

سوف أخرجها من هنا، أدريانا. مهما تطلب الأمر، أعدكِ.

"مامالو." طرق على باب غرفة سكاي. "إنني أنتظر ضيفاً مهماً،" قال عندما فتحت الباب.

"تأكدي أن تبقي أنتِ وسكاي هنا حتى انتهاء اجتماعي. لا يمكن إزعاجنا تحت أية ظرف."

"أجل، سينيور سيدجويك." شاهدته يتجه نحو أسفل الدرَج، وقد ترك الأمر بيد فيكتور لاستقبال السيارة التي ركنت للتو عند المنزل. كانت على وشك إغلاق الباب عندما دخل إستيبان من الباب الخلفي وهو يحمل مذكرة وقلم رصاص. لقد نسيت أن تخبره أن أول حصة له مع السيدة إدموندز قد ألغيت.

"إستيبان!" لوّحت له من فوق الدرج. "اذهب للمنزل. لا يوجد درس اليوم، وتأكد ألا يراكَ سينيور سيدجويك. لا يفترض أن يتواجد أحد هنا. أتسمعني؟"

"حسناً" لم يكن لدى إستيبان أية فكرة عما يحدث لكن عندما تستخدم مامالو هذه النبرة،

لابد أن ينصاع.
عادت مامالو إلى غرفة سكاي وأغلقت الباب، للحظة فكر إستيبان إن كان يجب عليه التسلل خلسة إلى فوق لكن فتح الباب الأمامي ودخل وارن مع مجموعة من الرجال. لم يرغب إستيبان في الوقوع بأية مشكلة جديدة لذا اتجه ناحية غرفة الطعام. زحف إلى داخل مخبأه السري في الصندوق منتظراً أن يمرّوا حتى يمشي لكنهم دخلوا الغرفة وجلسوا على الطاولة، أغلق فيكتور الباب ووقف خلف وارن. لم يستطع إستيبان رؤية ملامح بقية الرجال... كل ما يراه وهو ينظر خلال الثقبين هو أرجلهم.
"إنه لشرف كبير،" قال وارن. "لم أكن أتوقع جميعكم."
"لقد قمنا بالعديد من الأعمال على مدار وقت طويل، وقد حان وقت اللقاء." قال الرجل الجالس جانب وارن.
"بالطبع، اسمحوا لي أيها السادة أن أقدم لكم الشراب؟" وقف وارن وسار ناحية الصندوق، ليسمع إستيبان بعدها من فوق أصوات الثلج.
حينها، فتح الباب وركضت سكاي للداخل.
"إستيبان! نسيت أن أخبره....."
"سكاي!" تعثرت مامالو خلفها محاولة كبحها.
"أنا آسفة للغاية، سينيور سيدجويك."
مضت لحظات من الصمت التام. ليستدير بعدها وارن ببطء شديد ويواجهها. نظرت مامالو حولها على الطاولة ثم نظرت بعيداً سريعاً.
"آسفة على الإزعاج. تعالي، سكاي." بدأت تجذب سكاي بعيداً.
"لكن..." استدارت سكاي محاولة النظر خلف والدها حيث المكان الذي يختبيء به إستيبان عادة.
"عودي لغرفتك، سكاي." بدا صوت وارن معتدلاً جامداً. "أيها السادة، أعتذر عن المقاطعة." قال بعدما رحلت مامالو مع سكاي.
بدا لإستيبان أن الغرفة ملأها الصمت لوقت طويل، طويـــل.
"لقد تعرضنا للاكتشاف." قال الرجل الذي

تحدث سابقاً.
"تلك مربية ابنتي وقد كانت معنا لسنوات عديدة. يمكن إئتمانها، إلشارو.. أمنحك كلمتي." ردّ وارن.
همس الرجل بجانب إلشارو شيئاً له بينما تكلم الآخرون فيما بينهم.
"نحتاج ضماناً أكثر من هذا، خاصة إن كنتَ تخطط للرحيل. لدينا بنود تحريرك من العمل لكن لا يمكننا تحمل أية أمور عالقة، ليس أمرنا فقط ما نحن قلقين بشأنه، أتفهم؟ إن لديكَ ابنة صغيرة. متأكدٌ أنك لا ترغب أن تتورط بكل هذا."
بدأ وارن في قول شيء لكنه عدل عن قراره، إن إلشارو يحاصره كلياً.. إن لم يفعل أي شيء بشأن مامالو فحياة سكاي على المحك، إنه يعلم كذلك أن السبب الوحيد الذي يجعل إلشارو مستعداً لتركه وشأنه هو أن والده بالقانون.. والد أدريانا قد استخدم صلاته ليساعده هو وسكاي بالهروب من هذه البلاد بعيداً عن الكارتل.

"أتفهمك،" ردّ. "سوف أعتني بالأمر."
"كلما أسرعت، كلما كان أفضل." قال إلشارو.
استمر الاجتماع لكن الكثير مما قاله الرجال لم يفهمه إستيبان، كان فقط ممتناً عندما نهض الرجال ومدوا أيديهم للسلام.
بعدما تركوا الغرفة، استدار وارن ناحية فيكتور. "ذلك الموقف مع مامالو، اعتنِ به. لا شيء.... دائم، أتفهم؟"
منحه فيكتور إيماءة مقتضبة وتبعه خارجاً، راقبهما إستيبان يرحلان لا يعلم ما يحدث لكنه علم أنه لابد من إخبار مامالو.. إنه لم يرَ وارن أبداً بهذه الحالة.. مرهق ومكتئب.
انتظر إستيبان حتى عمّ الهدوء المنزل قبل أن يخرج من مخبأه، كان الجو معتماً ما إن عاد إلى جناح الخدم. وبينما يتقدم رأى فيكتور يخرج من غرفتهما. اختبأ إستيبان خلف شجرة بينما يسير فيكتور الذي لم يكن قد عاد منذ تلك المرة التي رفضته بها مامالو. هناك ما يحدث ولا يعجب إستيبان، انتظر مامالو لكنه نام قبل أن

تأتي.
غطته كالعادة وقبّلت خده. قلبها توجع لدى إدراكها أنه ربما ذهب للنوم جائعاً.
"مي تشيكيتو -صغيري-، إستيباندديدو خاصتي."
ضبطت مامالو المنبه مبكراً، تنوي أن تحضر له إفطاراً كبيراً. طبق (بان دي يما) وهو الخبز المحلى بالسكر يُصنع بالكثير من صفار البيض، يُرَص في وعاء كبير من الشوكولا الساخنة ممتزجة مع القرفة.
لكن لم يحصل إستيبان على فطوره أبداً، استيقظ على الأضواء الفلاشية القاسية الموجهة نحو وجهه. كان بمنتصف الليل والغرفة مليئة بالرجال ذوي الملابس الداكنة.
"إستيبان!" سمع مامالو تصيح لكن تم تغشية عينه.
"مامالو." تعثر خلف صوتها لكنهم كانوا يسحبونها بعيداً.
أمسكه أحدهم من ياقته بينما حاول إستيبان التحرر لكن كل ما استطاع فعله هو المشاهدة وهم يضعونها في سيارة ويذهبوا بعيداً.
"أنتَ ستأتي معي،" إنه فيكتور.
"إلى أين يأخذون مامالو؟" تحرر إستيبان من قبضته وحدق به.
"إن كنت ترغب برؤيتها مجدداً، ستفعل كما أقول. إينتيندِيز -أتفهم-؟؟"
أومأ إستيبان، يعلم أن ما يحدث الآن متعلق بما حدث هذا النهار لذا تبع فيكتور إلى السيارة الأخرى.
"سوف آخذكَ إلى خالك، فرناندو. وستبقى هناك حتى يُحَل وضع مامالو."
"أي وضع؟" ارتجف إستيبان في بيجامته الليلية بينما يذهبان عبر الأشجار الطويلة الكثيفة إلى بازا ديل مار، وقد ترك حذاءه بالمنزل.
لم يجبه فيكتور.
وعندما وصلا إلى منزل فرناندو، أمر فيكتور إستيبان أن ينتظر بالخارج. استطاع إستيبان سماع الرجلين يتكلمان، ثم ترنح فرناندو للخارج برائحة كالقذارة والخمر الرخيص.

"انظر إلى ما أعطاني إياه سينيور سيدجويك لأعتني بك." كان لديهِ أموالا كثيرة بيديه.
"تعال يا مصدر ربحي. تعال واحضن خالك."
سار إستيبان متجاهلا إياه، وقد كره كل شيء يتعلق بمنزل فرناندو.. الرطوبة، الأراضي الباردة، الذكريات عنه وماماليو يرتعدان في غرفتهما.
لماذا أرسله وارن إلى هنا؟
"أين ماماليو؟" سأل فيكتور.
"كان يجب على أمك أن تقبل عرضي بالزواج، لكنها لم تظن أنني جيد كفاية لها، والآن ها هي تقبع حيث تستحق أن تكون... ولا أحد معها ليحميها." ابتسامته جعلت إستيبان يقشعر.
"أخبرني أين هي!!" صاح إستيبان خلفه وهو يسير مبتعداً.
"اخرس." وضع فرناندو كفيه على أذنيه يعتني بسكره الأبدي. طوى رزمة المال التي أعطاها إياه فيكتور وبدأ يتجه للخارج. "اذهب للنوم، لقد تم أخذ أمك إلى ڤالديموروس، ولا يوجد شيء يمكن أن تفعله أو أفعله أنا بشأن ذلك."

ڤالديموروس.
ارتعب إستيبان، إن ڤالديموروس هو سجن النساء.. يبعد بضعة أميال عن بازا ديل مار.
لم يكن لدى إستيبان أي فكرة عن سبب أخذها إلى هناك أو كم المدة التي ستنقضي قبل خروجها. فتح الباب لغرفة النوم الفارغة وغرق في السرير، كانت حاشية الفراش رفيعة والأغطية قذرة.. شك أن فرناندو قد غسلهم منذ رحيل ماماليو وهو إلى كاسا بالوما.
بدا عمل ماماليو كالنعمة وقتها، لكن الآن يشعر إستيبان أنه بداية لكارثة لم يتوقعها أي منهما.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل الرابع عشر :::

إن ڤالديموروس عبارة عن جدار لا نهائي فوقه لفات من الأسلاك الشائكة ومتقطع بأبراج الحراسة، يتكون المركز من بوابة معدنية ثقيلة تفتح لتدع السيارات المصفحة داخل وخارج المنشأة. عند أقصى النهاية يوجد مبنى مجاور.. مدخل حزين صغير جداً للزوار، يبدو وكأنه عربة يدوية بعجلة واحدة بغير موضعها تلاحق قطاراً عملاقاً رمادي اللون.

شعر إستيبان بالصغر والعجز بينما يقف بظل هذا الجدار المنذر بالسوء، يملأ الأبراج ضباط السجن ومعهم بنادق القناصة بينما يقوم الحراس بالدوريات عند البوابة الرئيسية حيث الحاجز دون نوافذ. إن مامالو بمكان ما خلف هذه الواجهة المنيعة ويجب أن يجد إستيبان طريقة لاختراقها.

وقف إستيبان في الصف الطويل عند بوابة الزوار، نظر إليه الحارس مقيماً عدة مرات عندما أصبح دوره.

"معذرة،" قال إستيبان بعدما وجده يدخل رجلاً

آخر مكانه. "أنا هنا لرؤية والدتي."
لكن ادعى الحارس أنه لا يسمعه، قضى إستيبان اليوم كاملاً يتم تنحيته بعيداً لكنه لن يستسلم. عندما تغير الحارس، ارتفعت آماله لكن تجاهله الثاني أيضاً.
"إليكَ،" قال رجل كان ينتظر بقدره تقريباً وأعطاه قرطاساً ورقياً مليئاً بالفول السوداني المحمص. "لن يدخلوك إلا إذا دفعتَ لهم."
نظر إليه إستيبان بعدم فهم.
"اذهب للمنزل، يا فتى." نفض الرجل الغبار عن بنطاله ونهض. "إنك تضيع وقتك."
في الليل، عندما تضاءل طول الصف حاول إستيبان مجدداً، لقد كان متأكداً أنه إن انتظر طويلاً كفاية سيدعه أحد الحراس يدخل..
لكن التالي كان بقدر الآخرين وضاعة لدرجة أنه طارده بعصا.
عاد إستيبان في اليوم التالي، واليوم الذي يليه، والذي يليه... وأخيراً اعترف أحد الحراس بوجوده.

"اسم السجينة؟"
"ماريا لويزا ألفاريز."
"اسمك؟"
"إستيبان سامويل ألفاريز."
"هل جلبتَ لي الغداء؟" سأل الرجل.
"الغداء؟"
عقد الحارس ذراعيه وضيّق عينيه. "لقد رأيتك هنا كثيراً مؤخراً، ألم تتعلم بعد؟ مَن سيدفع ثمن غدائي؟"
أدرك إستيبان فجأة كيف يسير الأمر هنا.
"كم ثمن.... غداءك؟"
"ثلاثمائة وخمسون بيزو، أميجو. تستطيع رؤية والدتك كل يوم لمدة شهر."
"بكم لأجل يوم واحد فقط؟"
"نفس الثمن."
"أرجوك، ليس معي أية نقود، فقط دعني أراها. غداً سأعود مع خالي.. سأجلب غداءك و...." قال إستيبان.
"لا نقود، لا مادري -أم-." هشّه الحارس بعيداً

بعلامة من يده.
حل الشخص التالي بالصف محل إستيبان وقد كانت امرأة ليشاهدها وهي تعطي الحارس شيئاً في الخفاء. من الواضح أن الجميع يعلم كيفية سير الأمور، فكر إستيبان في الرزمة الكبيرة من الأموال التي أعطاها فيكتور إلى فرناندو.
عندما وصل المنزل، وجد فرناندو فاقد الوعي في بركة من لعابه السائل.
"تيو -خالي- فرناندو،" حاول إيقاظه لكنه أدرك أنه لا فائدة. فتشه إستيبان ليجد بضعة عملات في جيبه لكن فرناندو أضاع كل الأموال معه على الخمر.
"لا، لا، لا!" أراد إستيبان أن يمزقه حتى يستطيع أن يأخذ الثلاثمائة وخمسين بيزو من كبده الأسود المغمور بالكحول.
شرع يبحث في المنزل بأكمله، لكنه لم يجد شيئاً، ولا حتى علبة من الفاصوليا يمكنه بيعها مقابل بعض المال.
لم يجد إستيبان حلاً آخر سوى العودة للرجل الوحيد الذي يقدر على مساعدته:
وارن سيدجويك.
اعتن بالأمر، لقد أخبر فيكتور سابقاً بالضبط كما أمره عندما ضرب إستيبان جيديوت.
إنه متأكد أن وارن كان سيتدخل إن عرف بشأن العقوبة التي دبّرها له فيكتور وقتها، ومتأكد تماماً أنه سيتدخل الآن إن علم بالضبط كيف قام فيكتور بـ(الاعتناء بأمر) مامالو. إن إستيبان يؤمن أن والد سكاي رجل عادل، لقد حاول حماية مامالو من إلشارو.. الرجل الذي لم يرَ إستيبان وجهه. وقد أرسل وارن الكثير من النقود لكي يتم الاهتمام بإستيبان.. دون أن يعلم أن فرناندو سكير قذر متعفن. لقد كان إستيبان مقتنعاً أنه إن عرف وارن الحقيقة، سيخرج مامالو من ڤالديموروس.
تستغرق المسافة من منزل فرناندو في بازا ديل مار إلى كاسا بالوما حوالي ثلاثين دقيقة، وقد كان إستيبان يركض بسرعة.. قدماه تجرحان من الحصى الصغير الخشن المُلقى في الغابة،

لكنه كان مليئاً بالأمل. ركض خلال الأشجار الكثيفة متملصاً من الأفرع التي ترتطم بوجهه وذراعيه، حتى قلت الأشجار واستطاع رؤية بوابة كاسا بالوما.

وجد وارن وسكاي يركبان سيارتهما البيجو الفضية. تحرك السائق بالسيارة من المدخل وقد تحركا خلال البوابة الحديدية حال وصول إستيبان.

"انتظر!" ركض خلف السيارة على الطريق الترابي الذي يؤدي إلى خارج حدود كاسا بالوما، تنفض عجلات السيارة الغبار مكونة غيوماً خلفها. امتلأت رئتا إستيبان بالغبار الجاف.

"سكاي!" صرخ.

استدارت ونظرت له عبر سحابة الغبار والحصى.

"توقفي، سكاي!" لوّح لها متوقفاً فجأة بينما يسود جانبه ألم مبرح، تخطى الأمر محاولا تمسيد الألم الناتج عن الركض.

استدارت سكاي واستمرت السيارة في سيرها على الطريق.

"سكاي،" قال يجهش بالبكاء وهو يقع على ركبتيه، تنحدر قطرات العرق من حاجبه لتمتزج مع ذرات التراب على الأرض.

لم يفهم لماذا لم تطلب سكاي من والدها التوقف، إنه لم يرها منذ الليلة التي أخذوا بها مامالو بعيداً. ألم تتساءل أين ذهب؟ ألم تكن تشتاق له ولـ مامالو؟

لابد أن لدى سكاي عذراً مقنعاً وعندما يعودان ستخبره به. قرر إستيبان الانتظار، كلما أسرع بإخبار وارن بشأن مامالو.. كلما كانت رؤيته لها أسرع.

سار إستيبان عائداً إلى البوابة وهناك رأى فيكتور يغلقها بسلسلة وقفل كبير.

فيكتور. هو السبب في كل هذا، هو الذي أرسل مامالو بعيداً. طفا كل غضب وإرهاق إستيبان للسطح لينسى أنه الفتى ذو الاثني عشر عاماً أمام رجل مدرب، نسي أن حتى بلوندي وبروس لي قد استقبلا ضرباً مبرحاً بالأقلام، نسي كل شيء عدا حقيقة أن فيكتور ماديرا هو السبب وراء

دخول مامالو فالديموروس.
"فيكتور!" كان لدى إستيبان عامل المفاجأة وقد كان يتدرب على الركلات العالية واللكمات لأشهر، لذا هجم فوراً على جذعه.
"إستاس بوتو... هل أنت مجنون؟!" ترنح فيكتور للخلف فأصدرت السلسلة أصوات جلبة على البوابة. "أعتقد أنني أخبرتك أن تبقى مع فرناندو. يجب أن تتعلم الإنصات!" أحاط إستيبان، لم يكن الأمر عراكاً فعلياً فقد أغلق إستيبان عينيه حالما شعر بالضربات على ظهره وصدره، وعندما وقع على الأرض ركله فيكتور في معدته. "اذهب للمنزل أيها الغبي الصغير." قال.
لكن إستيبان هز رأسه محيطاً بطنه بيديه.
"أنا لن أذهب حتى أرى سينيور سيدجويك."
"أتظن أن سينيور سيدجويك يعيرك أدنى اهتمام؟ أتعتقد أنه سيعيد لك مامالو؟" ضحك فيكتور. "أيها اللقيط الساذج المسكين، إنك بضاعة مستهلكة بالنسبة لهؤلاء الأجانب الأغنياء ك جريدة الأمس."
"ذلك ليس صحيحاً!" كان وجه إستيان ملطخاً بالأوساخ، عندما مسح دموعه تركوا خطوطاً بنية اللون على خده. "إن سكاي صديقتي."
"حقاً؟" هز فيكتور رأسه في شفقة مستهزئة.
"أخبرني إذاً، هل ودّعتك صديقتك؟ هل أخبرتك أنها راحلة ولن تعود أبداً؟"
"إنك تكذب، أيها الكاذب القذر!"
"انتظر إذاً، انتظر عودة صديقتك ووالدها لإنقاذك."
كان إستيبان مرهقاً للغاية ومتألماً للغاية ليردّ بينما يسير فيكتور بعيداً، كان مجروحاً ومتورماً من الخارج ويجيش بالغضب والعار من الداخل، شعر بنفسه ضعيفاً عاجزاً محبطاً. تمدد جانب البوابة المغلقة تحت شمس النهار القاسية.
مضت الساعات لكنه انتظر، يسود الصمت.. الصمت التام، لا أحد من الخدم موجود كما أنه لم تغلق البوابة أبداً من قبل بالسلاسل هكذا.
أين الحراس؟ أين البستاني؟ رفض إستيبان تصديق أنهم جميعاً قد ذهبوا. يعلم أن سكاي أبداً لن

ترحل دون قول وداعاً.. إنه يعلم.
عندما أطلت النجوم جرّ إستيبان ساقيه بصعوبة ونظر خلال البوابة، الأضواء الخارجية لم تشتعل وكذلك عند الطريق حتى جناح الخدم. تسلق فوق السور الخلفي وحتى الشجرة التي تقع خارج نافذة سكاي، حاول فتح النافذة ليجدها غير مغلقة.
أشعل إستيبان الضوء ونظر حوله، يشعر بالغرابة أن يكون بغرفة سكاي دونها.. يشعر أن الأمر خطأ. كان سريرها مرتباً لكن خزانتها بدت وكأن أحدهم فتشها في عجالة، اختفت كل كتبها المفضلة وملابسها.
شعر إستيبان بصوت (كرانش) تحت قدميه، وعندما نظر رأى الأرض مليئة بالورق... كل الأشياء السحرية الخيالية التي صنعها لها من أكثر الأوراق التي يستطيع إيجادها روعة، كلهم مُلقى بهم على الأرض بغير اهتمام.. وبعضهم تم دهسه ليتحول إلى قطعاً قبيحة مشوهة.

حمل إستيبان عقرباً ورقياً، لقد كان اتخذ إتقانه وقتاً طويلا.. بدا الجسد مسطحاً قليلا لكن بقي ذيله الذي يلدغ به واقفاً. فكر بشأن ما قاله فيكتور، ربما هو محق، ربما لا يعيره وارن أدنى اهتمام.. لا هو ولا مامالو، ربما لا تهتم سكاي.. ربما هو ومامالو كهذه الأوراق... مطويين ومقولبين لملاءمة غرض ثم يكون المصير الدعس عند طريق الخروج.
أطاح إستيبان بالعقرب بعيداً وتألم من الضربات التي انهال عليه فيكتور بها، نظر من النافذة ورأى القمر الجديد ينعكس في البركة..
تذكر عندما كانت سكاي متكورة في السرير ومامالو تحكي لهما عن البجعة السحرية التي تختبيء في حدائق كاسا بالوما، بجعة تخرج بين الحين والآخر... بليلة اكتمال قمر جديد. *إن لمحتها.. ستكون مباركاً بأعظم كنز*، كانت قد قالت.
لم يصدقها إستيبان حينذاك، ولا يصدقها الآن.. لقد كان كل شيء مصطنعاً، كل السحر،

كل القصص، كل النهايات السعيدة. كلها فارغة وبلا معنى وجوفاء. والده لم يكن يوماً بحاراً عظيماً، لم يحبه أبداً.. هو أو مامالو، لقد كذبت مامالو.

سكاي لم تكن يوماً صديقته.

أتظن أن سينيور سيدجويك يعيرك أدنى اهتمام؟

أتعتقد أنه سيعيد لكَ مامالو؟

إنكَ بضاعة مستهلكة بالنسبة لهؤلاء الأجانب الأغنياء كـ جريدة الأمس.

هذه هي الحقيقة الباردة القاسية.

أغلق إستيبان الضوء ووقف وحيداً في العتمة الفارغة، عندما تسلق خارج النافذة تلك الليلة.. ترك شيئاً خلفه:

طفولته، براءته، مبادئه الساذجة... كلها منثورة على الأرض كـ أحلام ورقية تم دهسها.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل الخامس عشر :::

جلس إستيبان على درجات السلّم التابع لـ (لا سومبرا)، كانتينا -حانة أو مطعم- من العديد المنتشرين في بازا ديل مار، سقفها المائل يحميه من الأمطار الغزيرة. حدّق في المياه التي تتجمع في جداول ونهيرات صغيرة على الشارع الطيني.. بحيرات صفراء بسبب الضوء الصادر عن مصابيح الكيروسين المعلقة على شرفات المتاجر التي مازالت مفتوحة، ومكبرات صوت ترنّ بأغنية لويس ميغيل (لا بيكينا).. أغنية عن امرأة جميلة مجروحة حد الألم، ألم عميق بشدة لدرجة حثه نزول أنهاراً من الدموع.

"هاي، أيها الفتى!" نادى رجل من داخل المطعم.

استدار إستيبان للخلف. "أنا؟"

"سي -نعم-، أنت جائع؟" سأل.

لاحظ إستيبان أن الرجل يراقبه لذا افترض أنه بسبب وجهه المتورم، كان واضحاً للغاية أنه خاض شجاراً.

"خوان بابلو،" أشار الرجل للنادل. "أحضر لهذا الفتى وجبة (أوريخا دي إيليفانتي) وشيئاً ليشربه.

ما اسمك؟"
"إستيبان."
أومأ الرجل واستمر بالأكل بنهم مبتلعاً أكله مع رشفات من مشروب (ميشيلادا) وهو الجعة مع الليمون والتوابل، يمتلك وجهاً فتياً.. حاجبين كالصقر حيث ينبت الشعر الرمادي المبعثر بينما شعر رأسه أسوداً حالكاً، مصبوغاً بالطبع، ومصففاً للخلف من على جبهته. لابد إنه في أواخر الأربعينيات، ربما أكبر قليلا، ترتاح عصا مشي خشبية مصقولة على طاولته، سوداء لامعة وقمة رأسها من المعدن الذهبي تلتمع كوعد براق في كانتينا بسيطة ضعيفة الحال.
جلس إستيبان مقابله، تزمجر معدته برؤية عشاء الرجل، إنشيلادا محشوة بالجبن والكريما موضوعة على رأسها.. بينما أحضر له النادل رقاقات التورتيلا ووعاء من الهالابينو الأخضر وأغوا فريسكا. أجبر إستيبان نفسه على الأكل ببطء حتى يأتي عشاؤه... قطعتان من لحم العجل يبدوان على شكل أذني فيل.

أكلا في صمت على الطاولة المغطاة بفراش بلاستيكي من الفورمايكا، يستمعان للمطر والموسيقى، بينما تحدق بهم صور مرسومة على جدار به ثقوب رصاصات.. رسوماً جدارية لـ(بيدرو إنفانتي) و(ماريا فيليكس)، نجمان من العصر الذهبي للسينيما المكسيكية.
لقد كانت كاسا بالوما تحمي إستيبان من الواقع الذي يقع خلف بوابتها الحديدية، لكنه الآن أضحى مجبراً على عالم مختلف.. لا يفترض به الاعتناء بنفسه فقط وإنما إيجاد طريقة لإخراج مامالو أيضاً.
أنهى رجل الكانتينا الإنشيلادا وفتح الجريدة يتفحص العناوين الرئيسية ثم ضحك على شيء ما. "هاي، خوان بابلو.." أشار إلى المقالة عندما أتى النادل ليأخذ طبقه. "كابوم!" قال محركاً يديه علامة الانفجار، ليضحك كلا الرجلين.
قلت الأمطار لتصبح رذاذاً خفيفاً بحلول الوقت الذي أنهى به إستيبان عشاءه، وشعر بالغرابة أن ينهض فقط ويرحل.. كما أن قول (شكراً لك)

لرجل الكانتينا على فعله العشوائي للخير لم يبد كافياً، لذا ماطل إستيبان.. لم يكن في عجلة للذهاب إلى المنزل والتعامل مع خاله فرناندو.

"يوم صعب؟" سأل الرجل.

لم يجب إستيبان، وقد ازداد التورم عند عينه ضعف حجمه.

"كاميلا،" نادى الرجل على امرأة قصيرة من المطبخ، كانت ترتدي مئزراً ملطخاً بالصوص الأحمر وبيكو دي غالو.

"اجلبي للصبي بعض الثلج."

"شكراً لك" قال إستيبان عندما أعطته قطعاً من الثلج ملفوفة في منشفة أطباق، بينما حاول ألا يئن وهو يضغطها على عينه.

"أترغب بجني بعض المال يا فتى؟" سأل رجل الكانتينا. لم يتوجب عليه الانتظار طويلا حيث ظهر جلياً الجواب على وجه إستيبان. "خمسة عشر بيزو،" أكمل. "اترك هذه الجريدة في الجرة عند تمثال الملاك سان ميغيل -ميخائيل-، أتعرف أين ذلك؟"

أومأ إستيبان، بينما يشاهد الرجل يضع خلسة كيساً بلاستيكياً مليئاً بالبودرة البيضاء في الجريدة ثم طواها مرتين قبل أن يعطيها لإستيبان. "قابلني هنا غداً ليلا وسوف أدفع لك. تو إنتيندير -أتفهم-؟"

"سي." علم إستيبان أنه يقوم بشيء لا يفترض القيام به، لكن خمسة عشر بيزو! إنه طريق طويل إلى الثلاثمائة وخمسين بيزو التي يحتاجها لرؤية مامالو لكنها بداية.

أخذ الجريدة ولم يكن لديه مكان لتخبئتها، لايزال يرتدي الملابس التي ارتداها إلى النوم بالليلة التي أتوا بها لـ مامالو... تي-شيرت بلون التفاح الأخضر عليه رسم قرد ومكتوب تحته بمنحنى مبتسم (سيد الكوارث) بظلال اللون الأصفر بينما السروال القصير تحته لونه أخضر ملائم، عليه طبعات ثمرات موز.

كان الطريق إلى قرية بلازا مهجوراً، الناس في منازلهم يشاهدون برامجهم الليلية على التلفاز..

حوّلت الأمطار الشوارع إلى الطين وقد كان إستيبان ممتناً لملمس الطين البارد تحت قدميه المرهقتين.
تقع كنيسة الملاك ميخائيل عند قرية بازا ديل مار، حيث مبناها الأبيض وسط حدائق الليمون والبرتقال والنخيل ونافورات المياه.. بينما تقع مقبرة في الخلف حيث يستقيم الكثير من شواهد القبور كحراس في الظلام. لقد كانت تجلبه مامالو إلى هنا كل أحد عندما كانا يعيشان مع فرناندو، تذكر إستيبان إشعال الشموع، القديسين الخشبيين ورائحة البخور القديم.. لكن الأهم من كل شيء، تذكر كم كانت تحتضن مامالو يده بقوة بين يديها وهما جالسان ضمن صفوف الكنيسة تحت سقفها العالي.
وقف التمثال الأبيض عند المدخل، يقول المحليون أنه يبصق على رءوس الآثمين الذين يدخلون الكنيسة، ودائماً كانت تأخذه مامالو ويدخلان من المدخل الجانبي.

نظر إستيبان للجرة التي أخبره رجل الكانتينا عنها، كانت على ارتفاع ثلاثة أقدام مصنوعة من الرخام الثقيل وتمتليء بوفرة من الأزهار.
أسقط الجريدة في الفجوة الضيقة بين الوعاء الذي يحمل الأزهار والجرة الكبيرة.. ثم استدار وعاد للمنزل.

****

بالليلة التالية، عندما عاد إستيبان إلى لا سومبرا ليأخذ الخمسة عشر بيزو أعطاه رجل الكانتينا مغلفاً آخر ليوصله.. وبمرور الوقت أصبح إستيبان يقوم بهذا العمل بانتظام.. في بعض الأحيان لأناس غرباء تماماً يقودون سيارات ذات نوافذ معتمة، بأحيان أخرى لنساء جميلات يدعونه إلى منشآت صاخبة يملأها الدخان، في بعض الأحيان كان يأخذ أموالا أكثر وأحياناً أخرى أقل...
لكنه أبداً لم يسأل رجل الكانتينا أية أسئلة ودائماً كان يقول "شكراً لكَ".
كل ليلة عد إستيبان أمواله.
خمسة عشر بيزو.

خمسون بيزو.
مائة وثلاثون بيزو.
لم يكن يظهر رجل الكانتينا كل ليلة، في بعض الأحيان كان يغيب لأسابيع، بتلك الليالي.. يضع النادل والطباخة -خوان بابلو وكاميلا- له وعاء من الدجاج بالصوص الأخضر أو كرات اللحم والخبز أو أي طعام متبقي لديهم، ويردّ إستيبان عطفهما عليه بغسل الأطباق وتنظيف الطاولات.. حتى رغم أن إستيبان يظن طبخ كاميلا رائعاً، عندما كان يشاهدها بالمطبخ تمسح يديها بمئزرها الملطخ، كان يشعر حينها بالتوق والاشتياق إلى أمه... عميقاً داخله لدرجة أنه يضطر ليترك أياً كان ما يفعله ويرحل ليقف في الزقاق المعتم بين (لا سومبرا) ومتجر السمك جانبه... يأخذ أنفاساً عميقة حتى يمر شعوره الخانق.
كل يوم، يذهب إلى ڤالديموروس ويجلس في المنطقة المظللة عبر الشارع حيث يبيع الباعة المتجولون الـ(تشورّو)، الـ(إمبانادا) الحلوة، وقطع اللحم المشوي محشوة في رقائق تورتيلا مصنوعة يدوياً. لقد كان إستيبان حريصاً مع أمواله، ظل متمسكاً بالفول السوداني.. وعندما تكون الشمس حارة.. كان يسمح لنفسه بشراء زجاجة مثلجة من الكوكاكولا، كذلك اشترى حذاءاً وبضعة قمصان وسروال قصير جديد.. بل أنه جهّز قصة في حالة سأله فرناندو من أين جاء بهذه الأشياء، لكن خاله أبداً لم يلحظ وهو كان حريصاً في إخفاء غنائمه.
في نهار يوم ما بينما يجلس خارج السجن كعادته، ظن إستيبان أنه يسمع مامالو تغني من خلف الجدران الرمادية الباردة، صوتها يتسلل عبر نظام الصوت الذي يعمل طوال اليوم، وقد كانت تغني أغنية (ميكسيكو ليندو إي كاريدو). رغم أنها أغنية عن الاشتياق للوطن وكل شيء عزيز ومألوف، إلا أنها أراحت إستيبان، لقد مضى على رؤيته مامالو أكثر من ثلاثة أسابيع بقليل لكن طالما هو يسمعها تغني.. يعلم أنها على ما يرام.

أكمل إستيبان العمل لدى رجل الكانتينا وقد بدأ يتعلم هذه التجارة.. الأكياس الخضراء المورقة ثمنها أقل من الشبيهة بقطع الزجاج الصافية كالكريستال، بدأ يأخذ مهمات أكثر خطورة مع الوقت.. كان هنالك أوقات واجه بها حافة سكيناً لامعة وجهاً لوجه، ومرات يركض هرباً بحياته، ولا يكون رجل الكانتينا سعيداً عندما يفقد منتجاً فيخصم من نصيبه، بمرات كان يدين أكثر مما يكسب فيجد نفسه عالقاً في شبكة لا يقدر على الخلاص منها.

تحولت الأسابيع لشهور لكن فكرة رؤية مامالو ظلت عالقة برأسه، لكن بيوم ما امتلك إستيبان المبلغ كاملا... كاد. فقط احتاج إلى مهمة أخيرة بعد.

عندما عاد تلك الليلة، كان متحمساً.. في الغد سيرى مامالو، قفز قلبه فجأة وهو يحدق بالحجر الغير محكم بمكانه في الحديقة الخلفية حيث كان يخبيء نقوده خلفه، لكنه لا يجد شيئاً. كل أمواله اختفت!

لمست أصابع إستيبان الفراغ القاسي.

"إستيبان، تعال وشاركني." ترنح فرناندو عند الباب ملوحاً بزجاجة فارغة من التكيلا.

شدد إستيبان من قبضتيه حتى يحجم نفسه عن الردّ، إنه يعلم أن لا فائدة من اتهام فرناندو بسرقة المال، يعلم أنه لا فائدة من مواجهته.. خاله لا يتذكر شيئاً، ولا يهتم بشيء عدا موعد مشروبه التالي.

دسّ إستيبان المال الذي جمعه تلك الليلة في جيبه وعيونه تلسعه بدموع يرفض هطولها. لقد عاد إلى حيث بدأ، أراد أن يضرب شيئاً، أن يركل شخصاً، أن يجذب فرناندو من عنقه ويخنقه حتى تخرج عيناه من محجريهما.. فيدهسهما بقدمه ويشعر بهما كثمرات عنب ناعمة رطبة.

ترنح فرناندو عائداً للداخل ليرتمي على الأريكة، تتدحرج زجاجة التكيلا الفارغة من يديه، فسار إستيبان متجاهلا إياه وذهب إلى غرفته.

يجب أن يجد طريقة لكسب المزيد من المال،

سوف يتكلم مع رجل الكانتينا بالمرة التالية التي يتواجد بها في المدينة.
قبل أن يذهب إلى النوم أخرج إستيبان المال من جيبه وعلقه حول رقبته، إذا أراد فرناندو ماله، سيتحتم عليه أن يأتي ويأخذه.
****
استلم إستيبان المزيد من المهمات من رجل الكانتينا، أخبره بما رآه خارج السجن... وصف الحراس والمساجين الذين يدخلون ويخرجون من المنشأة، الأوقات التي تقوم بها السيارات المصفحة بالدوريات والأوقات التي يتغير بها الحراس في الأبراج، دوّن الموظفين الذين يزورون السجن وأرقام الرخص على السيارات التي يقودونها.
لم يكن يعلم إستيبان ذلك، لكنه الآن جزء من الـ(ألكونز) -أي الصقور- وهم أعضاء منظمة الكارتل متدنو المستوى الذين يعملون كأعين وآذان المنظمة. كل ما كان يعلمه هو أن ما يسجله هذا أكسبه المزيد من المال، والمزيد يعني أنه سيرى مامالو أقرب. في الليالي، استمر بفعل أية مهمات غريبة يطلبها منه رجل الكانتينا.
"هل تعلم ما تضع نفسكَ به، يا تشيكو -فتى-؟" سأله خوان بابلو، النادل في (لا سومبرا) بليلة ما. كانا يجلسان على الدَرَج، يدخن خوان بابلو سيجارة مالبورو ريد.. هو وكاميلا قد تعلقا بإستيبان، إنه صبي جيد مُحاط بأعمال سيئة.
"هل تعلم لماذا لا أحد يأتي بعائلته أو حبيبته أو أطفاله إلى الكانتينا هنا؟" سأل خوان بابلو ثم ترك مئزره يقع على الجانب ورأى إستيبان السلاح المعلق في خصره. "الرجل الذي تعمل لصالحه يملك (لا سومبرا)، إنه لا يدفع لي لأقدّم له الطعام فقط.. بل لأحميه أيضاً. إنه مكان عمل، لقاءات، صفقات.. أتفهم؟"
أومأ إستيبان، رغم أنه أقام علاقة طيبة مع خوان بابلو وكاميلا فقد شكّ بذلك.. لكنه يوشك على الانتهاء، لا يستطيع التوقف الآن.
"كل شخص لديه سبب." نقر خوان بابلو سيجارته

ملقياً إياها بعيداً.
سبب للتورط، سبب لتلويث يديه. "ما سببك؟"
"أمي، إنها بالسجن لكنها بريئة."
"حولنا هنا، كل شخص مذنب حتى تثبت براءته. تذهب للسجن وتنتظر محاكمة وإن قام أحدهم برشوة بعض الأيادي ليبقيها هناك... حبيب غيور، شريك عمل.. يمكنها أن تطول إلى الأبد، لا يمكنك الثقة بأحد إستيبان. لا الشرطة أو القضاة أو الحراس.. كلهم يرغبون بقطعة من الكعكة."
لا تتأمل كثيراً، كان ينصحه خوان بابلو بذلك.
دفع إستيبان شعره بعيداً عن جبهته.
إن الأمل هو الشيء الوحيد المتبقي له وإن كانت الأموال هي ما ستفتح زنزانة مامالو، سوف يصنع الكثير منها إذاً.

****

كان يجلس رجل آخر في لا سومبرا على الطاولة مع رجل الكانتينا، يتحدثان بنبرات منخفضة.
حسناً، الرجل هو مَنْ يتكلم بينما يستمع رجل الكانتينا له، دار إستيبان حول الواجهة ودخل إلى المطبخ ليجد شيئاً قد غلي منذ زمن واحترق القدر الذي كان يغلي به حتى تفحم تماماً.
أغلق إستيبان الموقد وسار إلى نافذة الخدمة التي تمرر منها كاميلا الأطباق إلى خوان بابلو، أعدّ لنفسه بعض رقاقات الذرة بينما ينتظر ذلك الزائر أن يرحل، لقد كان يقوم رجل الكانتينا باجتماعات كثيرة عندما يكون بالبلدة... أشخاص مختلفون، أوقات مختلفة.
أخرج إستيبان رأسه من نافذة الخدمة آملاً أن يلمح خوان بابلو أو كاميلا، فلم يرهم لكنه وجد أن أحدهم نثر الكاتشب على الجدران والطاولات...
تتبع إستيبان آثار الكاتشب ثم تجمد، ليس الكاتشب.. بل الدماء!
وجد كاميلا ترقد على الأرض بجانبها خوان بابلو، كلاهما مُصابان برصاصة في الرأس. وجه خوان بابلو ملتو بينما لا تزال عيناه مفتوحتين.. مسدسه بمنتصف الطريق يرقد جانبه.

والرجل الغريب الذي رآه إستيبان سابقاً كان يوجه مسدسه مستهدفاً رجل الكانتينا.. لكنه يريحه على الطاولة حتى يبدو من بعيد أن الرجلين يتناولان العشاء.. وما يزال إصبعه على الزناد، بينما ابيضت أصابع رجل الكانتيا حيث تمسك بقوة بعصاه.

علم إستيبان أنه يجب أن يتراجع بهدوء بخطواته ويركض كالجحيم، علم أنه لا يجب عليه أن يزحف إلى منطقة الطعام ويحمل مسدس خوان بابلو يمسح عنه الدماء حتى لا ينزلق من بين أصابعه، علم أنه لا يجب عليه توجيه السلاح نحو مؤخرة رأس ذلك الرجل وهو يحاول تثبيت يديه من الاهتزاز بينما يصوب.

علم إستيبان كل ذلك لكن الشيء الوحيد الذي كان يقدر على رؤيته هو إطلاق ذلك الغريب للرصاص على خوان بابلو وكاميلا، يرى الرجل يلف نفس المسدس نحو رجل الكانتينا، يرى الرصاصة تمزق رجل الكانتينا لتنثر الدماء والموت على فرصة إستيبان الوحيدة في رؤية مامالو، يرى الخمسة عشر بيزو على وشك التناثر على الجدران، يرى حارس السجن يسأله عن الغداء، يرى نفسه يجلس في ظلال ذلك السجن يوماً بعد يوم، دائماً قصير، دائماً قريب، يأكل الفول السوداني اللعين كغبي لعين.

ضغط على الزناد ليرتد جسده كاملا بعدها على واحدة من الطاولات.

لم يكن إستيبان واثقاً إن كان أصاب الرجل الذي لايزال يجلس في مكانه، ثم فجأة مال للجانب وارتطم بالأرض ليتدفق بعدها مجرى الدماء من مؤخرة رأسه.

تبادل إستيبان ورجل الكانتينا النظرات.

اللعنة!

ترك إستيبان المسدس كأنما قد أحرق يده للتو، أذناه تطنان من صوت الرصاصة العميق.

سار إليه رجل الكانتينا وقبّله على كلا خديه.

"أنا فقط أردت رؤية أمي،" كان يهتز.. لا يستطيع أن يصدق أنه قد قتل رجلا لتوه.

"أنا فقط أردت رؤية أمي."

حمل رجل الكانتينا السلاح ومسحه ثم وضعه في يد خوان بابلو مجدداً.
"سوف آخذك إلى أمك." قال.
قام بإجراء بعض الاتصالات، ثم بعد عدة دقائق.. أتت سيارة تنتظر بالخارج.
"أين أمك يا فتى؟" سأل رجل الكانتينا وهو يرشد إستيبان إلى حيث المقعد الخلفي.
"ڤالديموروس، لكنهم لا يدعون أحداً يدخل في هذا الوقت."
صدر صوت سيارة شرطة خارج الكانتينا وخرج منها ضابطان بالزي الرسمي، فأنزل رجل الكانتينا زجاج نافذة سيارته. "اعتنيا بالأمر."
وبينما تسير السيارة بعيداً، التفت إستيبان ليرى رجلي الشرطة يضعان أكياس قمامة بالمقعد الخلفي ويلقيان بثلاثة أجساد ميتة في السيارة.
"خوان بابلو... كاميلا..." لم يعد يبدو صوت إستيبان كما كان، يشعر أنه تم انتزاع كل جسده وروحه منه، إن صديقيه ميتان وهو قد قتل رجلا للتو.

لم يقل رجل الكانتينا أي شيء، طرق على الزجاج الفاصل بينه وبين السائق بعصاه.
"ڤالديموروس، ڤامونوس! -لنذهب!-".
إن ڤالديموروس أكثر رهبة في الليل.
دون كل الضوضاء وحركة الباعة المتجولين والزوار يبدو كسفينة عملاقة مسكونة بالأشباح مفقودة في وسط اللامكان.
كانت الأضواء موجهة على الحدود الخارجية وابتسم شخص ما من البرج تجاه سيارة رجل الكانتينا، لينهض السائق ويستدعي أحد الحراس. "كونشا!"
سارت إلى السيارة وحيّت رجل الكانتينا.
"رافقي هذا الصبي إلى الداخل، إنه هنا لرؤية أمه." قال.
"سي، سينيور. أرجوك تعالَ معي." ضربت عصاها في البوابة الحديدية لتفتح بصوت مزعج مدو.
وبسهولة هكذا، كان إستيبان بالداخل. لا صفوف انتظار، لا أموال الغداء، لا تسجيل دخول.
"ما اسم أمك؟"

"ماريا لويزا ألفاريز." كانت دقات قلبه تتسارع، يتمنى لو أن معه مشطاً أو فرشاة.. يريد أن يبدو بهيئة جيدة أمام مامالو.

"هل قميصي نظيف؟" سأل الحارسة.

هل ترين أية دماء؟ أرجوك لا تدع هناك أية دماء. أنا لا أريد أن أجلب العار لأمي بدماء الرجل الذي قتلته للتو.

"ماريا لويزا ألفاريز!" صاحت كونشا وهما يخرجان من النفق القصير ويدخلان إلى مجمع ضخم، حاوطت العديد من الغرف باحة السجن: مهاجع، ورش عمل وزنزانات.. لكنه بالكاد وجد إحداهن داخل القضبان، إن النساء ومعهن أطفال صغار بملابس رثة أطلوا من المهاجع.

تحدثت كونشا مع امرأة ترتدي زياً عسكرياً داكناً، اختفت بعدها داخل مكتب وبدأت تفتش بين الخزانات.

"أنتَ تبحث عن ماريا لويزا ألفاريز؟" سألته إحدى السجينات.

"سي، -نعم-" قالت كونشا.

نظرت السجينة طويلاً لإستيبان قبل أن تستدعيهما معها إلى حيث تنام، لقد أنشأت السيدات غرفهن الخاصة في المساحة الهائلة الفارغة مستخدمات العصيان والأغطية.. لدى البعض أسرّة ضيقة من طابقين، والبعض الآخر عنده معدات طبخ ورفوف للملابس.. لكنهن جميعاً مزدحمات فوق بعضهن على الأرض الإسمنتية الخشنة كقطع من أحجية. الأطفال متعلقين بصدور أمهاتهن بينما ينام أخرون على المراتب المؤقتة، والهواء معبق برائحة السجن وزيوت الشعر والقذارة والعَرَق.

"ماريا لويزا ألفاريز." سارت السيدة إلى مساحتها الخاصة وأعطت إستيبان صندوق معدني صديء، أخضر اللون وبوسطه دائرة حمراء مكتوب عليها (لاكي سترايك)، وتحتها مكتوب بأحرف ذهبية: "سجائر."

"لا،" قال إستيبان. "إنني أبحث عن أمي."

"سي." دفعت السجينة العلبة مجدداً إلى يديه. "تو مادري."

فتح إستيبان الصندوق ليجد داخله الأقراط التي كانت ترتديهما مامالو، مشبك شعر وقطعة ورق مقصوصة من جريدة. كان إستيبان على وشك غلقه عندما لاحظ العنوان، فض الورقة المجعدة وتحرك أقرب إلى المصباح ليقرأ.

(مربية محلية متهمة بسرقة قلادة موروثة بعائلة ثرية)

قرأ إستيبان الكلمات تحت العنوان سريعاً، والذين امتلأت حروفهم بكذبات شنيعة مروعة، أن مامالو سرقت قلادة سكاي وكيف تم إيجادها في جناحها.. في تصريح للشرطة، عندما أعادوا القلادة إليه، عبّر وارن سيدجويك عن صدمته وعدم تصديقه لما حدث:

"لقد كانت ماريا لويزا ألفاريز موظفة موثوقة وصديقة لزوجتي، إن هذه القلادة تنتمي لزوجتي وتعني الكثير لابنتي. أجد الأمر صعب التصديق، أن تقدر مربية سكاي على فعل جريمة كهذه ضد عائلتنا."

كل شيء أضحى بمكانه أمام إستيبان، تلك الليلة حين رأى فيكتور يخرج من غرفتهما هي الليلة التي خبأ بها القلادة هناك وقفزت الشرطة بعدها على الفور لأخذ مامالو، لقد كان إستيبان ساذجاً حينها لكنه يفهم الآن كيف سارت الأمور.

لا شيء.... دائم، كان قد قال وارن لـ فيكتور. دبّر فيكتور جريمة لم ترتكبها مامالو وأكد وارن على بقائها في السجن بتصريحه المزيف. شعر إستيبان كالأحمق وهو مَن كان يركض إلى كاسا بالوما متوقعاً المساعدة من وارن، لقد اتبع فيكتور الأوامر لكن وارن سيدجويك هو مَن أصدرها.

هو مَن يجب إلقاء اللوم عليه، هو وذلك الرجل (إلشارو).. لقد فعلا هذا ليحميا أنفسهما لأن مامالو رأتهما ويمكنها أن تربطهما مع كل الأعضاء الآخرين من منظمة الكارتل والذين تواجدوا في كاسا بالوما ذلك النهار.

اعتن بالأمر، وارن قد قال، لأنه لم يرغب بتلويث يديه.. هو أبداً لم يرغب بتلويث يديه، بل أنه

رحل على عجالة في حالة أن تطرق الأمر إليه.. في حالة إن تكلمت مامالو، في حالة إن غيّر الشارو رأيه بشأن تركه يرحل عن البلد.
هما الاثنان مَن تركا مامالو لتتعفن في السجن.
"أين هي؟" التفت إستيبان إلى الحارسة. "أين أمي؟"
"كونشا." وقفت عند المدخل الحارسة الأخرى التي كانت تفتش في الأوراق وهي تمدّ بيدها ورقة من الأوراق.
سارت كونشا إليها وتفحصت الورقة. "آسفة."
نظرت إلى إستيبان. "إن ماريا لويزا ألفاريز ميتة."
لقد كان سخفاً! ضحك إستيبان. "ماذا؟ هل أنتِ مجنونة؟ لقد سمعتها تغني ذلك اليوم."
بدأ يبحث عنها مزيحاً الستائر والحواجز من الورق المقوى. "مامالو!" سار من مهجع إلى آخر تاركاً خلفه أطفالا مجفلين ليشرعوا بالبكاء.
"غني مامالو، غني إلى إستيباندیدو خاصتك، حتى أستطيع أن أجدك."
سحبته كونشا والحارسة الأخرى إلى الفناء.
"توقف! لقد أصيبت والدتك بمرض السل وماتت من مضاعفات ناتجة عنه." رفعا الورقة له. "لقد أعلمنا قريبها التالي، أخاها فرناندو، لكن لم يأتِ أحد، وقد تم دفنها مع المساجين الآخرين الذين لم يطالب بهم أحد."
أراد أن يغلق فمها، كل كلمة تقولها تجعل الأمر أسوأ، أراد أن يغلق عينيه وأذنيه.. أراد أن يعود بالزمن ليأخذ مسدس خوان بابلو ويصوبه نحو رأسه هو.
"لا."
"لا."
"لا."
استمر بالتكرار، كره تلك الطريقة التي ترمقنه بها النساء من مهاجعهن، البعض بشفقة، البعض بغضب بسبب الإزعاج، لكن الأغلب بنظرات فارغة جوفاء. لقد شاهدن كل هذا مرات لا تحصى، حيث يتوجب على السجينات شراء أسرّتهن، ملابسهن، امتيازاتهن. إن كنتَ لا تقدر على الدفع للطبيب، لن يأخذك أحد... وهنا، محاصرات بين المساحات الضيقة، لقد

شاهدن كل شيء: الآيدز، الإنفلونزا، الحصبة، السل، يعجّ المكان بكل أنواع الحشرات والأمراض والتي إن تركت دون معالجة.. تصبح قاتلة.

حملت كونشا الصندوق الذي أوقعه إستيبان ومنحته إياه، المعدن الصديء الرفيع هو كل ما تبقى من أمه.. لم تكن تدخن ماماليو لكنه ربما الشيء الوحيد الذي تدبرت الحصول عليه من حفرة الجحيم هذه، تساءل كيف يمكن لشخص يأخذ مساحة كبيرة للغاية من قلبه أن يختزل في قطعة معدن خضراء وحمراء اللون تفوح منها رائحة التبغ.

"مي مادري إستا مورتا،" قال بنعومة وهو يزن العلبة في كفه.

"أمي ماتت!" صرخ معلناً هذا لكل السجن، صوته يتردد خلف الجدران الرمادية الكئيبة التي تحيط المبنى.

لم يهتم أحد، لم يخبره أحد، لم يسأله أحد ما نوع الجنازة التي تفضلها. هل وضعوا الأزهار بشعرها كما كانت تريد؟ هل عرفوا لونها المفضل؟ تمنى إستيان أن يكونوا دفنوها مرتدية ثوباً برتقالياً، لون ثمرة التانجرين.. لأنها كانت مثلها... مليئة بالحيوية والذهب والإشراق والنكهة اللذيذة.

أمسك بأقراطها، كانت دائماً ترتدي نفس القرط.. حمامتان متلامستان من منقاريهما ليكونا دائرة فضية. لم يرغب إستيبان بشيء أكثر من سماع جلبة أحجار الفيروز الصغيرة التي تتدلى منهما عندما كانت تطارده، احتاج ذلك لأنه كان سيئاً.. حقاً، حقاً سيئاً.

اجلبي مكنستك، ماماليو. أعدك أنني لن أهرب اليوم، آسف أنني لم أستطع المجيء هنا على الموعد، لقد حاولت.. حاولت بشدة. بل قمت بأفعال سيئة، لقد قتلت رجلاً، يجب أن تلاحقيني، ماماليو. طاردِيني لأنك الوحيدة القادرة على إنقاذي. وحدك فقط مَن تستطيعين تحسين الأمور.

لكن فقط تدلت أقراط ماماليو بارتخاء من يده.

إنها لن تأتي كي تنقذه أو تطارده أو تحبه أو تغني له.
انتظر إستيبان دموعه، لم يهتم للحراس الواقفين بالأبراج، أو النساء، أو الأطفال الذين يشاهدونه. أراد فقط أن يطلق بحراً من الأحزان التي تجيش داخله، لكن تأبى دموعه الخروج. كل ما يشعر به هو الغضب، أراد ضرب قبضتيه في الجدران الطويلة الخرسانية حتى تقع الصخور الضخمة رمادية اللون وتدفن كل شيء بالأرض.
كل العجز والظلم والخيانة حوّلوا قلبه إلى حجر بارد صلب، لم يبكِ حين غرق الأمر في قاع روحه كمرساة تم هجرها، لم يبكِ حين تبع كونشا عبر النفق وحتى سيارة رجل الكانتينا.
"هل رأيت أمك؟" سأله.
"إن أمي ميتة." صوته صدئاً وصلباً كعلبة السجائر المعدنية التي يحملها.
"أنا آسف." توقف رجل الكانتينا. "لديك عائلة؟"
فكّر إستيبان بالأب الذي هجره، فكّر بزجاجة التكيلا الفارغة التي تدحرجت من يد خاله، فكّر بالصديقة التي تركته وسط سحابة الغبار، فكر بالحيوانات الورقية المجعدة، والثلاثمائة وخمسين بيزو، وخوان بابلو وكاميلا، وثمرة التانجرين تتحلل في التراب.
"ليس لدي أحد،" قال.
بقي رجل الكانتينا صامتاً لفترة. "لقد أنقذتَ حياتي اليوم، سوف أعتني بكَ.. من الآن وصاعداً أنت لستَ إستيبان. أنتَ داميان، المروّض، القاتل."
دَاه - مِيـ - يَان. أعجب إستيبان وقع الاسم على مسامعه.. يبدو اسماً لشخص لا يأبه لأحد. وكل ما يأبه له الآن هو تحقيق العدالة بوارن سيدجويك وإلشارو، نوع العدالة الذي لن يقدرا على دفع ثمن الهرب منه، نوع العدالة التي أنكروها على مامالو. سوف يجعلهما داميان يدفعان ثمن فعلتهما لأمه.
أعطى سائق رجل الكانتينا كونشا حفنة من النقود بينما يشاهد الحراس الآخرون متحمسين لجزء.

"إلى أين، إلشارو؟" سأله السائق عندما عاد إلى السيارة.

إلشارو!

جعل الاسم قلب داميان الحجري البارد يقفز بدءاً بالعمل، نقل نظراته من السائق إلى رجل الكانتينا وإليه مجدداً بينما يضربه إدراك مريض ملتو.

رجل الكانتينا هو *إلشارو* اللعين.

لقد أنقذ داميان حياة الرجل المسئول عن موت أمه.. واحد من الاثنين اللذين أقسم للتو أن ينتقم منهما.

"المنزل، هيكتور." قال إلشارو. "إننا سنأخذ داميان إلى المنزل."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل السادس عشر :::

اتضح أن (المنزل) هو مدينة كابوراس، تبعد مسافة ثلاث ساعات بالسيارة عن بازا ديل مار.
رغم أن إلشارو يمتلك عدة مراكز كان يعيش خلف الجدران على التلال الضبابية حول كابوراس، ورغم أن داميان أنقذ حياته فهو لن يدعو الصبي إلى منزله!
إن إلشارو لم يتصدر القمة بالتصرف بعاطفية.
"ابقَ فمك مغلقاً وتعمد الهدوء حتى أستدعيك" قالَ بينما تصف السيارة خارج مبنى وردي اللون من ثلاثة طوابق في حي متوسط الرقي في المدينة، يبدو المبنى غير مثير للشبهات كفاية.. لكنه واحد من المنازل الآمنة التي توزعها الكارتل بالمدينة.
فهم داميان الأمر، لن يساعد إعلان حقيقة أن طفل في الثانية عشر من عمره أنقذ حياة إلشارو.
يجب الحفاظ على سمعته، على كبريائه الرجولي، وقد كان داميان سعيداً لمجاراته، أن ينتظر حتى تقدّم الفرصة المثالية نفسها.
تركه هيكتور -السائق- في شقة بالطابق

الثاني. كانت رائحة الماريجوانا ثقيلة في الجو بينما يجلس دزينة من الرجال اليافعين على الأرائك يشاهدون التلفاز.

"إليكم الـ كومبادري الجديد، جميعاً." قدّمه هيكتور للمجموعة لكنهم بدوا مهتمين أكثر بما يعرض على التلفاز، إن المجندين الجدد يقعون بأسفل مكانة بالمنظمة... يمكن الاستغناء عنهم وبالكاد يستحقون الاعتراف بوجودهم.

منح هيكتور داميان جولة سريعة وجعله يستقر بواحدة من غرف النوم حيث كان ينام بالفعل ثلاثة آخرون على المراتب في صف.

"خذ قسطاً من الراحة، يبدأ التدريب في الغد،" قال قبل أن يذهب.

تمدد داميان في الظلام يستمع إلى صوت التلفاز بالخارج، وضع صندوق مامالو تحت وسادته وربّت على الحواف البالية... لم تكن الراحة هي التي ينشدها داميان.. بل شيئاً أكثر عتمة بكثير، سوف يتدرب بقسوة وقوة.. سيتعلم كل شيء يستطيع إلشارو تعليمه إياه وعندها سيستخدم تلك المعرفة بالذات لتدميره.

****

لم يتخذ الأمر وقتاً طويلاً حتى يستدعيه إلشارو، لقد أشعلت أخبار محاولة اغتياله الأقاويل وقد بدا إلشارو يتحرق كي يرسل رسالة لأعدائه.

"أنت ستصاحب هذا الفتى إلى الكنيسة،" قال إلشارو بينما تقطع السيارة الطريق خلال كابوراس حيث الزحف العمراني من الخرسانة والزجاج.

نظر داميان إلى الفتى الجالس بينه وبين إلشارو، يبدو في التاسعة أو العاشرة من عمره وقد كان يحدق أمامه بفراغ.. يداه تحيطان بشدة حقيبة من قماش الكانڤا وكأنه يحمل طفلاً رضيعاً.

"أنت تعلم ما ستفعله." التفت إلشارو إليه عندما توقفوا خارج الكنيسة وقد سارت السيارة حوالي أربع ساعات للوصول هنا.

نظر الصبي من النافذة حيث الأبراج الطويلة التي زينت المدخل وأومأ.

"داميان، أنتَ انتظره عند الباب." قال إلشارو.
خرج داميان وتبع الصبي أعلى الدرجات الدائرية الواسعة إلى الكنيسة، وفقط عندما وصل إلى المدخل لاحظ آثار الدماء التي تقطر من الحقيبة التي يحملها الصبي.
توقف عند الباب كما أمر.
اجتمع الناس بالداخل من أجل جنازة، هناك صورة مؤطرة لرجل متوسط العمر في الواجهة موضوعة جانب التابوت.
في ذكرى *ألفريدو روبن زامورا*، كُتب عليه هذا.
كان أرملته وأطفاله يجهشون بالبكاء في الصف الأول بينما يتكلم القسّ إلى الجميع. جميعهم توقفوا عندما دخل الصبي، فتح لهم الحقيبة وترك شيئاً يتدحرج على الممر.
مضت ثوان قليلة قبل بدء الصرخات، ثوان قليلة قبل إدراك داميان أن ذلك هو الرأس المقطوع للرجل الذي أقاموا الجنازة لأجله.
"لأجل والديّ،" قال الصبي قبل أن يستدير.
التقط داميان لمحة من حرف (C) دموي محفور في جبهة الرجل الميت.
"إلشارو!" سمع أحدهم يقول وهو يتبع الصبي للخارج.
ركبا السيارة ومسح الصبي يديه الملطختين بالدماء على قميصه. لم يقل أحد كلمة في طريق العودة.
"داميان،" قال إلشارو عندما عادوا للمنزل. "خذه للداخل، إنه سيعمل لحسابي."
"ما اسمه؟" سأل داميان بينما يفتح الصبي الباب ويخرج.
"رافاييل، إنه ابن خوان بابلو وكاميلا."
"لم أكن أعرف أن لديهم أية أبناء."
"لقد كانوا يبعدونه عن الكانتينا."
لأجل والديّ، قد قال رافاييل.
أومأ داميان. "إذاً كانت الجنازة لـ..."
"واحد من لوس زيتاس... منظمة منافسة، الرجل الذي قتل والدي رافاييل، الرجل الذي حاول قتلي."
الرجل الذي قتلته أنا، فكّر داميان.

لقد ترك إلشارو جسد ألفريدو روبن زامورا خارج منزله وأوصل رأسه إليهم خلال جنازته. بحركة واحدة، قدّم إلشارو رافاييل إلى عالم الجريمة والعنف وتأكد أن يحضر داميان جنازة الرجل الذي قتله ليدرك عواقب فعلته... لا يوجد طريق للعودة الآن بالنسبة لهذين الصبيين، وقد وقعا كالذباب في شباك إلشارو.

"أترى هذه؟" فك إلشارو عصا السير خاصته. بالأسفل يوجد نصل حاد قابل للسحب والطيّ على شك حرف (C).

"هكذا أحب إرسال رسائلي. اعبث معي وستجد جسدك الميت ومعه علامتي.. علامة إلشارو، فارس الخيول. أنا لم أكن دوماً كابو -زعيم-، لقد بدأت مربياً للخيول، كنت أوسم الحيوانات عندها... والآن أيضاً أوسمهم." أعاد ربط رأس عصاه مجدداً. "غداً نحضر جنازة جديدة وكنيسة جديدة."

****

كان يرقد خوان بابلو وكاميلا كالأبطال في قبريهما، محاطين بالزهور والشموع وصفوف طويلة من الناس ذوي الأمنيات الجيدة يقبّلون رافاييل على الخدّين بعد المراسم. على حد علم الجميع، أنقذ خوان بابلو حياة إلشارو وتلقى رصاصة في العملية وماتت كاميلا بجانبه.

وقف داميان ورافاييل عند نعشيهما عندما خفتت أصوات خطوات الأقدام واختفت من الكنيسة.

"أعلم أنه كان أنتَ." قال رافاييل وكانت تلك المرة الأولى التي يسمعه داميان يتكلم بها.

"ماذا تعني؟"

"لقد رأيت الرجل يطلق الرصاص على والديّ، كنت في الحمام لكنني كنت مرتعباً للغاية فلم أخرج. فقط وقفت هناك، لم أستطع الحراك.. لم أستطع فعل أي شيء." نظر رافاييل لحذائه، كان يرتدي معطفاً رغم أن الجو حار بالداخل، لأنه لم يقدر بعد على إزالة دماء ألفريدو روبن زامورا من قميصه.

"مهلا،" أخذ داميان يده ليجدها باردة ورطبة. "لقد فعلتَ شيئاً جيداً، ليس لديك ما يخجلك..

كان سيقتلك أنتَ أيضاً."
"أريد أن أكون مثلك،" قال رافاييل. "هل سوف تعلمني أن أكون شجاعاً وأطلق الرصاص على الرجال السيئين؟"
فكر داميان بالرجل الذي قتله، بالعائلة التي تركها ثكلى حزينة على فقيدها، كان يجب أن يقتل إلشارو بدلا منه. تساءل ماذا كان سيفعل لو أن خوان بابلو تدخل، لو أن خوان بابلو لم يكن صديقه.
"إن الأمر كله محض عبث، رافاييل. لا يوجد رجال جيدون وآخرون سيئون... كل شخص لديه سبب."
لقد قال خوان بابلو ذلك له على عتبة (لا سومبرا). كل شخص لديه سبب.
ولم يكن لدى داميان أي فكرة أنه سيقف عند نعشه بعد أسبوع، معيداً ذات الكلمات على مسامع ابنه!

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل السابع عشر :::

كان داميان ورافاييل يافعين لكن ليس بقدر بعض الأطفال الآخرين الذين يستخدمهم الكارتل لخدمة أهدافه... أطفال يتعاطون الهيروين والكوكايين، يعملون كمحولين يمكن الاستغناء عنهم أو كرُسُل وسُعاة غير مثيري الشبهات، بعضهم يقوم بهذا برغبة منه بسبب إغراء الأموال والقوة، والبعض الآخر مجبرون على هذا.. قتل آباؤهم وأمهاتهم أو اختطفوا.. أو أصبحوا معدمين ويائسين.
كانوا يمنحون بعضهم ألقاباً تشعرهم بحسّ الانتماء، القوة وأنهم لا يُقهروا في العالم السيء الكبير: لويس الماكر، ماركو تفلون*، إيدي الحَمَل، ذا الندبتين.
أول مرة أطلقوا على داميان لقب (دامي ذو العين الواحدة) لأنه ينام بعين مفتوحة، ثبتهم بنظرة

يستخدم التفلون -مادة عازلة مقاومة للالتصاق- كلقب لمَن يخرج من فضيحة ومشكلة تلو الأخرى دون تطلخ اسمه أو المساس بسمعته

باردة أرعبتهم حتى تراجعوا، لقد كان عنيفاً حاداً.. ذئب وحيد لا يجرؤ أحدهم على اعتراض طريقه أو إزعاجه. ولم يكن هناك وقت استراحة له، بينما بقيتهم يغنون الكلمات مع صدح الموسيقى.. كان داميان يرتب علب القصدير في صف ويتدرب على التصويب بمقلاع -نبلة-. إن أمرهم القائد بالقيام بدزينة تمرين ضغط في معسكر التدريب، يعود داميان للمنزل ويقوم بثلاث دزينات إضافية.

الوحيد الذي لم يكن يخاف حدة داميان المعتمة هو رافاييل، لقد كان يتبع داميان، راضياً بالمشاهدة، متقبلاً الصمت. لم يسأل داميان بشأن علبة السجائر المعدنية التي يمسكها كل ليلة أو قصاصة الجريدة التي يخرجها ليقرأها عندما يظن أن لا أحد يراه.

كل يوم، يأتي المجندون الجدد. تذهب الفتيات والنساء إلى الطابق الثالث بينما يشغل الرجال الشداد الخشنون الطابق الأرضي والطابق الثاني يشغله الصبيان والشباب.

كل يوم، يذهب البعض ولا يعود أبداً. ودائماً الذين يختارهم إلشارو شخصياً يكونون متفقين بشيء واحد.. أن كلهم هناك مَن تسبب بمعاناتهم: العائلة، الأصدقاء، رؤسائهم، أحبائهم، المجتمع أو شخص أكثر قوة منهم. كلهم فقدوا فرصتهم، كلهم غاضبون وغير متعلمون دون وظيفة أو مستقبل... وهم أكثر المجندين سخطاً على الآخرين.

بغض النظر عن كيف وصلوا إلى هنا، كل واحد له دور ليلعبه. داميان، رافاييل، وبعض الصبية الآخرين يتدربون ليصبحوا (سيكاريو) أي قتلة محترفين. إن الـ سيكاريوس هم الجنود المشاة للكارتل، هم المسئولون عن تنفيذ المهمات، عمليات الاختطاف، السرقة، الابتزاز والدفاع عن المنطقة من المنظمات المُعادية والميليشيا المكسيكية.

وكانت كابوراس هي المدينة المثالية لإقامة معسكرات التدريب التي يقيمها الكارتل.. في المناطق الخالية موزعين وسط الزحف العمراني

من المعدن والخرسانة. هنا يتدرب الرجال والنساء تدريبات القتال وبعدها إما يتم التخلي عنهم أو استخدامهم على فترات متقطعة. نخبة قليلة ممن أظهروا مهارة فائقة وأيدي ثابتة ينتقلوا إلى منشآت خاصة أكثر حيث يتعلمون كيف يتعاملون مع القنابل.. وقد لاءم داميان كل المعايير بكفاءة.

سنوات من طيّ الأوراق إلى تجعيدات حادة دقيقة وصنع أشكالا وتفاصيلا معقدة للغاية جعلت يده طبيعية وتلقائية في صنع وفك القنابل. تعلم الفرق بين C-4 وTNT والبارود والألعاب النارية، تعلم بشأن اللوحات والدوائر الكهربية والعدادات والمحفزات.

وقد كان يأخذ بعض الأسئلة معه إلى المنزل حيث كان يصارع مع الحسابات عندما وجده رافاييل.

"سوف أعود على الفور،" قال داميان.

عندما عاد بالآلة الحاسبة وجد رافاييل قد ملأ كل الأرقام في الأسئلة.. فأكد داميان على إجاباته بالآلة الحاسبة.

"كيف بحق الجحيم فعلتَ هذا؟!" سأل حين وجد أن كل إجابة صحيحة.

"في رأسي." نظر إليه داميان بشكّ.

"أنا أحب الرياضيات،" ردّ رافاييل. "كانت تبقيني مشغولا عندما يكون والداي في الكانتينا."

"ماذا بشأن هذا؟" أشار داميان إلى سؤال آخر.

ابتسم رافاييل سعيداً أنه وجد شيئاً يستطيع إثارة إعجاب داميان به. ثم وضع الصبيان رأسيهما معاً وأكملا حل بقية الحسابات.

*****

بدأ المجندون باستلام مهمات بالواقع: تتبع واشياً، اسرق سيارة، اسطو على متجر. وكل مرة ينجحوا يتم مكافأتهم بالأموال، المخدرات، الكحول، الملابس والأسلحة.. وهؤلاء الذين يخفقوا يذهبون إلى السجن ويصبحون ضحايا عدالة الاقتصاص أو ينتهي بهم الحال ينزفون... وان استطاعوا العودة، يعودون بالعار.

علم داميان أن الاختبار الحقيقي سيأتي عندما

يستدعيهم إلشارو إلى مزرعته في منطقة معزولة قرب الجبال، هناك حيث يتم فصل الرجال عن الفتيان، حيث يقوم إلشارو إما بالسماح لك بالدخول لدائرته المقربة أو يفصلك تماماً.
وبينما يستمر الجميع بالعيش وكأن لا غد، استعد داميان لذلك اليوم.. يجب عليه أن يدخل لتلك الدائرة، ليدمر إلشارو ثم يرحل بعدها.
في أيام أجازاته، كان يختفي. اشترى بانجا -قارباً- وصنارة وأصبح يقضي الساعات في المياه، تعلم كيف يعقد الأربطة وكيف يقرأ السماء والمياه وأحب عزلة المحيط، اتساعه ولا نهائيته وعدم رحمته... تماماً كالثقب حيث اعتاد قلبه على النبض سابقاً. أحياناً عندما كان يغلق عينيه ويرقد في الزورق الصغير، استطاع سماع صوت مامالو في الرياح والأمواج.
بيوم ما، عندما عاد داميان من رحلته وجد رافاييل مكوراً في ركن بعيد. شعر داميان بالدماء تغلي عند رؤيته لجسده المتورم والمضروب، إن رافاييل ليس كبقية الفتيان.. إن ذكرى موت والديه مازالت ترهبه وقد رسخت داخله خوفاً عميقاً من الأسلحة لدرجة أنه يجفل عند سماعه صوت الرصاص، وقد كره نفسه لذلك.. كل الأولاد الآخرين يتنمرون عليه ينعتونه بالجبان.
"مَن فعل هذا؟" سأل داميان مانويل، الفتى الصغير الذي جلس مع رافاييل محاولاً مواساته.
"لا يهم،" رفض رافاييل ذكر أسماء الذين ضربوه، لكن بعد ذلك أينما ذهب داميان أصبح يأخذ رافاييل معه.. إن أراد أحد الوصول إلى رافاييل عليه التعامل مع داميان أولا.
لم يكن القائد سعيداً عندما اكتشف أن داميان يأخذ رافاييل في مهماته ويرافق رافاييل في مهماته هو. لقد كان القائد التاسع عشر، ثمانية عشر قائداً ماتوا قبله. وقد حذر داميان مرتين، عندما أصرّ داميان سحب القائد مسدسه وواجهه.. تقدّم داميان من المسدس حتى دسّ جبهته بفوهته.
"هيا اطلق،" قال. "اسعد يومي."

كل شخص وقف ليشاهد هذا الحدث، كل شخص يعلم أن القائد دائماً يفوز.. إن لم تستمع، لن تحيا. لذا حبسوا أنفاسهم.

"هاري القذر!" قال القائد 19. "إن اللعين يقتبس من فيلم هاري القذر." بدأ يضحك ونظر حوله. "هل تمزحون معي؟" قال عندما لم يستجب أحدهم. "فِيلمي الأجنبي المفضل وهذا الفاشل هو فقط مَن شاهده؟!"

صرفهم بعيداً بحركة من يده وأسند إلى داميان تدريبات أكثر حتى طلوع الشمس. بعد ذلك، الجميع تجنب داميان ورافاييل.. وقد شك داميان أن لـ إلشارو يد بهذا الأمر، إما أنه يتساهل معه قليلا أو أنه يجهزه لشيء أكبر.

أتى الاستدعاء إلى مزرعة إلشارو بعد مضي سنة كاملة، في ذلك الوقت فقط بضعة من المجندين هم من تبقوا... وضعهم القائد 19 كلهم في شاحنة وقادهم إلى الجبال عند الفجر. علم داميان أنها ليست مجرد مزرعة، بل أيضاً مكان تنفيذ الإعدام حيث يتخلص إلشارو من أعدائه.

تم جمعهم في غرفة حارة خانقة ذات جدران وأرض إسمنتية، كانت الرائحة مثيرة للغثيان.. وأمامهم مُلقى دزينة من الرجال والنساء المأسورين: مجموعة من العصابات المنافسة، الواشين، الهاربين، أشخاص سرقوا من الكارتل أو يدينون بالمال ولم يستطيعوا ردّ الدين.

البعض تم اختطافه والآخر تم أسره لدفع فدية، ملامحهم تنطق بالخوف والدماء والعَرَق.

"مَن سيكون الـ(سيكاريو) التالي؟" حيّا إلشارو المجندين الذين نزلوا من الشاحنة للتو.

"أنتَ؟" وضع مسدسه أسفل ذقن صبي وأجبره على رفع رأسه.

"أنت؟" سار إلى التالي. "أم أنه سينتهي بكَ الحال هناك اليوم؟" أشار إلى أكياس القمامة السوداء التي وُضِعَت جانب أقدام كل مجند.

"لنرَ، هل نفعل؟"

وضع نصلا حاداً في يد الصبي وأشار إلى واحد من الأسرى. "احضر لي أذنه، إدواردو."

سار إدواردو إلى الرجل المقيد بكرسي، وجهه يرافقه علامات حروق السجائر التي ما تزال لم تلتئم تماماً.
"ماذا تنتظر؟" لوّح إلشارو بمسدسه.
"أيهما تريد؟" سأل إدواردو. "الأذن اليسرى أم اليمنى؟"
امتزجت ضحكات إلشارو مع أنات الرجل. "إنني معجب بكَ، إدوارو." تفحص الأسير بنظراته ليميل رأسه من جانب إلى آخر. "سآخذ اليسرى."
سلمه إدواردو الأذن ليرفعها إلشارو بينما تملأ صرخات الرجل الغرفة. "وهكذا نقوم بالأمور." قال عارضاً الأذن أمام بقية الصبية بينما يجلس إدواردو بجانب القائد 19.
واحداً تلو الآخر، اختبرهم إلشارو.. أعطى المطرقة لتحطيم ركبة أحدهم، الحمض لحرق الجلد، دلو وقماش من أجل عذاب المياه. على مدار الساعتين، تحولت الغرفة الصغيرة الرمادية في الجبال المعزولة إلى طقوس من الجحيم، وقد سرق إلشارو أرواح كل واحد من هؤلاء الصبية...
كان الشيطان الذي يصوغهم في النيران والدماء والكبريت.
عندما وصل إلى الصبي الواقف بجانب رافاييل، أعطاه مسدساً مشحوناً بالطلقات.
"تلك المرأة." أشار إلى امرأة مكورة على الأرض مرتعبة من الصرخات والعويل حولها.
صوّب الصبي المسدس لكنه لم يستطع حمل نفسه على قتلها، حاول مجدداً بينما تتلوى على الأرض ومعصماها مقيدان خلفها.
"إلشارو..." قال الصبي.
وقبل أن يكمل كلمة أخرى، قتله إلشارو برصاصة في صدره فتعثر حتى وقع على المرأة.
سار إلشارو حتى وصل إلى الجثة وأزاح قمة عصاه ليطبع وشم (C) أحمراً دموياً ليسحب القائد بعدها جسده ويحشوه في واحد من أكياس القمامة.
"أنتَ،" أعطى إلشارو المسدس إلى رافاييل وقد كان ما يزال دافئاً من أصابع الصبي الآخر عليه. "اقتلها."

تقدّم رافاييل للأمام.
"بورفافور -رجاءاً-،" توسلت المرأة.
رفع رافاييل المسدس وصوّب، بينما تتكون حبيبات العرق على حاجبه.
اشتدت قبضتا داميان، إنه يعلم أن رافاييل يعيش حالياً رعب مقتل خوان بابلو وكاميلا.. يعلم أنه لا مجال لحماية رافاييل من هذا الأمر.
"لا أقدر." أخفض رافاييل المسدس.
كان داميان ممزقاً، جزء منه يريد من رافاييل إطلاق الرصاص لينقذ حياته، والجزء الآخر يشعر بالراحة أن رافاييل تصدى للعتمة، ولم يستطع إلشارو إفساده.
"داميان." أخذ إلشارو المسدس من رافاييل وأعطاه له. "اقتل الفتى." لوّح بعصاه ناحية رافاييل، ليسكن داميان سكون الموت.
"ألم تسمع ما قلت؟ تشينجاتيلو... انهه تماماً!"
أدرك داميان أنه قد أفلت كل ذلك الوقت بحماية رافاييل لأن إلشارو سمح بذلك، لأن هذا هو اختبار إلشارو له... أن يقتل رافاييل، الشخص الوحيد الذي تقرب منه في المجموعة كلها. أراد إلشارو أن يفرغه تماماً من كل العواطف.. من كل ما يمكن أن يعرقله، لم يرغب لـ سيكاريو الذين يعملون لحسابه أن يجفلوا أو يترددوا أو يشككوا بأوامره. إن فعل داميان هذا الآن، إن قتل رافاييل... حينها سيثبت نفسه أمام إلشارو، سيقترب كفاية لينتقم لـ مامالو.. وذلك هو الشيء الوحيد الذي جعل داميان يستمر حتى الآن.
رفع داميان السلاح، يرى الدموع تجري على وجه رافاييل لكنه ظل ثابتاً.. يعلم أن داميان لا يمتلك الخيار، إن لم يفعل كما أمر إلشارو.. سوف يخسران كلاهما حياتهما.
"رافاييل." حدق داميان بمرمى المسدس.
"كم جراماً من الكوكايين يمكن الحصول عليه مقابل ألف بيزو؟"
بدا رافاييل محتاراً.
"أجب على السؤال،" قال داميان، ليطرح رافاييل رقماً.

"وكم جراماً مقابل ألف دولار أمريكي؟"
مجدداً أجابه رافاييل، فأعاد داميان السؤال مقابل يورو، ين، روبل، روبي....
كل مرة يجيبه رافاييل برقم.
"هل ذلك صحيح؟" سأل إلشارو القائد 19.
"لا أعلم، دعني أتأكد." أخرج القائد هاتفه وبدأ بالضغط على الأرقام ثم سقط فكه. "لقد أجابها جميعاً صحيحاً، إلشارو."
"حسناً، ماذا تعلم؟!" قال إلشارو. "الصبي ليس سيكاريو، لكنه ماهر مع الأرقام.. يمكننا الاستفادة منه." أخفض إلشارو يد داميان.
"أحسنتَ، داميان. تدبّرت إنقاذ صديقك وإثارة إعجابي. سيكاروس!" نادى إلشارو ملتفتاً إلى الصبية الذين نجحوا بالاختبار وذراعه مازال يحيط بداميان. "وأنت أيضاً أيها الفتى." قال مخاطباً رافاييل. "هنيئاً لكم! هذه هي بداية فصل جديد، تعالوا لنحتفل!"
تبع داميان إلشارو، بينما تحفر بذاكرته الصور المرعبة لأكياس القمامة وأعضاء الأجساد المقطوعة والجدران الغارقة بالدماء.
نعم، هذه بداية فصل جديد، إلشارو. بداية نهايتك، فكر.
لأنني لن أتوقف حتى أدمركما أنتما الاثنين.. أنتَ ووارن سيدجويك.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل الثامن عشر :::

أخذ تدمير إلشارو وقتاً طويلاً وتخطيطاً حذر، يعلم داميان أنه سيحصل على فرصة واحدة لذا يجب عليه الاستفادة منها وجعلها تحتسب. حتى لو تدبر قتل إلشارو سوف يسعى بقية أعضاء الكارتل خلفه وهو ليس مستعداً لذلك قبل أن ينهي وارن سيدجويك..

ولم يكن يتوجب عليه فقط التخطيط لهجومه بل أيضاً التخطيط للهروب.

شيئان عملا لصالحه، الأول أن إلشارو أبقاه نظيفاً.. فبعدما هلك القائد 19 في طلق ناري بدأ داميان بخفة الحلول مكانه كخبير متفجرات.. أي أكثر قيمة من أن يتم إهداره بالشوارع.

كان إلشارو يستشيره عندما يحتاج إلى محو منازل أمن المنافسين، الأدلة، الجثث... حاز داميان بثقة إلشارو الكاملة.

الشيء الثاني الذي امتن له أن إلشارو أرسل رافاييل إلى مدرسة خاصة خارج كابوراس حيث أنه يحتاج أكثر من العضلات لإدارة منظمته وقد رأى القيمة العائدة في استثماره للأخصائيين منذ

بداية عملهم، أدرك داميان أنه يتوجب على رافاييل العمل لصالح إلشارو بالنهاية لكنه ينوي إنهاء الـ كابو -زعيم- قبل وقت الحصاد.
على مدار السنوات القليلة التالية ادخر داميان المال.. وقد كانت أموالا كثيـــرة، بوصوله عمر السادسة عشر.. انتقل إلى شقة مواجهة للمحيط وقايض قاربه البانجا مقابل يخت صغير. عندما كان يرى الصيادين عائدين وقواربهم عامرة بحصاد اليوم، كان يذهب إليهم ويشتري السمك الطازج والسلطعون والقريدس، يعيرهم الأموال لإصلاح قواربهم وشباكهم وبالمقابل يدعونه في رحلاتهم ويشاركونه أسرار البحار... وإذا كانوا لاحظوا النظرات التي توجهنها بناتهم إلى داميان عندما يدعونه للعشاء بالمنزل فهم بالتأكيد لم يقولوا شيئاً.
لم يعمل داميان فقط مع المتفجرات، هو نفسه كان فتيلا مشتعلا ببطء.. ينتظر الانفجار، أثارت الهالة التي تحاوطه الفتيات وأخافتهن بنفس الوقت. وحقيقة أنه كان منفصلاً عن الجميع، غير مهتم ولا يمكن الوصول إليه، فقط أثارت رغبتهن به أكثر.. لكنه تجنب جيداً كل العلاقات الرومانسية، التدفق المسكر للحب الأول، الأيدي المتعرقة والكلمات المتعثرة.. التوق المؤلم الناعم لقبلة الحبيبة الأولى.
يتذكر قبلته الأولى، كانت ليلة الاحتفال بالنجاح بالاختبار، لكنه لا يتذكر لا الشفاه ولا الوجه. لقد أقام إلشارو حفلاً على شرف الـ سيكاريوس الجدد حيث الطعام والخمر والمخدرات والنساء، يومها تعرف داميان على عالم الممارسات الحميمية وقد ناسبه ذلك ليحد من تورطه مع النساء اللواتي يدفع لهن ليمتعنه.. أما العلاقات الغرامية فهي ضعف لم يسمح لنفسه به.
كل عام، كان يترك باقة من أزهار دوار الشمس المكسيكية عند قبر مامالو حيث يختار أكثر الأزهار عمقاً في لونها البرتقالي ومعها أكثر الأوراق لمعة. كانت مامالو مدفونة في بازا ديل مار في المقبرة خلف كنيسة الملاك ميخائيل.. نفس الكنيسة التي أتم بها أول مهمة توصيل

لصالح إلشارو، نفس الكنيسة التي كان يذهب إليها وهو طفل مع مامالو، قبرها مُحاط بكل هؤلاء السجينات الذين ليس لهن أحد من ڤالديموروس... مُحاطة بمجموعة من الصخور ولوح بسيط محفور عليه اسمها ورقمها كسجينة، لا تاريخ وفاة لأن أحدهم نسي كتابته... وقد حطم ذلك قلبه لأنه تم سرقة حتى تلك الكرامة منها.

لم يجهز داميان شاهد قبر جديد لها، ليس بعد.. إنه يحتاج ذلك كتذكرة. كل عام، عندما يرى ذلك اللوح الغير مكتمل.. تشتعل به النيران أكثر وهو يحتاجها أن تظل مشتعلة إلى الأبد حتى يستطيع أخذ إزميلا ومطرقة إلى قلبي الرجلين اللذين وضعاها هناك ويحفر عليهما عقابهما. حينها وفقط حينها، سوف يقيم لمامالو شاهد قبر ملائم.

مرة عندما أتى رافاييل لزيارته وقت العطلات، قادا معاً إلى لا سومبرا.. الكانتينا التي كان يعمل بها والدا رافاييل، لازالت ملك إلشارو.. واحدة من العديد من المراكز التي يتردد عليها.. فقط عمل بها زوجان مختلفان، أصغر من خوان بابلو وكاميلا، بينما يضيق مئزر المرأة الملطخ على بطنها الحامل.. حينها لم يستطيعا حمل أنفسهما على الأكل هناك لذا اشتريا التاكو المحشو بالسمك من بائع بالشارع.

"لم أكن لأنجو لولاك،" قال رافاييل. كان بالثالثة عشر لكنه أكثر طولا من عمره.

"لقد أنقذت حياتي."

كانا يجلسان على مقدمة السيارة، خارج كاسا بالوما.

"لقد أنقذتُ حياتي أنا، رافاييل." أدرك أن رافاييل يتكلم عما حدث بتلك الغرفة الغارقة بالدماء بين الجبال. "إن وقفتَ عائقاً بطريقي، كنتُ سأنهيك. لا تظن غير ذلك."

أخذ رافاييل رشفة من الجعة وضحك. "تحب أن تفكر أنك جريء شجاع بلا كورازون... بلا قلب، لكنني أعرفك جيداً."

"إنك لا تعرف شيئاً." سار داميان إلى البوابة

الحديدية الطويلة التي تحوى عقاراً بلا حياة الآن. أصبحت كاسا بالوما في حالة فوضى، استولت الحشائش الضارة الشائكة على الحديقة.. كل النوافذ مغلقة والقفل الذي ثبته فيكتور بالسلاسل أضحى صدئاً الآن. أحب داميان ذلك، شعر بالمكان تماماً كذكرياته عنه... مقيداً وميتاً ومهجوراً.

ابق خارجه.

هذا هو المكان الذي وقعت به مامالو ضحية سياسات الثروة والقوة، ضحية رجال طماعين معتقدين أن من حقهم الحصول على كل شيء دون أي ندم للحيوات التي دمروها.

"يوماً ما سوف أملك هذا المكان." قال داميان عندما عاد للسيارة.

يوماً ما سيقضي على وارن بنفس الأسلحة التي استخدمها ضد مامالو: المال والقسوة. يوماً ما سيسرق منه كل شيء غال عليه.

"هل ذلك قبل أم بعد تدمُيرك لـ إلشارو؟" سأل رافاييل مديراً عينيه بضجر، يتمنى لو أن داميان يتخلى عن هدفه. إن إلشارو لا يُقهر وهو لا يريد الألمِ لصديقه.

يشك داميان أن إلشارو يتذكر المربية التي أتت تلاحق فتاة صغيرة وقاطعت صدفة اجتماع الغربان السود. لا. إن إلشارو يتغذى على الجثث، جسد ميت لا يختلف عن آخر، ولن يضيع داميان وقته في محاولة تذكيره.. إن إلشارو لا يستحق تفسيراً ولا مبرراً، يستحق فقط النيران والرماد.. اشتعالا هبوطاً إلى الجحيم.

"أولا إلشارو، ثم وارن سيدجويك." شغّل داميان المحرك. "ثم سأمتلك هذا المكان حيث بدأ كل شيء."

بينما يقودان عائدين، لم يفكر داميان بسكاي، أبداً لم يفكر بسكاي.. لقد كانت محبوسة داخل غرفة مغلقة نوافذها بألواح خشب قوية، وقد تجنب داميان دائماً، دائماً، الفراولة والفتيات ذوات الفجوات بين أسنانهن وشعورهن بلون الذهب.

****

كانت حدة التنافس بين الكارتل بـ سينالوا ولوس زيتاس في ازدياد يوماً بعد يوم، كل يوم الجثث في ازدياد والدماء في نزيف دائم. لذا عقد إلشارو اجتماعاً مع أكثر مستشاريه وحلفائه ثقة وحكمة.

"داميان،" قال متفحصاً الـ(C) التي حفرها للتو عند قدم الضحية. "إن نصلي يحتاج أن يستبدل." أعطى العصا لداميان.

كل عام، كان يأخذ داميان عصا إلشارو إلى حداد في كابوراس ليبدّل النصل بواحد حاد كالموس مصنوع خصيصاً له.

"سوف نجتمع في المستودع الجديد في بازا ديل مار غداً بالساعة 3 عصراً. قم بإصلاحه قبل ذلك." قال إلشارو. "أيها القائد 21، اعتنِ بهذه الجثث." خطا فوقهم ممسكاً بمنديل إلى أنفه. تبع داميان إلشارو للخارج ثم شاهده وهو يسير بعيداً في سيارته السيدان المكيفة، بدل حينها خط هاتفه وقام باتصال.

"لدي معلومات إلى إيميليو زامورا."

لم يعد يحتاج للانتظار أطول، إن إيميليو زامورا هو شقيق ألفريدو روبن زامورا الأصغر، الرجل الذي حاول قتل إلشارو.. الرجل الذي قتله داميان في الكانتينا. بالطبع إيميليو مثله مثل الجميع يظن أن خوان بابلو هو المسئول عن موت أخيه، منذ أن أرسل إلشارو برأس ألفريدو إلى جنازته.. كان إيميليو يتحين الفرصة ليتساوى معه.

"غداً، المستودع في بازا ديل مار الساعة 3 عصراً إلشارو وكل مساعديه المقربين."

"مَنْ هذا؟" سأل إيميليو لكن داميان أغلق الخط. إن الفرصة المثالية قدمت نفسها أخيراً.

*****

حرس داميان الباب بينما رافق القائد 21 إلشارو داخل المستودع، واحد تلو الآخر.. بدأ الرجال بالوصول في سياراتهم وبين حراسهم الشخصيين ليأخذ كل واحد منهم مقعداً على الطاولة الكبيرة بينما يقف الحراس خلفهم على مسافة احتراماً. وقد تم تحديد المكان باللحظة الأخيرة كإجراء أمن إضافي.

الظاهر للجميع أن هذا المستودع يعمل كمنشأة شحن للسردين المعلب، لكن يعلم داميان أن الصناديق والأقفاص المخزنة بالداخل مليئة بالماريجوانا، كتل من الكوكايين والميثامفيتامين.. إلى جانب أكياس محكمة الغلق من بودرة الهيروين البنية.

إن كل رجل بهذه الغرفة متصل بشكل أو بآخر بالكارتل، البعض منهم يمتلك المزارع التي تحصد الماريجوانا، والبعض الآخر لديه صلات في كولومبيا.. بيرو أو بوليفيا، قلة منهم يديرون معاملا لتصنيع الميثامفيتامين. كلهم متورطون بإعداد ونقل وتوزيع المخدرات حتى الحدود الأمريكية عبر السيارات، الشاحنات، القوارب، وأنفاق المخدرات عبر الحدود، كلهم يمتلكون الشرطة والقضاة في جيوبهم ومنازل اختباء في لوس أنجلوس، الباسو، هيوستن، توكسون.. ومن هناك تنتشر المخدرات إلى مدن رئيسية، لتتوزع بعدها إلى مئات الأحياء والمجتمعات. تساءل داميان مَن كان متواجداً منهم في اليوم الذي قاطعت به مامالو الاجتماع في كاسا بالوما.

نظر إلى ساعته. 2:45.

"داميان! كيف الحال يا رجل؟" شعر بصفعة قوية على ظهره.

شحب داميان. "رافاييل. ماذا تفعل هنا؟"

"أنا دعوته. ساحر الرياضيات،" قال إلشارو مربتاً على المقعد الفارغ بجانبه. إن رافاييل يجعله يبدو بمظهر جيد أمام الجميع، حيث يمد إلشارو إليه الملاحظات خلسة خلال الاجتماعات المهمة فيقدّم رافاييل الأرقام التي يحتاجها للخيارات المتاحة.

"اسمع، رافاييل..." جذبه داميان.

"أغلق الباب، داميان." قال إلشارو. "واجلب لي عصاي، حان وقت البدء."

فكّ داميان عصا إلشارو من الغلاف البلاستيكي ومدّها له.

بالخارج، يحوم رجال إلشارو.. والداخل، يعقد الملك جلسته مع فرسان الظلام.

نظر داميان لساعته مجدداً، إن كل قطع الأحجية في مكانها، عدا واحدة. يجب عليه أن يتحرك بسرعة، مرّر ملحوظة إلى رافاييل تحت الطاولة ونهض. رفع إلشارو حاجباً.

"سأعود على الفور،" قال داميان ثم خرج من الباب الخلفي. ميّزه الرجلان اللذين يقفان للحراسة هناك، فتوقف داميان في ظلال شجرة طويلة وتظاهر أنه يتبول بينما خلفه تغطي صفوف النخيل التلال المحيطة. أصدر قطيع من القردة أصواتاً عالية بينما يتأرجحوا من فرع إلى آخر بين الأشجار ليجعلوا أحد الحراس يجفل بشدة.

لعن الحارس بينما ضحك الآخر عليه، كانا لا يزالان يضحكان عندما ذبح رجال إيميليو زامورا عنقيهما، اختبأ داميان خلف الشجرة وأوراق الأشجار تغطيه جيداً.

إن رجال لوس زيتاس خبثاء ويعملون بهدوء، لديهم بالفعل عامل المفاجأة وقد استخدموه جيداً للتخلص من الحراس واحداً تلو الآخر بالخارج باستخدام الخناجر، السكاكين، الأحبال، السلاسل، الصخور، العصيان. لا أسلحة نارية. لم يكن إيميليو يرغب بأن يدرك إلشارو أي شيء أو أن يقتله عرضاً ضمن سحابة الرصاص، لقد أراده حياً حتى يستطيع إنهاءه بأكثر الطرق إيلاماً.

بالطبع، لم تجر الأمور كما خطط فقد بدأ رجال إلشارو بإطلاق الرصاص فور أن أدركوا ما يحدث ولكن لا فائدة، فإيميليو لا يثق بالنصائح المجهولة التي يتلاقاها عبر الهاتف.. لقد جعل رجاله يتحرون عن الأمر ثم جلب معه جيشاً حقيقياً وقد كان ذلك الجيش يبلي جيداً الآن حيث تغلبوا على الحراس بالخارج وانقضوا كالعاصفة إلى داخل المستودع.

زحف داميان من الباب الخلفي، فوق أجساد الحراس الموتى، عودته للداخل مجدداً تعدّ حركة حمقاء لكنه يجب أن يُخرج رافاييل من هناك. الشيء الوحيد الذي جعله يستمر بالتقدم للأمام هو تدريبه القتالي واندفاع

الأدرينالين بجسده كله، تجاهل ضربات الرصاص والشظايا التي تطير بالجو.. الحقائب النحاسية وهي ترتطم بالأرض. نصف الإضاءة انطفأت وتناثرت مصابيحها كما تناثرت الأجساد، بعضها فاقد الحياة، بعضها يصرخ بألم، المستودع مليء بغيوم البارود والصناديق تبصق ما بداخلها من مخدارت إلى الهواء.. فيصعب التنفس، تصعب الرؤية لكن داميان استمر بالزحف حتى وصل إلى أسفل طاولة حيث وجد رافاييل منكمشاً بنهايتها.. يداه تغطيان أذنيه ويهتز للأمام والخلف.

كاد أن يصل إليه لولا وقوع شخصين على الأرض وأطاحا معهما الكراسي، تدحرجا معاً كل واحد منهما يحاول نزع المسدس من الآخر، ليرى داميان شعراً أسوداً بلون الورنيش في الغرفة نصف معتمة.. إن إلشارو يصارع إيميليو زامورا.

"داميان!" لمحه إلشارو تحت الطاولة، كلاهما لاحظا المسدس الآخر المُلقى بإهمال بجانب قدم داميان. "اعطني هذا." مد إلشارو يده.

تلاقت عيونهما للحظة. أراد داميان أن يمسك المسدس ويملأ جسد إلشارو كاملا بالرصاص، لكنه يعلم أن هذا سيفسد خطته.. وبذات الوقت لا يستطيع ترك إلشارو يقتل إيميليو حتى يكون هو ورافاييل بأمان خارج المبنى.

ركل داميان المسدس بعيداً عن مرمى إلشارو.

"ماريا لويزا ألفاريز،" قال. "تذكر اسم أمي عندما تقابل خالقك."

أظهر وجه إلشارو تعابير الصدمة وعدم التصديق، ليس بسبب فهمه لما يتكلم عنه داميان.. بل بسبب الخيانة، كان الأمر لحظياً لأن إيميليو جذبه مجدداً من ياقته ولهذا انشغل إلشارو بأمور هامة أكثر حالياً... كحياته!

استمر داميان بالتقدم إلى رافاييل، لا يوجد تراجع الآن.. لقد قال الحقيقة وسمح لـ إلشارو أن يرى الكره بعينيه. إن نجا إلشارو فذلك يعني نهاية داميان، لكنه يحتاجه أن ينجو فقط لمدة أطول قليلا.

"رافاييل." هزه.

لكن رافاييل في حالة صدمة، كما كان عندما كان يختلس النظرات عبر باب الحمام وشاهد والديه يُقتلان.. إن إطلاق الرصاص يعدّ أكبر مخاوفه.

"رافاييل." صفعه داميان مرتين وكان ذلك كافياً لانتزاعه من جحيمه الخاص.

"لقد اختبأت تحت الطاولة، كما قلتَ لي."

لايزال يتمسك بملاحظة داميان مجعدة في قبضته.

"جيد، الآن استمع إليّ." قال داميان. "ابق رأسك منخفضاً، وازحف حتى تصل إلى الباب." أشار إلى المخرج في الخلف.

"ماذا عنك؟"

"سأكون خلفك تماماً، لا تنظر خلفك.. فقط استمر بالزحف، عندما تصل للباب اركض حتى الأشجار.. أتفهم؟"

أجفل رافاييل حيث انقض وابل من الرصاصات على الصناديق خلفهما.

"رافاييل؟ فهمت؟"

أومأ رافاييل وبدأ يشقّ طريقه تحت الطاولة.

لاحظ داميان القائد 21 ممدداً على الأرض، عيناه مفتوحتان لكنه ميت. فتش داميان الحزام حول كاحله وأخذ السكين الذي يحتفظ به القائد دائماً والتفت، كان لايزال إلشارو وإيميليو زامورا يتصارعان كعملاقين في المعركة.

زحف داميان عائداً إلى الطاولة ثم انتظر حتى أصبح يفصله عن أرجلهما بضعة إنشات فقط، حينها مدّ يده وشق بالسكين ظهر رجلي إيميليو مؤذياً الأوتار التي تبقيه واقفاً.

وقع إيميليو زامورا على ركبتيه.

"لماذا فعلت ذلك؟" نظر رافاييل لـ داميان وفمه مفتوح بدهشة.

"أخبرتك أن تستمر بطريقك."

"لكن كان إيميليو على وشك قتل إلـ..."

"تحرك، رافاييل!"

لم يناقشه رافاييل، انطلق الصبيان حتى خرجا واتجها إلى الأشجار. خلفهما المذبحة مستمرة، عندما وصلا إلى أعلى التلة.. استدار داميان.

"أنا لا أفهم ما حدث." كان رافاييل منحنياً محاولا التقاط أنفاسه. "لِمَ لم تقتل إلشارو؟"
"أنا أحتاجه حياً." قال داميان.
"لكن...."
فقط حينها، ثار المستودع ليتحول إلى كرة نارية، انفجار مدو من النيران والدخان. كل ما استطاعا سماعه خلال آذانهم المكبوتة صراخاً عالياً حيث سطعت شمس ثانية وبصقت حولها الزجاج والحطام بالهواء. وقف جانب من المستودع يهتز دون ثبات قبل أن ينهار وسط سحابة من الغبار والرماد.
كل شيء توقف، الرياح في الأشجار، الطيور، الحيوانات. ساد صمت غريب مليء بأصوات إنذارات السيارات.
"ماذا فعلتَ؟" سأل رافاييل وسط الضباب الحار.
"لقد ملأتُ المكان بالمتفجرات ووضعت محفز التفجير في عصا إلشارو، باللحظة التي قام بإخراج النصل.... **كابوم**!"
"لهذا منعتَ إيميليو من السيطرة على الوضع، لقد أردتَ أن يقتله إلشارو.. تعلم أنه لن يُقاوم إغراء وشمه بالضبط كما فعل مع أخيه."
ظل داميان يحدق بالمستودع، لم ينجُ شيء... لا الرجال، لا المخدرات، ولا العلب المزيفة من السردين المدخن.
"اللعنة داميان!" قال رافاييل وقد بدأ يضربه الإدراك أخيراً. "إننا أحرار من إلشارو ومن الكارتل! سوف يظنون أننا متنا هناك مع كل شخص آخر، سيعتقدون أنه كان عراكاً حدّ الموت بين إلشارو وإيميليو زامورا... وتلك الـ(C) تصبح اختصار سيسادو. النهاية. لقد قمتَ بشوائهم على الفحم، إلشارو وكل شخص معه."
"إننا لسنا آمنين بعد رافاييل، سوف يجدون آثار المتفجرات إن بحثوا جيداً."
"أجل لكن سيوجه الكارتل أصابع الاتهام إلى لوس زيتاس ولوس زيتاس سيلومونهم بالمثل. عبقري، داميان.. شيء يستحق الانتظار."
"سقط واحد، وبقي الآخر.." قال داميان وهو ينفض الغبار عن بنطاله.

علم رافاييل أنه يفكر بِـ وارن سيدجويك.
"رباه داميان! يجب عليك أن تأخذ بعض الوقت تلتقط به أنفاسك، حتى بالأفلام يوجد استراحة."
"حقاً؟ وماذا كان سيكون مصيرك إن كنتُ أخذتُ استراحة مع الفشار والحلوى؟"
"صحيح. هذه هي المرة الثانية التي تنقذ بها حياتي،" قال رافاييل. "إذاً ماذا الآن؟"
"الآن سنختفي عن الأنظار وننتظر استقرار الأوضاع.. فكر بالأمر كأنه استراحة."
"وكم المدة؟"
"بقدر ما يحتاج الأمر لوضع الخطة التالية، رافاييل.. بقدر ما يحتاج."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثاني :: إستيبان

::: الفصل التاسع عشر :::

"لقد قطعنا شوطاً كبيراً منذ كابوراس." قال رافاييل ليطرق جعته مع جعة داميان.

تفحص داميان المكان المُضاء بالمشاعل والمطل على ميشين باي في سان دييجو، يشاهد الأسماك الإستوائية تسبح في الحوض الذي يرتفع حتى السقف ومجموعة الأدوات الفخمة على الطاولة أمامهما.

"لقد اتخذ الأمر وقتاً طويلاً،" قال.

"أحد عشر عاماً بحق الجحيم." تفحص رافاييل قائمة الطعام. "ماذا ستأكل؟"

"برجر،" ردّ داميان دون أن يفتح القائمة بينما يتململ ملامساً أزرار أكمامه.

"أكان هذا حقاً ضرورياً؟" سأل.

"أنتَ تريد الاندماج مع الطبقة الفخمة، لذا يجب أن تبدو ملائماً للدور. هل يعجبك الحذاء؟ لقد جعلت رجلي يصنعه خصيصاً."

"أتفهم أن الحذاء مظهراً رئيسياً لمستشار مالي لامع مثلك، لكن اللعنة على كل هذا رافاييل. لا يوجد شيء أفضل من حذاء ممزق من المجهود

الشاق والعَرَق."

"تباً للمجهود الشاق! إنكَ تستحق هذا. متى ستبدأ بالاستمتاع ببعض الأموال التي جنيتها بعملك الشاق؟ إن لم تبدأ بالاسترخاء داميان، سيحمل وجهك عبوساً دائماً وستبدأ بإخافة الفتيات وإبعادهن عنك... للأبد."

لوّح داميان بيده باستخفاف، بعمر السابعة والعشرين.. إنه غافل تماماً عن ردود أفعال النساء تجاهه، عندما يدخل داميان إلى غرفة.. يتجه إلى ظلال أي ركن معتم، لم تناسبه الأجواء أبداً ولم يحاول أن يتلاءم معها. لكنه لفت الانتباه الذي كان يحاول تفاديه لأنه بدا كجذب حيوان محبوس بالقفص، تحوم النساء حوله خائفات من لمسه، خائفات من التحدث إليه، لكن بنفس الوقت.. منبهرات بالكامل.

"إن المال لا يعني شيئاً،" قال. "إنه وسيلة للخلاص."

"أعلم ذلك، لكن احظَ ببعض مما حققته. بعد الشارو، لم نكن نمتلك شيئاً عدا الأموال التي كنتَ أدخرتها، وقد تدبرتَ تحويل كل ذلك.. مركب ثم اثنين، ثم خمسة، ثم عشرة.. من شركة صيد صغيرة حتى سلسلة شركات شحن بحق الجحيم. لقد أدخلتني إلى الجامعة بينما تقوم أنت بالكدّ والعمل الشاق.. كل شيء أنا عليه الآن، أدين لك به. والآن ها أنت ذا... على وشك الإطاحة بوارن سيدجويك."

فكر داميان بتلك السنين بعد موت الشارو، حيث أبقى اهتماماً خاصاً بكل ما يتعلق بوارن.. بالنهاية كان الشارو غريباً يحاول إبعاد تهديداً له، أما وارن... لقد عرف مامالو... وقد اعتنت بابنته لتسع سنوات -تسع سنوات لعينة- ست سنوات منهم حاولت ملء الفراغ الذي تركته زوجته بعد موتها. لقد أحبت سكاي بقدر ما أحبته هو ابنها، لدرجة أن تضع ابنها في المرتبة الثانية حين يعلق الأمر بوقتها ومحبتها.

وكيف يكافئها وارن؟ بخيانته لها لينقذ نفسه، إنه جبان يحتاج أن يكفر عن خطاياه.. ليس عبر الموت، بل بأن يحيا... أراده داميان أن يشعر بالألم

لبقية حياته.
سوف يجرده من قصره الفخم في (لا يولا)، سيجرده من أسطوله من السيارات وسائقيها، من سلسلة منتجعاته اللامعة المتناثرة بأكثر الأماكن أهمية بالعالم.. واحداً تلو الآخر، سيأخذ كل ذلك منه.. شهرته، ثروته، نفوذه... حتى الأساس الذي بنى عليه عالمه.
ولكي يفعل ذلك، ليحارب وارن في قصره العاجي، كان على داميان أن يشحذ أسلحته هو.. أن يبني ثروته هو، ثروة وقودها شيء أكثر قوة من أي شيء يمتلكه وارن في جعبته:
علبة صدئة من السجائر وذكرى شاهد قبر مامالو غير المكتمل.
أينما ذهب داميان، أخذ معه صندوق (لاكي سترايك). كان معه عندما بحث في الجزر البعيدة والنائية عن مكان يمكنه ورافاييل الاختباء به، كان معه عندما استقرت الأمور بعد موت إلشارو وايميليو زامورا وكل شخص نسي الطفلين الغير مهمين الذين كانا معهما ذلك اليوم. كان معه عندما ذهبا إلى ميناء صيد حيث اشترى داميان أول قارب صيد (الكاباليرو). اسم أخذه كجزء من هويته الجديدة. كان معه عندما شاهد رافاييل يذهب إلى مدرسة لائقة راقية ومجدداً عندما حضر حفل تخرجه من الجامعة. كان معه عندما أضحى كبيراً كفاية وثرياً كفاية ليقدّم على البطاقة الخضراء الأمريكية للإقامة الدائمة كمستثمر، وبعدها بمرور سنوات.. عند حصوله على الجنسية الأمريكية، وها هو معه الآن في جيب معطفه الداخلي بينما يتناول العشاء مع رافاييل في منتجع وارن على الطراز البوليني: سيدجويك، سان دييجو.
عندما بدأ وارن عمله، كان لايزال تحت براثن الكارتل. لقد تدبر الخروج من المكسيك لكن فقط لأن ذلك لاءم أغراضهم، لقد احتاجوا طرقاً لغسل أموال المخدرات والأعمال الأخرى غير القانونية وتحويلها إلى عملة نظيفة مستخدمة، وكان وارن واحداً من تروس آلات

غسيل الأموال، فهم داميان دوره جيداً... يشترى وارن قطعة ممتازة من عقارات الولايات المتحدة ويبني عليها منتجعاً ذا خمس نجوم ويملأه بأفضل الأدوات والأواني، أفضل الأثاث.. ومن هناك يصل فندقه للحد الأقصى للإشغال.. لكن ليس تماماً، كل يوم تأتي شاحنة أمن تجمع كل الأموال المأخوذة من الغرف، الملاهي الليلية، الكازينو، الحانات والمطاعم... ويمتزج المال القذر مع الدخل الشرعي ليحصل وارن على جزء من محصلة ذلك ويُرسل البقية إلى حسابات عبر البحار تنتمي إلى إلشارو الذي يوزع بعدها الأموال على رجاله.

حرر موت إلشارو وارن من براثن الكارتل حيث تم قطع الاتصال المباشر بينهم، ولم يعد هناك وجود لذراع الكارتل في مدينة سينالوا. بعدها لملم وارن صفقاته الغير القانونية وأكمل توسيع سلسلة فنادقه بأمواله الخاصة، بعد عدة سنوات اشتهر، أصبحت فنادق سيدجويك سلعة تجارية ضمن أسهم البورصة. ظن وارن أنه آمن، أبداً لم يتخيل ولو لثانية واحدة ما هو آت إليه، مَنْ سيأتي إليه.

عندما سار وارن إلى المطعم تلك الليلة، التفت رافاييل إلى داميان. "ها هو ذا، تماماً في موعده. كل ليلة ثلاثاء.. الساعة الثامنة بالضبط."

شعر داميان بحدة غضبه تعلو، تجاهل الحاجة الملحّة بأن يلتفت وقضم من البرجر، لقد كان يشتري أسهم سيدجويك لسنوات عبر شركات وهمية أنشأها رافاييل له، لم يعرف وارن بالأمر لكن داميان كاباليرو الآن يمتلك ما يكفي من أسهمه ليتحكم بمصير فنادق سيدجويك، وهنا.. ببداية حساب اتخذه أكثر من عشرة سنوات ليصفيه، أراد داميان أن يلقي نظرة أخيرة على الرجل المسئول عن تدمير مامالو، غداً.. سيصبح رجلا مختلفاً، رجلا محطماً.

"كل شيء جاهز؟" سأل رافاييل.

"قل الكلمة وينتهي الأمر."

دفع داميان طبقه بعيداً. "أحتاج إلى شراب، سوف أتجه إلى البار." حيث يستطيع مراقبة وارن

ويرتشف آخر القطرات الحلوة والمرّة من السم الذي كان وقوده لوقت طويل.
أومأ رافاييل، يعلم داميان كفاية ليفهم أنه يحتاج أن يبقى بعض الوقت وحده.
"خذ وقتك، سأكون هنا."
جلس داميان بنهاية البار بعيداً عن الحشد، حيث تخفت الأضواء وتصمت الموسيقى. أخذ رشفة كبيرة من الجعة قبل أن تبحث عيناه عن وارن، كان يجلس على مائدة خاصة بينما عرفه طقم الخدمة على ما يبدو وعرفوا ما يحب، جلبوا له شرابه دون طلب ونوعاً من المقبلات على طبق طويل مستطيل.
كان داميان قد رأى صوراً لوارن لكن لا شيء أعدّه لرؤيته بالواقع بعد مرور خمسة عشر عاماً... خمسة عشر عاماً مضت منذ قاد وارن السيارة الفضية على الطريق الترابي. بدا وارن أصغر، أقصر، ليس كما تخيله داميان، لقد كان في الخمسينات الآن لكنه بدا أكبر سناً.. ذا شارب يسوده الشعر الفضي الآن.

كيف يستطيع الجلوس هناك، يأكل ويشرب بكل استمتاع وحيوية، بينما ترقد عظام مامالو محللة في الأرض؟ كيف يمكن لأي شخص أن يمضي قدماً بحياته دون تأثر مع معرفته أنه دمّر عالماً وأحلاماً وتهويدات؟ وارن هو الشارو.. عدا أنه أسوأ. بينما لم يتظاهر الشارو بما هو على عكس طبيعته الوحشية، بنى وارن لنفسه واجهة من الوقار.
لو أن داميان رحل حينها، في تلك اللحظة، كان عندها سيظل متمسكاً بخطته الأصلية.. أن يستولي على كل شركات وارن ويجردها.. يبخسها قدرها ويفككها فيفقده قوته وهيبته التي اكتسبها عندما باع إنسانيته.
لكن بينما كان ينهي جعته، توقف داميان بوسط احتسائه لآخر رشفة حيث دخلت امرأة شابة إلى محيط المائدة، لم تجلس مقابل وارن وانما جلست جانبه وأحاطته بأكبر وأقوى عناق.
لم يستطع داميان رؤية وجهها لكن بدا واضحاً أن وارن ينتظرها.. لقد تحوّل وجهه تماماً، أشرق ولمع

بشيء لا يمكن تفسيره.. شيء حقيقي لكن لا يمكن لمسه.. شيء رآه داميان فقط في عيون مامالو قبلاً، عندما كان يجلب لها الأزهار لشعرها، عندما كان يصنع لها عقداً من الأصداف، عندما كان مريضاً، عندما كان متألماً، عندما كان يضحكها وأحياناً عندما يبكيها. تلك النظرة، تلك النظرة التي قد يدفع داميان أي شيء ليحظى بها من جديد... هي ذات النظرة التي يوجهها وارن إلى شريكة عشائه... وكأن العالم بأكمله داخل عينيه.

حبس داميان أنفاسه.

انظر بعيداً، انظر بعيداً.

لكنه لم يقدر، وفي تلك اللحظة.. أطاحت سكاي سيدجويك بشعرها الذهبي الطويل إلى الجانب وقبّلت والدها على خدّه.

اللعنة!

شعر داميان كأنما ضربه أحد بأعماقه، الذكريات التي حبسها خلف البوابة الحديدية تمردت ضد سلاسلها.

"واحدة أخرى." ضرب داميان جعته على البار لتقفز الساقية من المفاجأة.

عندما صبّت له واحدة أخرى أمسكها وشربها في رشفة واحدة طويلة مغرقاً كل شيء يهدد بالهرب.. مغرقاً كل الطائرات الورقية والكعك والأشجار ذات الأزهار الصفراء اللامعة.

عندما نظر إلى سكاي مجدداً، محصناً ومسيطراً الآن، وجدها تتهافت على شيء أعطاها والدها إياه. مزقت الغلاف وأخرجت حقيبة.

"هيرمس! -ماركة مشهورة-" صاحت بفرح.

اختفت الآن الفجوة المحببة بين أسنانها، غطتها وألبستها القناع.. تماماً مثل قلبها، إنها الفتاة التي لم توقف السيارة عندما لاحظت داميان يجري خلفها، إنها الفتاة التي لم تزعج نفسها حتى بقول الوداع، إنها الفتاة التي دهست قلبه وحيواناته الورقية ودهست حب مامالو وأغانيها وقصصها.

إنها هي بكل إنش فيها.. ابنة وارن سيدجويك، بانعدام مراعاتها وماديتها وزيفها..

صديقة مزيفة، ذكرى طفولة مزيفة.

إنها شيء زائف ملفوف في ملابس مصممة غالية، لكن أكثر من كل ذلك... أكثر من كل شيء... إنها كل شيء لـ وارن. الطريقة التي ينظر بها إلى ابنته تركت داميان دون شكوك بشأن ذلك، لا شيء أكثر أهمية لـ وارن من ابنته... لا قصره، لا سياراته، لا شركته. إذا أراد داميان جعل وارن يعاني، يعاني حقاً، عليه أن يأخذها بعيداً عنه.. للأبد.

"امرأة مقابل امرأة." قال داميان عندما عاد لطاولته.

"ماذا؟" سأله رافاييل.

"امرأة مقابل امرأة، هو قتل أمي.. أنا أقتل ابنته."

"عماذا تتحدث؟؟"

"أترى ذلك هناك؟" أشار داميان لمائدة وارن. "ذلك أب يعشق ابنته، لا يوجد ألم في هذا العالم أكبر من فقدان طفل، رافاييل. وأنا سأتأكد من أن يشعر وارن بهذا.. على مدى حياته."

اتجهت عينا رافاييل من سكاي إلى داميان.

"بالعنف؟ هل حقاً تريد فعل ذلك؟ لقد قضينا حياتنا نهرب منه."

"ليس العنف، رافاييل، العدالة. سكاي سيدجويك مقابل مامالو. أونا موخير بور أونا موخير."

"ظننت أننا نسعى خلف شركته."

جذب داميان علبة سجائر (لاكي سترايك) من معطفه. "بدلت رأيي." ثم تتبع الأحرف الذهبية وفكر بالمقالة التي بداخلها.. بكل الأكاذيب والأكاذيب والأكاذيب التي بصقها وارن بشأن والدته.

"إنني أسعى الآن خلف سكاي سيدجويك."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل العشرون :::

"هكذا أصبح إستيبان داميان،" قال رافاييل. "عندما صليتِ لأجله وماماله.. زعزعته فلم يستطع حمل نفسه على قتلك، لكنه يستطيع جعل والدك يظن أنكِ ميتة، والآن..." رفع رافاييل المسدس. "وقتكِ حقاً قد نفذ، أيتها الأميرة."

كان الجو معتماً، أستطيع سماع الأمواج تتلاطم مع الشاطيء، صرير حشرات الليل تتحرك حولنا، صرخة طائر ثاقبة... وكأن المشهد في فيلم وثائقي عن الطبيعة: أصوات الغابة.

اغمضي عينيكِ، استرخي. لا تقاومي. دعي رافاييل يصيبكِ بين عينيكِ.

لقد أصبحت ميتة بالفعل، الحقيقة لا تحررك دائماً. بل يمكنها أن تقتلك، تشرّح أحشاءك وتقلب كل شيء رأساً على عقب. كل شيء آمنتُ به، كل شيء ظننته حقيقة انقلب رأساً على عقب. والدي ليس الرجل الذي ظننته هو، داميان ليس الرجل الذي ظننته هو، وماماله لا تعيش في منزل جدرانه بيضاء وحديقته مليئة بالزهور.

"أنتَ تكذب،" قلتُ. "مامالو ليست ميتة، لقد كان داميان يأخذني لرؤيتها."
"لقد كان يأخذك لقبرها، حتى تري ما فعله والدك. كان مهماً له أن تفهمي لماذا فعل ما فعل، إنه يذهب هناك كل سنة.. هذه السنة فكر أنه أخيراً سيبقي على وعده ويكمل ضريحها. لقد كان سيحظى أخيراً بسلامه، لكنك... اتضح أنكِ أنتِ الصدع في درعه. علمتُ أنه بدأ ينكسر، وكلما أمضى معكِ الوقت.. كلما أصبح الأمر أكثر صعوبة أن يبعد نفسه، استطعتُ سماع ذلك في صوته... ممزق بشدة. كان يجب أن أعترض هذا أسرع، لكنني هنا الآن وقد حان الوقت لإنهاء هذا."
كان يدا رافاييل تهتزان وهو يصوب، أدرتُ وجهي بعيداً.. أردتُ أن أعود لذلك اليوم، إلى الطريق الترابي، إلى كاسا بالوما المتباعدة خلفنا. أردتُ أن أشق غمامة الغبار، أن أميز شكل صديقي المفضل، أن أوقف السيارة وأركض إليه.
إستيبان، أتمنى لو كانت الأمطار قد سقطت.

"دعها تذهب،" قال داميان.
فتحتُ عينيّ ورأيته، بنيته مترنحة معتمة أمامنا. بالكاد يقدر على الوقوف لكنه ثابت متماسك.
"كلانا يعلم أنكَ لن تقتلها. أنتَ لا تقدر." قال موجهاً كلامه إلى رافاييل.
"سوف أفعل." أبقى رافاييل مسدسه مصوباً تجاهي محيطاً كفه بكفه الآخر. "لأجلك سأفعلها، سأتخطى حاجز خوفي تجاه الأسلحة وأطلق الرصاص حتى ينفصل دماغها. إنه إما أنتَ أو هي، داميان. لقد حادثت والدها، تفحص سجل المكالمات في هاتفك. وتعلم ماذا يعني هذا، صحيح؟ سوف يأتون خلفك.. الأمر فقط مسألة وقت."
"لقد قلتُ دعها!" سحب داميان مسدساً وصوّبه تجاه رافاييل، وتمايل بغير ثبات على قدميه.
لنقف في مثلث حاد: أنا راكعة على ركبتيّ بين الرجلين، رافاييل يصوّب مسدسه تجاهي وداميان يصوّب مسدسه عليه، لأرى رابطتهما واضحة

أمامي الآن. إن الأسلحة مجرد واجهة ظاهرية... لقد كانا يحلان أمراً أكثر عمقاً، كلاهما يحاولان منع الآخر من القيام بحركة خاطئة. رافاييل مستعد لإقصاء أي شيء يعرض داميان للخطر، وداميان يعلم أن أخذ حياة هو أمر سيطارد رافاييل مدى الحياة.

عندما نظر داميان إلى رافاييل، يرى الشيء الوحيد الصحيح الذي فعله، يرى جزءاً يتخلص به من خطاياه، وقد كان يحمي رافاييل لفترة طويلة فلن يدعه الآن يلوث يديه بالدماء.

لكن هناك عامل آخر بالأمر، *أنا*. لقد أبعدني داميان عن الطريق على القارب وتلقى هو الإصابة، أعلم أنه فعل ذلك ليحميني، أعلم لماذا استدرت إليه غريزياً عندما ظننت أنني محاطة بأسماك القرش. جزء مني ميّز جزءاً من روحه، الجزء الذي لايزال حياً لكن مدفون تحت طبقات من الألم والغضب.

"كلانا يعلم أنك لن تطلق الرصاص عليّ،" قال رافاييل لـ داميان، إصبعه على الزناد، عيناه عليّ.

"حاول معي،" قال داميان. "أخبرتك قبلاً.. قف في طريقي، وسوف أنهيك."

لم يبد على رافاييل الاقتناع أبداً. "إنك مصاب، داميان، وتهلوس.. لا تعرف ماذا تفعل. طالما هي حيّة، ستظل أنت في خطر، ولن يتوقفوا حتى يجدوها. يجب أن نخفي الأثر هنا في الحال."

"*أنا* أقرر." دمدم داميان. "*أنا* أقرر ما العمل ومتى. ليس للأمر علاقة بك لذا تراجع بحق الجحيم. اذهب إلى قاربك، ارحل عن الجزيرة ولا تنظر خلفك. هذه حياتي، قتالي، قواعدي."

لم يتحرك رافاييل ولم يتحرك داميان، وقف الاثنان هناك بالأسلحة المرفوعة، كلاهما عنيدان للاعتراف أنهما يعتنيان ببعضهما هكذا.

"أحضرت الأشياء التي طلبتها، رافاييل." كان مانويل عائداً من رحلته. "إن وجهك بكل الأخبار، داميان. إن المدينة الرئيسية تزدحم بالشرطة ورجال الأمن الخاص يستخدمهم وارن سيدجويك." نقل نظراته بين رافاييل وداميان، ليشعر فجأة أنه تعثر بسلك كهربائي عالي

الضغط. "مهلاً يا رجل، ماذا يحدث؟"
لم يردّ رافاييل أو داميان، لقد أضافت أخبار مانويل الوقود إلى النار.. أكملا القتال دون كلمات، مُحاصران في معركة امتدت إلى صمت مشدود متوتر، ثم قطع رافاييل الصمت.
"إن هذا هراء، داميان. وأنت تعلم ذلك." قال. "إن كنتَ عازماً على السقوط، لا تتوقع مني أن أبقى وأشاهد ذلك." أمسك الحقيبة من مانويل ودفعها بين ذراعي داميان. "الإمدادات الطبية،" قال. "لكن برؤية أنك لا تهتم بشأن حياتك، على الأرجح لن تستعملهم." لقد كان غاضباً، غاضباً بشدة لدرجة أنه لا ينظر بعيون داميان.
"أنتَ لستَ منيعاً، تعلم ذلك؟ إنك عنيد كثور بالكاد يقدر على الوقوف، تحتاج أن تعود إلى الداخل وتبقى بعيداً عن الأنظار.. على الأقل حتى تهدأ الأوضاع. سوف أعتني بالأعمال وسأجعل مانويل يضع هاتفك في كابوراس، فليلاحقوك هناك." قال. "وبالمرة التالية التي أراك بها، يستحسن أن تتأكد تماماً من أنك لا تزال واقفاً على قدميك."
بقي داميان على قدميه حتى غاب رافاييل ومانويل عن الأنظار، لم تلتو ساقاه حتى سمع صوت القارب يرحل، حينها فقط وقع كشوال من البطاطا.
ركضتْ إليه شاعرة بثقل كل الأشياء التي أعرفها الآن عنه، أبعدتْ شعره عن حاجبيه لأجده محموماً بشدة... نفسه حار وبشرته رطبة متعرقة، يبدو أنه لم يخسر الكثير من الدماء فقط وإنما أصيب بالتهاب وعدوى أصلها جرحه.
بالأمس، كنت سأعطي أي شيء لأتحرر منه.
مُت، دَاهـ - مِيـ - يَان. مُت!
اليوم، أصبحتُ أفتش بين الأشياء التي جلبها مانويل، أحتاج إلى مضاد حيوي ليقاتل العدوى وأحتاج شيئاً يقلل من حرارته. أحتاجه أن يفتح عينيه وينظر إليّ ويقول شيئاً، أي شيء.
عِش، دَاهـ - مِيـ - يَان. عِش!
****
نازع داميان بين الحياة والموت، يغيب عن الوعي

ثم يفيق ويغيب طوال الليل. نبضه غير منتظم، أحياناً ينبض بقوة وسرعة، وأحياناً بالكاد يمكن الشعور به. حُمت حوله أراقب وأتفحص حرارته، أعصر منشفة من المياه وأضعها على جبهته كما كانت تفعل مامالو عندما يكون مريضاً. وعندما تفتر المياه أغيّرها مجدداً، ومجدداً، ومجدداً.

بحلول الصباح، لم أكن أركض إلى المطبخ كثيراً كالسابق.. بدا كما لو أن داميان تخطى أسوأ ما بالأمر. تمددت بجانبه، مرهقة نفسياً وجسدياً. لقد تدبرت أمر إعادته إلى الفيلا وإلى السرير حيث دعمت جسده جاذبة إياه خطوة مؤلمة خلف الأخرى.

كنا ممددين تحت ناموسية بيضاء شفافة، إن المنزل بسيط لكن ساحر، لا زجاج بالنوافذ لذا فهو مفتوح على الخارج تاركاً نسيم المحيط يتسرب بينما تبقي الناموسية البعوض والحشرات بعيداً.. لكنها أيضاً تبقي بقية العالم بأسره خارجاً، لذا استطعت أخيراً النظر إلى داميان.

النظر إليه حقاً.

لو أغلقت عينيك وفكّرت بشخص تحبه، ما تتذكره ليس لون شعره أو لون عينيه أو الأشياء المكتوبة برخصة قيادته. إنما الأجزاء التي تتسلل خلال وعيك، الأشياء التي لم تدرك أبداً أنك كنت تخزنها.. مثل شكل أذني داميان واللمعة الخفيفة التي تخطي جفنيه. كل شيء آخر قد تغيّر، تفاحة آدم لديه أصبحت بارزة أكثر، الشعر على فكه، الطريقة التي يبدو بها فمه وكأنه لا يسترخي أبداً... لكنني لازلت أميّز أذنيه من كل ذلك الوقت الذي كنا نرقد به سوياً على الأعشاب، كل مرة تتأرجح الأشجار وسط الرياح لتنثر أزهارها الصفراء على وجهينا.

أمسكت قبضة داميان لأفتح راحة يده وأتتبع الخطوط داخلها، لقد أصبحت يد رجل الآن، كبيرة وقوية وخشنة. شعرت بحنين ساحق إليها، إنها نفس اليد التي هزت سريري برفق حتى أنام، نفس اليد التي خلقت لي عالماً ورقياً، نفس اليد التي علمتني كيف ألكم لكمة ملائمة..

لا لكمة أنثوية، بل لكمة مناسبة لضرب جيديوت.
أرحت خدّي على راحة كف داميان وتركتُ نفسي أتخيل، فقط لدقيقة، أننا أطفال مجدداً.
"لقد اشتقت إليك كثيراً،" قلت لإبهامه المقوس. "لقد كتبت لك أنت ومامالو كل يوم، لم أعلم لماذا لم تجيبا أبداً، وقد انكسر قلبي بأماكن عديدة. أنا أبداً لم أركَ تركض خلف السيارة، بذلك اليوم الذي تركنا به كاسا بالوما، أبداً لم أعرف الجحيم الذي كنتَ تعيشه. أنا آسفة، إستيباندديدو." قبّلت وسط راحة كفه.
"آسفة للغاية." بينما تجري دموعي إلى يده.
عندما استيقظت بعدها بعدة ساعات، كانت عينا داميان مفتوحتين ووجهي لا يزال يتوسد كفه.
"أهو صحيح؟" سأل. "ما قلته؟"
تكلم داميان بنعومة، بنبرة لم أسمعها منه أبداً. صوته. رباه، صوته!
حاولت أن أجيبه لكنه كان ينظر إليّ بطريقة لم أقدر معها على إيجاد الكلمات. ينظر إليّ أنا، سكاي. لا ابنة وارن سيدجويك. لا وسيلة لهدفه. لأول مرة، يراني داميان حقاً.
تركته ينظر إليّ لأنني علمت أنه يحتاج ذلك كما أحتاجه، تركته يرى الفتاة التي أحبته، الفتاة التي كانت تسرق الفراولة في ثوب ملطخ لأجله، الفتاة التي كانت ترغب بإبهاره وإثارة إعجابه لدرجة أنها طلبت منه تركها تقود دراجتها وحدها قبل أن تكون مستعدة تماماً.
"لِمَ تعتنين بي؟ لِمَ تتصرفين بـ لطف تجاهي؟" سأل.
"لماذا دفعتني بعيداً عن الطريق على القارب؟ لماذا تصديت لـ رافاييل؟" مددت يدي محاولة الوصول لألمس جرحه لكنه أجفل وأبقى يدي بعيداً، وقعت عيناه على إصبعي المضمد ومرّت نظرة ألم شديد على وجهه جعلتني أرغب بلف ذراعيّ حوله. لكن داميان أفاق فجأة، تماماً أمام عينيّ.. شاهدته يتخلى عن كل مشاعره وتعابيره التي كانت تغطي ملامحه كلوحة تم مسح ما

كان عليها من طباشير، ثم حدقتُ في ظهره بينما استدار.
عندها بدأت أستوعب الأمر.. عندما يزداد الألم بشكل كبير، يغلق داميان كل الأبواب تاركاً كل شيء، إنها وسيلة تكيّف. إنني أقدر فقط على تخيل كم الأشياء المرعبة التي شهدها كل تلك السنوات مع إلشارو، فتعلم التخلي عن كل تعابيره.. كما فعل عندما قطع عقلة إصبعي.. حيث اتجه ليقوم بصناعة سلطة البطاطا وكأنه يبتر أعضاء البشر كل يوم.
شاهدته يعدّل من وسادته، أعلم أن نومه على ذلك الجانب بالتأكيد يؤلم.. مازالت قطب الجرح جديدة ومؤلمة لذا استدرت وحدقتُ بالحائط مولية إياه ظهري. بعد عدة دقائق استدار مجدداً مثلما كان.. استطعت الشعور به يحدق بظهري، بعد قليل سأنهض وأعطيه جرعة أخرى من الدواء.. لكن حتى ذلك الحين، أنا راضية ألا أكون خفية.. راضية باعترافه المتردد بوجودي رغم أنني أعلم أنه سينظر بعيداً بمجرد أن أدير وجهي. لكن مع ذلك، هنالك ذلك الخوف الكامن الخفي داخلي... عدا أنني هذه المرة لم أكن خائفة منه.
كنت خائفة عليه.

*****

طوال حياتي، قام الناس بالاعتناء بي. تم تلبية كل نزواتي وإرضاء كل حاجاتي، وها أنا ذا.. واقفة في المطبخ أحدق في الرفوف مدركة كم أنني غير مستعدة للاعتناء بشخص. أستطيع صنع القهوة والتوست، أو وعاء من رقائق الذرة، لكنني الآن أحدق بتوابل وأوعية مليئة بأشياء بالتأكيد يمكن جمعها لصنع شيء جيد، لكن ليس لدي فكرة كيف!
أخذت علبة من حساء الطماطم، إن الحساء يفيد المرضى، وأخذت كيساً من المقرمشات كذلك.
نظرت عبر النافذة بينما يسخن الحساء على الموقد، بدا ارتطام المياه اللازوردية مع الجدار الصلب كصورة من مجلة رحلات، بينما يدور النسيم الاستوائي بالمطبخ المدهون بلون ناعم

وترابي، كحلوى المارزيبان -تُصنَع باللوز والسكر- وزبدة اليقطين.
لم أستطع تخيل اختيار داميان هذا اللون، على الصعيد الآخر.. كان الملاذ المناسب له بعيداً عن العالم القاسي البارد الذي كان يعيش به، هنا.. حيث يوجد الدفء والشمس والنور.
نظر إليّ داميان بحذر عندما دخلت إلى غرفة النوم ومعي صينية طعامه، واضح للغاية أنه لا يستمتع بكونه معتمد على أي أحد.. لكنني أعلم أنه فقط يستخدم فظاظته كي يخبيء ضعفه وهشاشته، إنه يكره أنه ضعيف ويحتاج العناية، يكره الذنب الذي يأتي بسبب عنايتي أنا به. لكن هذا هو بالضبط ما يحتاجه، يحتاج أن يعرف أنه شخص يستحق الاعتناء به، أنني لن أهجره كما ظن أنني فعلت سابقاً كل تلك السنوات، أنني رغم كل شيء حدث لا زلتُ واقفة بجانبه.. لكنني لا أعلم إلى متى، لأن رباه القدير.. مجرد محاولة جعله يتعاون حتى أستطيع تعديل وضعيته ليأكل كانت عملية شاقة.

وضعتُ الصينية على السرير وأدرتُ الملعقة إليه، بينما هو فقط حدق بالصينية، أدركتُ أنه يفكر بكل المرات التي فعل بها نفس الشيء لأجلي على القارب، يجلب لي الطعام عدا أنه تحت ظروف مختلفة تماماً. أعلم كم كان من الصعب عليه الإمساك بالملعقة، رفعها فوق الوعاء ثم وضعها مجدداً مكانها وحنجرته تنقبض بينما يقاتل أياً كان ذلك الذي يعذبه. حينها أدركتُ أن لا أحد اهتم به، ليس منذ مامالو، ليس عندما يكون مريضاً أو متألماً. لقد أنكر عليه العالم اللطف، والآن هو لا يعرف كيف يتصرف تجاهه.. أو كيف يتفاعل. لقد أسقط زعيم مخدرات بتخطيطه وحده لكن يأتي وعاء من الحساء يشتته!
أرادني أن أكرهه لما فعله، العين بالعين.. ذلك هو المنطق بالنسبة له، ليس هذا.. ليس اللطف القادم من حيث توقع الكره، الأمر كان يقلب عالمه بأكمله رأساً على عقب.
أردت أن أضع يدي على قبضته المشددة لأخبره

أن الأمر بخير، لكنني نهضتُ وخرجت. أعلم أنه لن يأكل أبداً وأنا أشاهده.
بعد عدة ساعات، عندما عدتُ لغرفته مجدداً كان نائماً، أخذ أدويته لكنه ترك الطعام غير ملموس.
إن رافاييل محق.
داميان عنيد كالثور.
*****
أكثرتُ من الحساء، تذهب الصينية تلو الأخرى وتعود غير ملموسة، حتى أصبحت مستعدة أن أثبته وأجبره على الطعام.. عندها وجدت إناء به الفول السوداني. عندما فتح داميان عينيه ذلك النهار، كنتُ أجلس على كرسي أراقبه.
"بالوقت المناسب،" قلت ملقية ببعض حبات الفول السوداني في فمي.
كرانش، كرانش، كرانش.
تنقلت نظراته بيني وبين القرطاس الذي صنعته من غلاف مجلة، لكنه لم يقل شيئاً.
تابعتُ المضغ. كرانش، كرانش، كرانش.
لابد أنه جائع، بل يتضور جوعاً. إنه فقط أكثر كبرياء من أن يدعني أفعل أي شيء له.
"ظننت أن لديكِ حساسية من الفول السوداني." قالِ.
"أنت تعلم جيداً أنني لستُ كذلك."
لثانية عابرة، تلاعبت شبه ابتسامة على شفتيه. هاهي، ذكرى تسللت عبر دفاعاته، عندما اكتشفتُ مثلجات زبدة الفول السوداني بالشوكولاتة وخبأت علبة المثلجات تحت السرير حتى أستطيع مشاركتها معه، لكن لم يتبق شيئاً عندما تسلق عبر النافذة تلك الليلة وقد أكلتها كلها وكنتُ أحاول ألا أتقيأ...
لكنني فشلتُ وهو ساعدني في محو الأدلة.
"لقد عرفت،" قلت مدركة لماذا لم يقم بشيء حتى لم يرمش عندما أخبرته أن لدي حساسية تجاه الفول السوداني. تذكرته وهو يرطب قدميه. "أيها الوغد."
ضحك ملتقطاً حبة الفول السوداني التي ألقيتها عليه.

داميان كاباليرو اللعين ضحك. وقد كان أكثر شيء جميل أراه يوماً، تظاهرت أن الأمر لا يهمني.. وكأن أنفاسي لم تتوقف، وكأن حلقي لم ينقبض، عندما تركت بقية الفول السوداني في حضنه وخرجت.

أحتاج أن أبقى وحدي حتى أعانق هذه اللحظة، اللحظة التي تصدع بها وجهه مظهراً ابتسامته. وهو يحتاج أن يبقى وحده حتى يأكل حبات الفول السوداني دون أن يشعر أنني حضرت أي شيء خاص لأجله.

*****

أصبح داميان أفضل، أصبح ينهي طعامه. عندما نفذ الحساء اتجهت إلى علب البازلاء والفلفل والخوخ والأجاص.. ثم صادفت أكبر جائزة عندما فتحت المبرد ووجدت الوجبات المثلجة التي يمكنني تسخينها بالمايكروويف. وقد تحولت فجأة إلى خبيرة طعام مضيفة قليلا من البابريكا إلى وجبة المكرونة والجبن.. وأضفت البروكلي (والذي أزاحه داميان من الطبق، الوغد ناكر الجميل).

في بعض الأحيان عندما يكون نائماً، كنتُ أفتح الراديو.. لم يكن هناك تلفاز لذا اضطررت أن أعتمد على أخبار الإذاعة المشوشة. كرروا اسمي وأوصافي وكذلك أوصاف داميان إلى جانب أنه يُعد مسلحاً وخطراً. استمعت إلى توسل قصير من أبي موجه إلى داميان.. ومعه الرقم الساخن وجائزة مقابل أي دليل. لقد اختفيت أسبوعين تقريباً وأستطيع الآن سماع الإجهاد في صوت والدي، إنه يسعى خلف داميان وأسلحته على أوجها.. دون أن يعلم جذور القصة، ليس لديه أي فكرة أن داميان هو إستيبان، أنه كان يدفع مقابل أفعاله. ترنحت بين الغضب لما فعل، الأكاذيب التي قالها، وبين قناعة عميقة أن هناك ما هو أكثر بهذه القصة. إنني أعرف والدي كما أعرف داميان. أردت أن أخبر والدي مكاني، أن أضع نهاية لإجهاده الواضح، أعطيه فرصة ليفسر نفسه، لكن ذلك يعني فضح داميان وأنا لن أخونه هكذا كما ظن أنني خنته

طوال تلك السنوات. وشغلتُ نفسي بمداواة داميان حتى يعود لصحته دون أن أفكر بأي شيء آخر.
بليلة ما، فتحتُ علبة من سمك التونا وقررت أنه حان الوقت لـ أصنع شيئاً حقاً، فتشت بالثلاجة ووجدت بعض الليمون والطماطم وبصلة وحيدة تتدحرج في واحد من الأدراج. ففكرت أن أصنع الـ(سيفيتشي)، إنه طبق دائم في الصيف بمطعمي المفضل وقد طلبته مرات لا تحصى، ولنواجه الأمر.. ما هي صعوبة نقع السمك في عصير ليمون؟ بالطبع الطبق طبيعياً يُصنع بالأسماك الطازجة لكنني مبتكرة للغاية، أفرغتُ التونا في وعاء وعصرت عليه الليمون حريصة ألا أدع إصبعي المضمد يلامسه.
تم الأمر.
تالياً الطماطم والبصلة، حاولتُ أن أقطع الطماطم لكنها كانت لينة للغاية لذا وضعتها بالخلاط مع البصلة وأضفتُ بعض الصوص الحار ثم وضعتُ الخليط على السمك.
فويلا! ها هو ذا!

شاعرة أنني أنجزت مشروع الطهي، رتبتُ بعض رقاقات التورتيلا على الصينية ووضعت الوعاء بمنتصفها ثم حملتها واتجهت إلى غرفة النوم وتركتها أمام داميان.
"صنعتُ لكَ شيئاً." أعلنتُ.
نظر إلى الاختراع ذا الكتل دون أن يلمسه.
رباه، كم يبدو خشناً وصلباً بذقنه الحديثة.
"هيا ابدأ." قلتُ. "إنه طبق سيفيتشي."
"سيفيتشي؟" تفحصه.
"نعم، السمك مع..."
"أنا أعلمُ ما هو السيفيتشي،" الآن بدا حقاً قلقاً. "أنتِ أولاً."
"حسناً،" هززتُ كتفيّ وأنا ألتقط لقمة كبيرة برقاقة تورتيلا وأدسها في فمي. "ممم،" قلت. "إنه حقاً جيد."
تذوق داميان لقمة، ثم مضغنا سوياً في صمت لأبتلعها، وهو يبصق بذرة ليمون ثم يبتلع هو الآخر. وعندما أخذت واحدة أخرى اتبعني وفعل المثل.. دون أن يقطع أحدنا اتصال العيون بالآخر.

كان أكثر شيء فاسد رديء سيء في العالم، طعمه كعصارة صفراء وطماطم فاسدة ومؤخرة بارت سيمبسون.
بصقته لكن داميان استمر، لقمة حامضة فاسدة خلف الأخرى حتى انتهى الطبق تماماً، عندما انتهى استند للخلف ممسكاً بمعدته كأنه يحاول إبقاء كل شيء بالداخل.
"ما...؟" حدقتُ به. "لماذا أنهيته؟!"
"لأنك صنعته،" ردّ. "لا تصنعيه مجدداً." استدار إلى جانبه وذهب للنوم.

*****

استيقظ داميان مبكراً بالصباح التالي، ربما أسرع تهديد طبخي عملية تعافيه، أول شيء فعله هو نقل القارب تحت أشجار جوز الهند وغطى السطح بأفرع النخيل وأحكمهم بالأربطة حتى لا يستطيع أحد رؤية القارب من فوق.
برؤيته يعمل بصدره العاري وجسده القوي، تساءلتُ كيف فكرت يوماً أنه عادي. لقد كان منحوتاً لكن عضلاته غير مبالغ بها.. من النوع الذي يأتي من المجهود الشاق، بشرته بنفس اللون الذي أتذكره.. كالرمال الدافئة ومسحة من البرونز، نادراً ما كان يسرح شعره لكنه لا يبدو فوضى غير محددة المعالم وإنما مشعث من الرياح وجذاب ونهايات خصلاته ملتوية من الرطوبة.
عندما كان ينظر داميان بطريقي، كنت أدعي أنني منهمكة بتفحص الصدفة التي عند قدميّ، فكرت بأيام الآحاد على الشاطيء..
كلانا نتسابق أمام مامالو مستعدين للقفز قبل أن تأخذ الموجة التالية الكنوز عائدة إلى المحيط، كنا فقط نختار الأصداف المرتطمة من الأمواج.. محطمة ورقيقة للغاية لدرجة أنها تحولت إلى قطعاً من النور تظهر ألوان قوس قزح.
كان ذلك هو النوع المفضل لمامالو، لذا كنا نصنع لها العقود منه... أنا أرتبهم حسب الحجم والشكل بينما يقوم هو بصنع حفرة بحذر داخلهم، كان ذلك أصعب جزء... أن يطرق إظفره خلال الأجزاء الصعيفة دون كسر الصدفة كاملا.

جمعتُ بضعة صدفات قبل أن أعود للداخل وأنا أشعر أنني أستعيد أجزاءاً صغيرة مني. هنا، بهذه الجزيرة النائية، دون كراسي شواطيء أو موسيقى صاخبة أو مضيفات مجاملات يقدمن لي المشروب.. بل أشعر بنفسي أعيد التواصل مع نفسي، لا أهتم إن كان شعري مشعثاً أو بأي وقت يتم تقديم العشاء أو موعد التدليك الخاص بي أو الرحلة البحرية الخاصة. وانما يوجد حسّ من الحرية، حسّ من بساطة لم أكن أعرف أنني أفتقدها.

تلك الليلة صنع داميان بعض السلطعون على الشاطيء فوق نيران صغيرة وإناء من المياه، وقمنا بالتهامهم والزبدة الذائبة تسيل على ذقوننا. حسناً، هو طاه أفضل بكثير مني وسوف يكون منافساً بارعاً في غريزة النجاة، لكن بجانب كل ذلك... فكرت أنه قوي حد الجحيم لأنه نجا من الـ (سيفيتشي) الذي صنعته.

ضرب بعض ثمرات جوز الهند الأخضر ليفتحهم ورشفنا من المياه الخفيفة الحلوة داخلهم.

لم ينظر إليّ. كثيراً. أبقى عينيه على المياه، وبين الحين والآخر كان يرفع نظراته إلى السماء. تساءلت إن كان يتفحص المنطقة يتأكد من خلوها من القوارب والهيليكوبتر، أنا واثقة تماماً أنه سمع الأخبار.

مرة أو اثنتين، عندما تستقر عيناه عليّ كان يديرها سريعاً بعيداً، لم أعرف بماذا كان يفكر أو كم من الوقت يجب أن نبقى مختبئين. يوجد الكثير الذي أرغب أن أسأله عليه، الكثير الذي أرغب بمعرفته، لكن جلوسي بجانبه فقط ملأني بالسكينة.. مشاهدة النيران معه بينما تتدحرج الأمواج متقدمة. شعرت بالأمان معه، أردت أن أتكور وأضع رأسي على فخذه كما كنت أفعل طوال تلك السنوات في بداية صداقتنا.

لكنه كان مشغولاً، لقد كان يصنع ثقوباً في الأصداف التي جمعتها.. يتصرف برقة كبيرة وحذر كبير مع كل قطعة لدرجة أنني لم أستطع إبعاد عينيّ عنه، أصابعه تتحسس كل صدفة قبل أن تحدد النقطة المناسبة، أحياناً

كان يتحسس صدفة مديراً إياها بين أصابعه مانحاً إياها اهتمامه الكامل قبل أن يضعها بعناية جانباً.. تلك الصدفات هي التي ستنكسر من أقل ضغطة وهو لا يرغب أن يلحق الأذى بأي واحدة منهن.

عندما انتهى، أدخل داميان حبلاً خلال الثقوب وعَقَد أطرافه، رفعه أمام النيران ليتألق العقد في الضوء الذهبي.. رقيقاً وآسراً.

"إليكِ." أعطاه إليّ.

لم يصنع داميان أبداً عقد من الأصداف لأحد عدا مامالو. فجأة أدركتُ ما كان يفعله، لقد كان يقول آسف.. يعوضني عن القلادة التي ألقاها بالمحيط، القلادة التي أخذت أمه منه.

هل سبق أن حملتِ حياة بين يديكِ؟ أوقع القلادة بيدي وأغلقِ أصابعي عليها. إليكِ، اشعري بها.

كنت ظننت أنه مجنون حينها، لكن بالفعل قلادة أمي كلفته حياة أمه. ومع ذلك، ها هو ذا.. يمنحني ذكرى عن أمه ليعوضني عن أخذه خاصتي.

"لقد كانت أمي أنا أيضاً،" قلتُ. "مامالو كانت الأم الوحيد التي عرفتها."

شقت شهقات ضخمة ثقيلة طريقها خارجي، اقتربتُ منه لأصل إليه وألف ذراعيّ حوله.. أرغب بمشاركته هذا الألم، هذا الحزن. هل سبق أن احتضنه أحد عندما ماتت؟ هل واساه أحد؟ تصلب بين ذراعيّ لكنه تركني أبكي. بكيتُ لأجله، بكيتُ لأجل مامالو، بكيت لأجل أمهاتنا اللتان رحلتا ولأجل كل السنوات التي فقدناها.

عندما انتهيت، أدركتُ أنه كان يحتضني بنفس القوة التي أحتضنه بها، شعرتُ كأن داميان يشق طريقه خلال كل الأجزاء المنكسرة المحطمة الجميلة داخله عائداً إليّ، عائداً *إلينا*... فاحتضنته بقوة أكبر.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل الحادي والعشرون :::

إن النوم إلى جانب داميان دون لمسه عذاب، وليس بطريقة رومانسية أو حسّية، وإنما أشعر أن جزء مني عاد بعدما كان قد تم إقصاؤه لفترة طويلة. وأردت التمسك به واحتضانه.. كي لا يتسلل هارباً مني. أدرك أن ذلك سيفزع داميان تماماً لذا كبحت جماح نفسي، رغم أنني ربما بمحض الصدفة خلال نومي كنت ألف ذراعاً حوله، وخلال تلك الثواني القليلة أسمح لنفسي بالاستمتاع برفاهية اللقاء.. دفء بشرته، حقيقة أن صديقي المفضل الغائب منذ زمن يرقد الآن بجانبي. ثم يقوم داميان بجذب يدي ببطء ويعيدها إلى جانبي، لدي إحساس أنه يعلم أنها مجرد حيلة.. بالنهاية، لقد كنت ألتصق بشدة بجانبي من السرير على القارب سابقاً ويصبح جسدي متخشباً وصلباً كلوح خشية أن يلمس أي طرف لي أي جزء منه، والآن ها أنا ذا أحاصره بذراعيّ ورجليّ.. أعلم أنه يعلم، وذلك يجعلني أبتسم لأنه ابتعد إنشاً لأقترب إنشاً منه.. واستمر الحال حتى أصبح على حافة السرير والشيء

الوحيد الذي يحول دون وقوعه هو الناموسية المدثرة تحت السرير.
لا يهم إن التصقتُ بجانبي أو اجتحتُ جانبه، كان دائماً داميان ينهض عند الفجر، ودون مفاجأة.. يقوم هو بالاعتناء بأمور الطهي رغم أنه يترك لي مهاماً دون قول كلمة: مكنسة وممسحة واقفان بوسط المطبخ، منظف ملابس يجلس بأريحية فوق كومة من المناشف، فرشاة مرحاض تتأرجح في مدخل الحمام. تعثرت محاولة إتمام مهامي، لكن إن لاحظ داميان أنني مسحتُ قبل أن أكنس أو أن المناشف الآن تحول لونها إلى درجة غريبة من الوردي.. فهو لم يقل شيئاً.
جلب لي كل حقائب التسوق من القارب ورغم أن تنورتي اللامعة ذات الترتر لم تكن حقاً عملية لأجل تنظيف المرحاض، كنتُ لمحته يتفحص مؤخرتي بها فلاحقته طوال اليوم مرتدية التنورة وبلوزة قصيرة وعقد الأصداف الذي أعطاه لي.
لقد كنتُ ملتصقة بجانبه طوال وقت تعافيه لذا كانت هذه هي أول نظرة حقيقية للجزيرة لي، جزيرة بضعة أميال مربعة فقط، مُطوقة بشاطيء رملي أبيض على جانب وغابة استوائية كثيفة من الجانب الآخر. يقع البيت الصغير وسطهما تحت ظلال الأشجار الطويلة، واجهة البيت تواجه المياه الهادئة مجمية بصفوف من الشعاب المرجانية، ويطل المنزل من الخلف على النخيل وأشجار البابايا وشجيرات ذات أوراق كثيفة لامعة.
كان واضحاً للغاية أن داميان يحفظ الجزيرة كظهر يده، يعرف أين يجد ثمرات الموز الصغيرة الحمراء ذات القوام الكريمي الكثيف وكأنها حلوى الكسترد معها قليل من طعم التوت. يعرف أين تصوب الشمس أشعتها، بأي وقت، وأين يتجه أبرد نسيم من المحيط.
"هل تأتي هنا كثيراً؟" سألته وهو يتفحص المولد الكهربي، يبدو أن المكان مكتف ذاتياً، به مولد، خزانات لجمع ومعالجة مياه الأمطار، البروبان لتسخين المياه التي نستخدمها

للاغتسال والتنظيف.
"كان منزلي لفترة،" ردّ.
"أتعني عندما كنتَ تختبيء أنتَ ورافاييل بعد حادثة إلشارو؟"
"كيف تعرفين بشأن إلشارو؟"
"أخبرني رافاييل."
لم يبد أن الأمر أزعجه، إنه ما هو عليه.. دون ادعاء بشأن ماضيه أو الأشياء التي فعلها.
"هل يعلم أي أحد أنك هنا؟ أعني، ملكية مَنْ هذه؟" سألت.
"إنها ملكي الآن،" قال. "لم يكن يستخدمها أحد قبلا، إنها صغيرة للغاية للسياحة، وبها مساحة كبيرة من الشاطيء فلا تصلح للزراعة.. وبعيدة كثيراً على الصيادين."
"لكنك لا تعيش هنا؟"
"لا. إنني أذهب حيث يأخذني عملي."
"إذاً...." عبثت بحافة بلوزتي. "نحن بخير هنا؟"
سكن داميان تماماً لدى كلماتي. "لا يوجد (نحن)، سكاي. لقد كبرنا وأصبحنا أشخاصاً مختلفين، نعيش في عالمين مختلفين. بمجرد أن تصبح الأوضاع آمنة، سأتركك عند البرّ الرئيسي."
"فقط سوف تتركني؟؟" حدقتُ به بشكّ. "ماذا بشأن مامالو؟ لقد قلت أنك ستأخذني إليها. أحتاج إلى رؤيتها داميان، أحتاج أن أرى قبرها.. أنا حتى لم يتسن لي قول وداعاً."
"ولا أنا،" بصق كلماته. "كنتُ سآخذك حتى تتمكني من الرؤية، من فهم لماذا فعلتِ ما فعلت. لكنك بالفعل تعرفين الحقيقة الآن."
"إذاً هذه هي؟! ستلقيني بمكان ما يقدرون على إيجادي به كعبء غير مرغوب به؟ وماذا يفترض بي أن أفعل؟ أنسى كل شيء حدث؟ أنسى أنك اختطفتني، قلبت حياتي رأساً على عقب، وبعدها تركتني؟! فقط هكذا؟ حسناً، أتعلم ماذا؟ أنا بالفعل كنتُ نسيتك! لقد نسيتُ كل ما يتعلق بك حتى عدتَ مجدداً لحياتي. إنك وغد أناني لعين، داميان. تأخذني عندما يناسبك وتتركني عندما يناسبك، إنني لستُ بيدقاً بلا

عقل ولا مشاعر يمكنك تحريكه من هنا إلى هناك في هذه اللعبة التي تلعبها مع والدي.. إنني حقيقية وأنا هنا وأهتم بك."

وها هي ذا، لمحة العاطفة حد الألم ترتسم على ملامحه، اضطراب أنفاسه وكأنه تم لكمه في أحشائه. وفقط مثلما ظهرت سريعاً، اختفت.

"لا تهتمي بي،" قال. "أنا وغدٌ أناني لعين حقاً، قتلت أشخاصاً.. خططت ودبّرت الشيء بالكامل وأبداً لم أشعر بأونص واحد من الندم. وقد خططت ودبّرت لقتلك. لذا لا تهتمي بشأني، لأنني سأخذلك فقط."

"هراء! إنك فقط تخشى أن تسمح لي باختراق حواجزك، تخشى أن تسمح لأي شخص بذلك."

حدقنا ببعضنا البعض، ولا واحد منا يرغب بالتراجع. ثم استدار داميان واختفى بين الأشجار. حسناً.

سرتُ كالعاصفة إلى الشاطئ.

خلعتُ تنورتي بحدة وأطحتُ ببلوزتي على الرمال وركضتُ إلى المياه، كانت دافئة وصافية للغاية لدرجة أن أشعة الشمس رقصت على قدميّ، طفوت ممددة على ظهري ومنحتُ نفسي كلياً للمحيط.

خذ، خذ كل شيء بعيداً، فكرتُ. أنا لا أعلم ماذا أفعل بكل هذا بعد الآن.

طفتُ كقطعة خشب متناغمة من حركة الأمواج، إصبعي لايزال لسعني لكنه محتمل الآن. فتحت عينيّ حيث مرّ من فوقي نورس حاجباً أشعة الشمس للحظة. التفتُ إلى الشاطئ متتبعة إياه فلاحظت داميان يراقبني من الشرفة، كنت أرتدي ملابسي الداخلية لكنها ملتصقة بجسدي كجلد ثان، وهو بالفعل قد رآني عارية لكن هذا مختلفٌ. حينها هو لم ينظر إليّ أنا، بالطريقة التي ينظر إليّ بها الآن، مع نوع من التوق الذي يجعلني أشعر كأنني الكأس المقدسة التي ستكمله، كأنني الواحة وهو قدمان تحترقان برمال الصحراء.

نظر بعيداً وعاد ينحت أياً كان ما يعمل عليه.

خرجت من المياه وحملت ملابسي بينما بقيت

نظرات داميان تتجنبني. عندما خطوتُ خارج الاستحمام.. شعري الأسود والأشقر مغسول للتو، وجدته ينتظرني في غرفة النوم.

"دعيني أرى إصبعك." نزع الضمادة الملوثة المبللة وتفحص إصبعي، كان يتعافى عدا الأجزاء التي لاتزال لينة. "هذه ستعمل بشكل أفضل." لقد صنع لي جبيرة خشبية مبطنة من الجوانب كاملة لكن ليست ضخمة للغاية فتقفُ عائقاً أمام استخدامي إياه.

جلستُ على السرير وتركته يضعها.

"كيف تشعرين بهذا؟" قال محكماً الجبيرة بالضمادات.

"جيد." جيد جداً حقاً، *انظر إليّ مجدداً هكذا..* بتلك الرقة بعينيك. "ماذا عنك؟" تتبعتُ قطب الجرح على صدغه. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. أربعة غرز متداخلة.

"أنا بخير." قال لكنه ترك أصابعي ترتاح على بشرته.

كان يركع على الأرضية، يده الأخرى لم تتحرك بعيداً عن يدي.. حتى رغم أن الجبيرة الآن محكمة، عيوننا بنفس المستوى... دون مكان للاختباء.

كلما كانتِ مامالو تغني بشأن جبال سييرا مورينا، كنتُ أفكر بعيني داميان. لم أكن أعرف ما أشكال تلك الجبال لكنني دائماً تخيلتهم بدكنة عينيه معها الغابات الأبنوسية وكهوف الفحم. بالطبع لم يكن لدي أية فكرة أن اللصوص المجرمين الذين ينتظرون بالأغنية سيكونون لي أنا.. مشاعري، حيث تقفز من مساحة الصداقة لهذا الكمين المبعثر الذي يهاجمني من كل الجوانب.

إن داميان يمتلك تلك العيون السارقة الآسرة، وعندما انحدرتا لتراقبا فمي.. سرقتا مني أنفاسي وأفكاري. تساءلت إن كان يشعر بنفس الجذب الذي لا يمكن إنكاره، إن كان قلبه يتسابق بنفس سرعة قلبي، إن كان الماضي والحاضر يقبلان بعضهما عابثين كمراهقين جامحين في المقعد الخلفي لعقله.

انحدرت قطرة مياه من شعري إلى الظلال عند مقدمة صدري، لا يوجد ما يفصلني عنه سوى منشفتي.
قلبي مفتوح، شفتاي، بشرتي، عيناي، كلي عار وأعزل. وفي النهاية... كان هذا دماري، ودماره، لأنه يمكنه أخذ إصبعي.. لكن ليس قلبي.
لذا ترك يدي ورحل.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل الثاني والعشرون :::

كنتُ قد نسيتُ مذاق ثمار المانجو الناضجة الرائعة وهي تؤكل بعدما تقطف من الشجرة على الفور. ثمار المانجو بهذه الجزيرة صغيرة لكن حلوة بشكل رائع، أستطيع أن أمسك ثلاثة بكفي وعندما قشرت بشرتها الناعمة السميكة انحدر عصيرها على ذراعي وتحول إلى فوضى لزجة فتوجب عليّ الحذر من النمل وأنا أتذوقها خاصة إذا وقع السائل على رجليّ. أحب هؤلاء اللعناء نكهة المانجو وكانت هناك أوقات حين ذهبوا إلى أماكن لا أحبذها. ثمن مستعدة لأدفعه مقابل متعة الجلوس تحت ظلال شجرة المانجو أغرس أسناني في النسيج البرتقالي الناعم... والأفضل عندما أقدر على دس ثمرة كاملة في فمي لأمتص منها كل مذاقها الرائع تاركة إياها قطعة جافة.

كانت أكثر الثمار نضجاً تسقط عن الشجرة بمفردها لذا يوجد دائماً البعض على الأرض لكنه يصبح منبعجاً أو تجده الحشرات والحيوانات.

تسلق داميان الشجرة وهزّ الأغصان بينما أقف أنا بالأسفل محاولة التقاطهم في سلة من الخيزران.
"أوتش!" تأوهت متألمة للمرة الخامسة حين ضربت ثمرة رأسي. "ليس بعد! بعد خمسة، حسناً؟" كان الأمر واحداً من تلك الأشياء التي عدنا لها تلقائياً حتى داميان لم يلحظ، وقد كان ذلك مثالياً. كنتُ لا أزال أبدي إعجابي بشأن فعلنا الصغير عندما حررت السماء ما بها، لم يكن رذاذاً لطيفاً بل كأنما يتم الارتطام بموجة كبيرة في نهاية جولة بالمياه، بينما يحرر الغيث الاستوائي مزيداً من المانجو فوق رأسي. رفعتُ السلة وقلبتها رأساً على عقب فوقي أحمي نفسي بها لتقع كل الثمار التي التقطها فوق رأسي.
بدأت أركض بحثاً عن غطاء لكن تحولت الأرض بسرعة إلى طين سميك واحتجت إلى إزاحة قدم قبل أن أجذب الأخرى، قفز داميان من الشجرة وكان متقدماً إياي بعدة أقدام.. واقعاً بنفس المأزق عدا أنه أثقل لذا يغرق أكثر بالطين مع كل خطوة، بدونا كأننا كائنا زومبي مبللان.. بأطرافنا المتصلبة بطريقة غريبة هاربان من السرداب.
استدار داميان عندما بدأت أضحك، نظر إليّ نظرة واحدة.. والسلة مقلوبة فوق رأسي بينما يغطي الطين كاحلي.. وبدأ هو كذلك بالضحك.
"من هنا،" أمسك بيدي وقادني إلى كوخ صغير خشبي في الغابة.
يحمينا السقف المغطى بالأغصان والأوراق الكثيفة، وقعتُ على الأرض مبللة حد النخاع، أحاول التقاط أنفاسي لكن أفشل بشدة لأنني لا أستطيع التوقف عن الضحك على منظر قدمي داميان الملطختين بالكامل.
"يا صاح، لشخص يهتم كثيراً بشأن ترطيب قدميه فأنت تحتاج إلى باديكير بشدة." قلتُ لأفيق عندما أدركت أنه لم يعد يضحك بعد الآن. "ماذا؟" سألته بينما ينظر إليّ بقوة تجعل أحشائي تتلوى.

"لا زلتِ تضحكين كما كنتِ،" قال.
تجمدتُ وأبقيتُ نظراتي على السلة بحضني، لا أريده أن يرى كم أن هذه الانفجارات الصغيرة المختصرة من الأمور المألوفة منه تجعلني أرغب بإلقاء ذراعيّ حوله لأمزق الجدران التي تحول عائقاً بين السلاسة التي تشاركناها سابقاً.
"نفس الضحكة، عدا تلك الفجوة بين أسنانك." استمر متمدداً بجانبي.
"أنا ما زلتُ نفس الفتاة، داميان." وضعتُ رأسي أسفل وتمددنا على الأرض، مع أمنية بساطة الطفولة، اكتمال القلوب، حلاوة حياة نقية خالية من النضج، برك الوحل ووجوه الشوكولا والركبة المتألمة وقفز الحبل... أنا أختبيء خلف تنورة مامالو بعدما لوّنتُ وجهه باللون الوردي وهو نائم تحت الشجرة.
"اليوم الذي تزورِ به قبر مامالو... أهو نفس اليوم كل سنة؟" سألتُ.
أومأ محدقاً بالأفرع الجافة التي تنسج السقف.
"اعتدتُ على الانتظار خارج السجن. بيوم سمعتها تغني، كانت تلك المرة الأخيرة التي تغني لي.. صوتها كان واضحاً لدرجة أنني تمكنتُ من سماعه خلال كل الضوضاء الفوضى... وكأنها كانت هناك تماماً تغني داخل أذني، أظن أنها كانت طريقتها في قول الوداع. أذهب كل سنة في ذلك اليوم."
أردتُ الوصول إلى يد داميان وأن أشبك أصابعه مع أصابعي، أردتُ أن أخبره أنه كان ابناً جيداً وأخبره كم أحبته مامالو.. لكنني لم أستطع اختراق تلك الغصة بحلقي.
استمعنا إلى الأمطار تهدأ بينما يجف الطين على أقدامنا.
"ما هذا المكان؟" سألتُ أنظر حولي.
كان الكوخ ضئيلاً لكن مع آثار أشياء للاستعمال: مصباح معلق على عصا وهناك مقعد بدائي الصنع عليه أدوات ومسامير وبراغي صدئة.
"إنه نوعاً ما ورشة عمل حالياً، كنتِ بنيته عندما جئتُ أنا ورافاييل إلى هنا أولاً. كان مجرد كوخ من الأعشاب حينها لكننا جئنا ببعض

الخشب وألصقناه سوياً. بالنهاية، بنيتُ البيت ورحلنا عن هذا المكان."

"بنيته بنفسك؟!"

"قليلاً قليلاً بمرور الوقت، سحب المعدات إلى هذا المكان صعب، اتخذ بضعة سنوات لكنني أحب أن آتي إلى هنا.. أن أعمل بيديّ وأحظى ببعض الوقت بمفردي."

"يا له من عمل خارق منكَ ك ماكجيفر!"

"ماك.. ماذا؟"

"ماكجيفر، إنه مسلسل والدي المفضل، يحكي عن تقني متفجرات يستطيع باختصار إصلاح أي شيء بمشبك أوراق ومديةٍ سويسرية. أراهن أنه كان سيقدر على أن يريك كيف تركب الزجاج بالنوافذ كذلك."

"وماذا يجعلكِ تظنين أنني لم أتركها دون زجاج عن عمد؟؟"

"صحيح، أنتَ أبداً لم تحب زجاج النوافذ." قلتُ وأنا أفكر بكل تلك المرات التي اضطررت بها لفتح زجاج نافذتي حتى يستطيع التسلل عبره.

عرفتُ أنه يستعيد ذات الذكرى لأنه لم يتحرك بعيداً عني عندما لامستُ ظاهر أصابعه بأصابعي.. وقد كان هذا أقرب ما يمكنني الحصول عليه إلى ما يُسمى بإمساك الأيدي.

"أتتذكر الأزهار الصفراء التي تسقط من الأشجار؟" سألتُ.

"أجل."

ابتسمتُ لأن الأمطار تجمعت على السقف وكانت تتسلل وسط الأوراق لتقع على وجوهنا على هيئة قطرات كبيرة، لكننا بقينا كما نحن، لا نرغب بالحراك، ندعي أنها أزهار صفراء مبللة.

"داميان،" قلتُ وأنا مبقية عينيّ مغلقتين.

"أعلم أنني يجب أن أعود إلى ذلك العالم الآخر، العالم الذي اختطفتني منه. ولا أعرف ماذا سيحدث حتى ذلك الحين.. لكن هذا، الآن وهنا، هذه الأمطار، هذا الكوخ، هذه الجزيرة، هذه اللحظة.... أريد أن يبقى كل هذا للأبد."

لم يجب داميان، لكنه أبعد أصابعه عني. وهو ما كان جيداً، في الواقع.. أكثر من جيد،

لأن داميان كاباليرو كان يصارع الشيء الوحيد
الذي يخيفه حد الجحيم. أنا.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل الثالث والعشرون :::

"مستعدة؟" سأل داميان.
"أنتَ متأكد أن الوضع آمن؟" طويتُ قائمة الأشياء التي نحتاجها وعدلتُ نظاراتي الشمسية.
"إنها بلدة سياحية، شوارع مزدحمة، أطنان من البشر. أنا لدي لحية وأنتِ شعرك مختلف، لا نبدو كالصور أبداً.. لن يلاحظ أحد." ارتدى داميان قبعة البايسبول ذات الـ(س.د).
جذاب للغاية.
لقد نجحت خطة رافاييل، إيجادهم لهاتف داميان في كابوراس أبقى البحث هناك لكن بدأ اليأس يدبّ والأثر بالاختفاء وسرعان ما سيعودون للانتشار مجدداً لكن حتى الآن.. إننا بأمان.
"لا تنسي هذا." أعطاني عقد الأصداف الذي كان صنعه لي. "لا شيء يعبر عننا كسياح أكثر من بعض الحُلي المحلية اليدوية."
ارتديته وتفحصت انعكاسي، بلوزة سوداء والبنطال الذي كنتُ أرتديه عندما اختطفني داميان. الملابس بهتت بسبب الشمس والحرارة والرطوبة، لم أعد أفكر مرتين بشأن الجلوس

على جذع شجرة مغطى بالطحالب أو ارتدائهم خلال رحلات اصطياد الديدان في الغابة، بالطبع كنت فقط أحمل الدلو بينما ينبش داميان الأرض بحثاً عنهم، يفرق عدم الاهتمام بتلويث الملابس عن هذا فأنا لن ألمس أحد تلك الأشياء اللعينة.

أزاح داميان السقف المزيف من أوراق النخيل التي كان ربطها ليخفي القارب، شعرت بالغرابة للعودة لنفس المكان الذي كنت أتوق للهرب منه، شعرت بحسّ من الحرية الآن لم أقدر على تخيله وقتها. اقتلاعي من عالمي البرّاق المبهرج كان مؤلماً بشكل لا يُطاق.. لكنني لا أظن أنني أستطيع العودة لأكون ذلك الشخص مجدداً. لم أعد جميلة ومثالية كما عارضة الأزياء البلاستيكية كالمانيكان، بل أصبحت مُخترقة خارجياً وداخلياً.. شعري فوضى، أظافري فوضى، قلبي فوضى... لكن جلدي حيّ وتقبّله الشمس.. وجهي يلمع من نسيم المحيط ورذاذ الملح.

راقبتُ داميان وهو يقود وحاولتُ ألا أحدق به، الرياح تلصق قميصه بجسده مبرزة كتفيه وعضلات ذراعيه الخالية من العيوب. لم يحلق ذقنه بعد منذ ذهبنا إلى الجزيرة لكن لم تكتمل ذقنه بعد أيضاً... جعلته يبدو متحرر الروح وبوهيمياً ورجولياً أكثر.. كأنما ينتمي إلى صفحات مجلة بحارة، تعافى وجهه ومازالت قطب جرحه موجودة لكنها جاهزة للإزالة.. قريبة من شعره ومخفية تحت قبعته.

يمتلك أنفاً حاداً، بشرة برونزية ممددة بقوة فوق عظام وجنتيه، ورموشاً سوداء تغطي عيوناً داكنة عميقة. اللعنة! إن ملامحه فخورة رائعة.

أضحى النهار عندما رسونا في ميناء مزدحم، حيث تزينه اليخوت وسفن الرحلات، خلفه الشاطيء الذهبي يتحول إلى منتجعات مترامية الأطراف، متاجر، ومطاعم. سرنا خلال الضجة نتفادى وابل سيارات الأجرة زهرية اللون، متاجر التذكارات المحشوة بأجساد سمراء بفعل الشمس، مطاعم السوشي والباعة المتجولين اللحوحين.

توصل الأزقة المتفرقة إلى الميدان الرئيسي حيث تواجه المتاجر والبنوك حشود مزدحمة تحت المظلات المرفوعة أمام المباني.
تبعتُ داميان وهو يسير بحركة متعرجة بين المباني الطويلة متجاهلا المتاجر وسلاسل المحلات وصولا إلى الجانب الآخر من البلازا.
هناك، ممدد لعدة مبان على جانبي الشارع، رأيتُ سوقاً محلياً في الهواء الطلق... منضدة ملونة لعرض البضائع خلف الأخرى مليئة بكل شيء وأي شيء: صفوف من البطيخ والأناناس والبرتقال، الهالبينو في حجم الخيار الصغير، التوابل مكدسة على شكل أهرامات، أقراص مدمجة وأفلام مقرصنة، أكوام من البضائع المقلدة لماركات مشهورة ك (جاب وهوليستر)، ربطات للرأس مرسوم عليها رسومات عارية ومجاديف من الصبار مكدسة في أعمدة بطول ستة أقدام على الأقل.
لقد كان محقاً، إن المناظر والأصوات والروائح الغير متناسقة أبداً معاً هي المكان المثالي لنا كي نختفي وسط الزحام، اشترينا البيض والفاصوليا البيضاء وطماطماً بحجم القرنبيط، أخذت أمتص من كرات تمر هندي مغطاة بالفلفل الحار والسكر جعلت فمي يطنّ وعينيّ تدمعان، مررنا جانب صفوف من المأكولات البحرية على الثلج: سمك القاروس والأخطبوط وأسماك قرش غاضبة المنظر تدعى (كازون). فأمسك داميان ببعض المحار ذا أصداف بنية كريمية.
"محار الشوكولا المكسيكي،" قال. "عندما ترغبين حقاً بإعداد الـ(سيفيتشي)."
كشرت بوجهه وعبرت جانب بائع متجول آخر متسائلة لماذا لا يدس واحد منهم قطعة جبن أو الأفوكادو تحت أنف داميان.
"إنك *أسوأ* شخص يمكن التسوق معه." قلتُ حينما صفع يدي بعيداً عن الحقائب المصنوعة محلياً والأحذية. ماطلتُ قليلا معجبة بالأشكال الدقيقة المعقدة اليدوية النحوتة على الجلد قبل أن أركض خلف داميان.
"إنني جائعة،" قلتُ.

كنا واقفين قرب بائع للتاكو، بحيث تمكنتُ من شمّ رائحة التورتيلا الطازجة والخضروات المحمصة على الخشب مع اللحم المشوي.
"أوشكنا أن ننتهي."
"لكنني جائعة الآن."
"إنك أنت أسوأ شخص يمكن التسوق معه." قال. تبعتَه لبضَعة باعة آخرين بالسوق قبل أن أقدّم اعتراضي.
"لمتسوقة محنكة، إنكِ تفتقرين للتركيز والانضباط." سحبني بعيداً عن الرصيف. "ثم مجدداً، أنتِ معتادة على المتاجر المكيّفة واستراحاتَ شاي الفقاعات*".
"إنني أكره ذلك الشاي." قلتُ وأنا أتبعه إلى طريق ضيق مرصوف بالحصى إلى عربة بائع متجول.

مشروب تايواني مكونه الأساسي الشاي يحتوي على مزيج من الشاي والفواكه أو الحليب، وغالباً تضاف إليه كرات التابيوكا القابلة للمضغ

"ماذا بشأن مطعم بابا لوكا؟ -أي البطاطا المجنونة-" سأل.
كان البائع يشوي بعض البطاطا الكبيرة في ورق الفويل ويهرسها مع الزبدة والجبن الطازج ثم يقدمها مع مجموعة لا نهائية من الإضافات: اللحم المشوي، لحم الخنزير، اللحم المقدد، الفاصوليا، البصل، الثوم، الكزبرة، السلطة والجواكامولي.
"جيد؟" سألني داميان وأنا أغوص في البطاطا.
"كالجنة." جاوبته.
"تريدين بعضاً من هذا؟" مدّ يده بالبوريتو الخاص به: اللحم المشوي على الفحم مع الكمون والثوم وعصير الليمون.
"لا شكراً." بدا لذيذاً لكنني لن أعترف أنني أرغب البوريتو الخاص به.
كنت لازلت أبتسم على مزحتي الخاصة السخيفة عندما دخلت مسيرة زفاف مثيرة ضجة أكبر: عروس وعريس مخموران يتبعهما مجموعة من الأطفال الضاحكين، ويتبعهم فرقة

مارياتشي* كاملة ثم العائلة والأصدقاء خلفهم. فالتصقت أنا وداميان على الجانبين المعاكسين من الطريق حتى ندعهم يمرّوا، صدحت الموسيقى من آلات الترومبت -أبواق-، حادة قليلاً مهاجمة آذاننا بضربات عالية وإيانا باهتزازات عميقة، اهتزت البطاطا خاصتي بيأس فوقعت بعض حلقات البصل الخضراء. التقت عيناي بعيني داميان وفجأة أصبحنا أطفالاً مرة أخرى نهلك من الضحك بينما يملأ الفراغ بيننا رجال يرتدون قبعات السومبريرو الواسعة ويمسكون بآلات كمان أصواتها حادة للغاية.

لاحظهم داميان بنفس الوقت الذي لاحظتهم به، صفوف وصفوف من الأوراق ملتصقة بالجدران من الجانبين؛ نشرات وردية وصفراء اللون مطبوع عليها وجوهنا. لم أستطع فهم ما هو مكتوب لكنني متأكدة أنه يقول (مفقودة) تحت صورتي، و(مطلوب) تحت صورته. أفاقنا الأمر،

رؤية أنفسنا هكذا على الملأ.. بينما يمرّ موكب الزفاف بيننا شخصان كل مرة، بقيت أعيننا معلقة بالآخر ونحن نحبس أنفاسنا، كان الشارع ضيق للغاية لدرجة أن حبيبين كل واحد منهما واقف على شرفته مقابل الأخرى يمكنهما الانحناء وتقبيل بعضهما.. لا يوجد مكان للهرب. بقينا ملتصقين بالجدران حتى سارت آخر مجموعة من الزفاف وابتعدت أصوات الجيتار لتصبح مداعبة رقيقة بعيدة.

"هيا،" حمل داميان حقائب التسوق عند قدميه. كنا نشق طريقنا تجاه القارب وسط متاهة الشوارع، عندما توقف داميان خارج عيادة طبية. "أعتقد أنه يجب عليك الدخول كي يفحصوا إصبعك." قال.

"إنه بخير." لوّحت بالجبيرة أمامه. "لا يوجد ما يستطيعون فعله، إلى جانب.. ألا تظن أن الأمر مخاطرة قليلاً؟ لو أنهم يشاهدون الأخبار يمكنهم عندها جمع الأحداث سوياً."

"ليس إن دخلتِ وحدك، ربما يجب أن نفترق."

فرقة عزف موسيقى من الفلكلور المكسيكي

"وماذا؟ أخلق قصة عما حدث؟"
"افعلي ما يجب عليكِ فعله لكن اجعليهم يفحصونه، هيا اذهبي.. سأنتظرك هنا."
"إنه بخير." بدأت أسير مبتعدة. "آخر ما أريده هو شخص يوخزه بينما هو أخيراً يتماثل للشفاء."
"كما تريدين." لم يتحرك داميان. "إن كنتِ لن تدخلي فأنا سأفعل، أحتاج لنزع القطب."
ترددت لثانية، فقط أرغب بالعودة إلى القارب.. لكنه محق، يحتاج أن ينزع تلك الغرز.
"انتظريني عند ذلك المتجر." قال داميان وأشار إلى متجر عبر الشارع. "لن يتخذ الأمر وقتاً طويلاً."
"حسناً." بدأت أعبر الطريق لكنه جذبني مجدداً.
"إليكِ،" أعطاني بعض النقود. "في حالة وجدتِ مثلجات زبدة الفول السوداني بالشوكولاتة."
"إن هذا أكثر بكثير من ثمن بعض المثلجات!"
ضحكت لكن كان بالفعل يسير إلى العيادة.
بعد ذهاب الحشود الكثيرة من قبل، أصبح المتجر هادئاً وفارغاً قليلاً بينما تصدح أغنية (ديمونز) لفرقة إماجين دراجونز عبر مكبرات الصوت. تجولت حتى قسم المثلجات فلم أجد آيس كريم زبدة الفول السوداني، كنت أتفحص الفطائر المحلاة المثلجة عندما أوقفتني كلمات الأغنية وقوف الموتى.
لقد كان داميان مُصرّاً تماماً... العيادة، إصبعي، قطبه. أي عذر ليفرقنا عن بعضنا.
ربما يجب أن نفترق.
اللعين! إنه يتركني أذهب.
بمجرد أن يصبح الوضع آمن، سأتركك.
لا تنسي هذا. لقد حرص ألا أترك خلفي عقد الأصداف.
ركضت عائدة إلى الشارع غير آبهة بسيارتين بالكاد أخفقاني، ليلعنني السائقان لكن كل ما استطعت رؤيته هو باب تلك العيادة. فتحته بحدة وتجمدت، ها هو ذا.. جالس على واحد من تلك المقاعد البلاستيكية يقلب بين صفحات مجلة بينما تقبع حقائب التسوق جانب قدمه.

تراجعتُ ببطء، لا أريده أن يرى كم كنتُ مرتعبة، كيف أن فكرة بعدي عنه مجدداً بدت مؤلمة غير محتملة، بالكاد أستطيع التنفس لذا أغلقتُ عينيّ وأخذت نفساً عميقاً.

5، 4، 3، 2، 1...

مجدداً.

5، 4، 3، 2، 1...

بعدها عدتُ إلى المتجر. لوهلة أخذتُ أتجول أشعر بذلك الإحساس من الفراغ ما يزال يحاوطني. إنني واقعة بحب داميان تماماً، كاملاً وبلا أي شك. لقد كنت أخبر نفسي أنه طالما بقيتُ معه سيظل معه نفوذاً، ورقة رابحة ليقايضها مقابل أمانه، دوني يبقى هدفاً سهلاً. لكن الحقيقة هي أنني أردت البقاء معه لأجلي، لأنه دائماً، دائماً كان جزءاً مني. أردت البقاء معه حتى أجمع كل الأجزاء المحطمة والمتضررة منه... لأنه لا يمكنني أن أكون كاملة إن كان هو محطماً.

وجدت نفسي أقف أمام الفراولة، فراولة ناضجة حمراء كاللهيب ذات قمم خضراء لامعة، فكرت بتلك الكعكة التي لم يتسنَ له يوماً تذوقها وقررت أنني سأشتريهم جميعاً.. سأطعمه الفراولة وسيقع في حبي.

نعم، أحببت الخطة اللامعة التي طرأت لي.

انتظرت بالداخل حتى بدأ المتجر يغلق أبوابه لليوم، عندما انطفأت الأنوار توجهت إلى العيادة حاملة كمية كبيرة جداً من الفراولة. ولم أجد داميان بالداخل.. لا أحد يجلس في غرفة الانتظار.

"أهناك أي أحد بالداخل مع الطبيب؟" سألتُ موظفة الاستقبال.

"لا، لكننا انتهينا لليوم. أعتذر، سيتوجب عليك المجيء غداً."

تعثرت خارجة من المكان ساحبة الفراولة معي. لقد تركني، كانت تلك هي خطته منذ البداية... أن يتركني عند العيادة فيخبروا السلطات.

إننا نظن أنها نفس الفتاة، لقد أتت بإصبع

مجروح.. هذا ما دلّنا عليها. لقد انتشر في كل الأخبار كيف استلم والدها قطعة من إصبعها، شيء مروع. لا أثر للرجل.
وعندما لم يُجدِ ذلك فائدة، اخترع عذراً كي يذهب هو.. ربما هو بالفعل أزال الغرز، ربما خرج ورآني أنتظره ومعي حقيبتين كبيرتين مليئتين بالفراولة وقرر أن تركه لي هو أفضل شيء يفعله معي. لأجلنا نحن الاثنين ونعم ذلك هو المنطقي، يُفترض أن أركض الآن بحثاً عن أقرب قسم شرطة وأتواصل مع والدي.. أستطيع أن أكون في (لا يولا) مجدداً غداً، في غرفتي الجميلة التي هي ضعفي حجم منزل داميان بأكمله بالجزيرة، حيث سيتم الاعتناء والاهتمام بي وتدليلي. ذلك هو المنطقي. ليس هذا، ليس ركضي في الشوارع التي تؤدي إلى الميناء أصيح لسيارة أجرة بأمل مجنون أنني لازلتُ أقدر على اللحاق به، متمسكة بحقائب الفراولة بينما تفيض منها إلى المقاعد.
"توقف! في الحال!" ألقيتُ بعض النقود على السائق وأنا أميّز الميناء الذي رسونا عنده ثم خرجتُ قبل أن يتوقف كاملا.
ركضتُ حتى نهاية المرسى فقط بينما يقلع قارب داميان لتوه.
"داميان!" مددت قامتي واقفة على أصابع قدميّ على الحافة تماماً، أقرب ما يمكنني محاولة لفت انتباهه. "داميان!"
استدار للخلف.
نعم!
لا يوجد طريقة أفضل من هذه لأريه أنني غفرتُ له، أنّ ما أشعر به أكبر من كل الآلام التي عانيت منها. تفهمت السبب، فهمته هو. والآن حان دوره هو.. أن يترك الأمر، أن ينتهز الفرصة، أن يتركني أقف له.. أدعمه وأدافع عنه، أن يتركني أقفُ بجانبه.. مهما يحدث.
كل ما عليك فعله هو الاستدارة بالقارب والعودة، داميان.
لقد سمعني، رغم أنني لم أقل كلمة. تلاقت عيوننا واستطعتُ رؤية كل شيء يشعر به،

للحظات قليلة بلون السماء.. أصبح قلبي وقلبه واحداً.. أرادا نفس الشيء.
ثم استدار مجدداً وأكمل قيادة قاربه للأمام.
تركت الفراولة الغبية، تركت الأمل الغبي الذي انتفخ بصدري كبالونة كبيرة غبية، تركت كبريائي الغبي وجلست على المرسى الغبي وتركت نفسي أبكي بغباء.
لقد طاردت قارب داميان كما طارد هو سيارتي منذ سنوات طويلة مضت، لكن الأمر الآن مختلف. فلا يوجد طريق ترابي جاف، اليوم صاف والسماء صافية. لا شيء يعيق بصره عني، لقد رآني.. وسمعني.. واختار المضي قدماً لأنه أينما وُجد الكره، لا يمكن أن يوجد الحب... وداميان لا يزال يكره والدي.
"ليس لديك أي حق أن تعاقبني لذلك!" ألقيتُ بحبة فراولة خلف القارب الذي يصغر ويصغر بمرور الدقائق. كنتُ على وشك إلقاء واحدة أخرى خلفه لكنه لا يستحق أياً من هذه الفراولة لذا حشوتها في فمي ومسحت دموعي.

"ما الخطب، عزيزتي؟" شعرتُ بيد دافئة على كتفي. كانت امرأة كبيرة السن ترتدي كيمونو شفاف فوق بلوزة وتنورة طويلة، أصابعها تلمع مزينة بخواتم منوعة.
"لقد فوّت قاربي." شعرت بقرابة فورية تجاه المرأة الكبيرة الحيوية حيث تصدر أصواتاً مجلجلة كالأجراس من كل القلائد الملونة والأساور التي ترتديها.
"ذلك هناك؟" أشارت لقارب داميان.
أومأت.
"إنه ليس بعيداً كثيراً، يمكننا اللحاق به. أنا وكين كنا نستعد للرحيل، هيا معنا وسنوصلك إليه."
تبعتها إلى قارب إبحار صغير على المرسى.
"أنا جودي بالمناسبة، وهذا هو زوجي.. كين."
أشارت إلى رجل بوجه كبير لطيف.
"سعدت بلقائكما." مددت يدي وسلّمتُ عليهما، إن كانا اعتقدا أنه وقاحة مني أنني لم أعرّف نفسي إليهما فهما لم يقولا شيئاً، إنهما يبدوان

أناس طيبين ولم أرغب بالكذب عليهما باسم مستعار لكنني لم أكن سأخاطر في حالة إن كانا سمعا الأخبار.
"لا شيء كشجار الأحبة في أعالي البحار." قال كين بعدما شرحت جودي الوضع.
"أنا لم أقل أنهما أحباء، أرجوك اعذري زوجي."
استدارت جودي إليّ، شعرها الأشقر لامع للغاية لدرجة أنه يبدو كأنما يقارب الأبيض. "كل أشعة الشمس هذه تؤثر عليه، إننا لا نحصل على الكثير منها في هاميلتون."
"هاميلتون؟" سألت ونحن ننطلق. "أين تلك؟"
"في كندا، إننا ندير متجراً صغيراً لكننا نبحر كثيراً وأحياناً نجد كل أنواع الأشياء المحلية لنأخذها معنا."
"إنها ترتدي نصفهم." غمز كين لي. "إن غرقنا في مكان ما بالمحيط فسيكون بسبب تسوقها."
متسوقة رفيقة مثلي. لا عجب أنني شعرت بالقرب منها تلقائياً.
"أتحبان بعض الفراولة؟" سألتُ، كانت هي الوحيدة التي معي لأعرضها مقابل طيبتهما.
"أوه لا. إن لدينا الكثير منها، هنا.. الأمر يدور حول الجوافة والمانجوستين والأناناس." قال كين. "ولقول الحقيقة، لا يبدو أن لديكِ ما يكفي لتوزعيهم."
ضحكت أنا وجودي، ارتفعت الرياح بينما يتجه قارب الإبحار إلى داميان.
"سوف أبعث له إشارة لأوقفه." قال كين عندما لحقناه.
"شكراً لك." جاوبته وأنا أرى القاربين يلتصقان جانباً إلى جنب بينما بدأ كين بتحرير الزورق.
"لا حاجة." قلت، خائفة أن يراني داميان.. لا أعرف ماذا سأفعل إن أقلع مجدداً.
"سوف أتولى الأمر من هنا." قفزت إلى المياه.
"حسناً إذاً، لا تدعينا نؤخرك." صاح كين خلفي.
تسلقت السلم بقارب داميان ووقفتُ على سطح القارب وسط بركة كبيرة من المياه لأشعر كأنني فأر غارق.

"لا تنسي هذه." مررت جودي الفراولة. حقيبتان كبيرتان ممتلئتان.
"شكراً!" لوّحتُ لهما وهما يقلعان.
عندما استدرتُ، وجدت داميان يقف بالنهاية الأخرى للقارب.. يبدو كالجحيم والغضب ملتفين في قميص قطني أبيض.
"ماذا تظنين نفسكِ فاعلة؟"
"أنا ذاهبة معك."
"أنا لا أريدك، سكاي. ظننتُ أنني أوضحتُ ذلك، هل أنتِ مدللة بشكل سخيف، معتادة دائماً على الحصول على ما تريدين لدرجة أنكِ لا تقدرين على فهم ذلك وإدخاله بعقلك؟!"
رباه، هذا الرجل. هذا الرجل اللعين المستحيل، لقد تركتُ للتو كل شيء خلفي... حريتي، عالمي السهل، والدي.. لأجل هذا الرجل! لقد لاحقته وسط المحيط، قفزتُ بالمياه، تسلقتُ خلفه... كل ذلك حتى أحبه، لو أنه فقط يدعني أحبه!
لكن لا، لقد كان يفعل ما يفعله دائماً.. يبقيني بعيدة عنه وينبذني قبل أن أبعده أنا، لأن هذا هو ما يتوقعه من هذا العالم... الألم، الخيانة، القسوة. هو حتى لن يعطينا فرصة واحدة.
"إنكِ جبان لعين!" أمسكتُ بحبة فراولة وألقيتها عليه لترتطم بوجهه تاركة خلفها بقعة وردية اللون.
ضربته بواحدة أخرى، وأخرى وأخرى وأخرى حتى أضحى مغطى بالبقع... على وجهه، قميصه، ذراعيه، عنقه.
"أكرهك!"
بالفعل، أكره أنه يستطيع أن يقف فقط هناك، لا يجفل، لا يهتم، لا يخضع ولا يلين.. فقط يشاهدني أنهار.
"أتسمعني؟" أمسكتُ بحفنة من الفراولة وألقيتها بقوة على صدره. "أكرهك!"
عندما انتهت كل الفراولة، بدأتُ أنقض عليه بقبضتيّ، أردتُ أن أسحق كل ذكرى لي معه، أردته أن يتألم كما أتألم، أردته أن يبكي كما أبكي، أردتـ....

أمسك داميان يديّ وثبتهما خلفي، بينما تجد شفتاه شفتيّ ليجتاحهما بجوع تركني آخذاً معه أنفاسي. كان محيطاً من الرغبة والحاجة، كل التيارات الغاضبة التي أبقاها داخله تحررت.
حاولت البقاء غاضبة متمسكة به بإحكام، لكن ليس لدي فرصة. كل ألمي، غضبي، دموعي أطاح بهم واستبدلهم شيء آخر أكثر عمقاً.. شيء شاسع وحقيقي وقوي وأبدي.
كانت قبلة تسللت خلال النافذة المفتوحة، قبلة بقيت مطوية بين طيّات زرافة ورقية، في الصمت بين 5، 4، 3، 2، 1، في قطع المانجو الصغيرة وهنا، الآن، أخيراً.. تم إطلاق سراحها. والإحساس بمدى صحتها وصوابها، الإحساس بهذا الانتماء والتوق.. جعلني أرغب بالتمسك بها للأبد، أردت أن يبقى داميان يقبّلني ويقبّلني ويقبّلني حتى يمحو كل قبلة أخرى.. حتى تصبح هذه هي القبلة الوحيدة.
بلوزتي مبللة، بنطالي مبلل، شعري مبلل، لكن فم داميان كنيران فراولة جامحة... حارة وحلوة وخارجة تماماً عن السيطرة. كل الحدة التي كان يدفعني بها سابقاً هي ما تجذبني إليه مجدداً، تذيب شفتيّ وشفتيه حتى أصبح الأمر مؤلماً حقاً عندما حررني.
"لا تبكي، جويريتا." مسح إبهام داميان خدّي.
"اضربيني، اصفعيني، الكميني.. لكن لا تبكي بحق الجحيم."
"إذاً لا تتركني بحق الجحيم!" قلتُ. أكان حقاً ينظر إليّ هكذا؟ أهو حقاً يتنفس بثقل هكذا؟
"وأنا لم أعد جويريتا." أمسكتُ خصلة من شعري الداكن. "أنا لم أعد شقراء."
"أوه، لكنك كذلك." ابتسم داميان.
لكمته لأنه قد رآني عارية وأنا أعلم بالضبط ما يعني. عندما لفّ ذراعيه حولي، خبأت وجهي بصدره وشعرت كأنني عدت لمنزلي.
*****
عندما عدنا إلى الجزيرة، صنع داميان سيفيتشي حقيقي بينما أستحم وأبدّل ملابسي.
"متباه،" قلتُ. إنه حقاً طاهٍ جيد، ومقبّل بارع.

لم أستطع التوقف عن التحديق بشفتيه، تلك الشفاه التي ألقت بالحبوب البرتقالية على قدم جيديون بينيديكت سانت جون لكن الآن أضحت الشهوة ترافقها... كل مرة يتكلم بها، كل مرة يقضم طعامه.. تكون هي كل ما أرى وما أرغب.

"ماذا حدث لوجهك؟" سأل.

"ذقنك." أفقت من تحديقي المتكاسل إليه لأجيبه عن السؤال، وقد حوّلت المياه الساخنة ذقني وشفتي العليا إلى اللون الأحمر حيث احتكت لحيته بجلدي.

ابتسم داميان، يبدو أن ترك علاماته عليّ أشبع جزءاً بدائياً داخله.

ابتسامته فعلت بي أشياءاً أيضاً، تمنيتُ أن يميل ويقبّلني مجدداً.

وبالفعل مال لكن ليحمل طبقي ثم اتجه ليتابع غسل الأطباق بينما أقوم أنا بالترتيب. تمنيتُ أن ينتهي سريعاً حتى أستطيع أن ألقي بذراعيّ حوله مجدداً لكنه كان يأخذ وقتاً طويلا.. محاولا تنظيف نقطة وهمية ثم غسل ذات البقعة اللعينة ثم تجفيفها.. وأثناء كل هذا يُبقي عينيه على المهمة.

لقد كان يتجنبني، وعندما أخيراً أدركتُ السبب.. أردت تقبيله أكثر من ذي قبل، إنه لم يكن يغسل الأطباق.. بل كان يُصارع شيئاً لم يشعر به أبداً من قبل، يشعر بالخجل وهو ما كان غريباً عليه تماماً... إنه أبداً لم يسمح لنفسه بالإعجاب بفتاة، أبداً لم يواعد، أبداً لم يشعر بالفراشات تحوم في معدته.

شعرت بطعنة من الحنان ليحلّ محلها سريعاً الرغبة بالقفز عليه، أجليتُ حنجرتي في محاولة إزاحة المشاعر الخائنة التي تحاول السيطرة عليّ.

"لماذا لا تذهب أنتِ لتبدّل ملابسك؟ أنا سأنهي البقية هنا." عرضتُ عليه حيث كان لايزال يرتدي قميصه الملطخ بالفراولة.

قفز مقتنصاً الفرصة كأنني ألقيتُ إليه للتو طوقَ نجاة. أي شيء ليبعده عني.

أنهيت بقية الأطباق وأطفأت الأنوار.

ارتطمنا ببعضنا بالرواق، كان خارجاً من الحمام لتوه وأنا أدخل. أول شيء ضربني هو وجهه الحليق تماماً. الوداع أيتها الذقن! اختفت القطب أيضاً ولا قبعة بايسبول.. كأنه يريني وجهه لأول مرة، أي الأماكن بالصبي الذي كنت أعرفه تصلبت متحولة إلى رجل وأي الأماكن بقيت على حالها. ثاني شيء لاحظته هو بشرته، لازلت دافئة ومبللة.. عارية عدا البنطال الذي لم يعد قبيحاً للغاية بعدما عانق فخذيه هكذا.

"أنا..."

"أنت..."

خطونا بعيداً عن بعضنا مدركين تماماً كل الأماكن التي تلامست بها أجسادنا.

لا أعرف مَن تحرك أولا، ربما هو، ربما أنا، لكننا كنا نتخبط متجهين عبر الرواق.. شفاهنا ملتحمة، ظهري يرتطم بالجدار ثم ظهره هو، نرتطم ونصطدم في المساحة الضيقة حتى وصلنا إلى غرفة النوم.

حملني داميان للداخل، لأشعر بذراعيه العاريين كالجنة. تعثرنا محاولين النزول تحت الناموسية، لا يرغب أيّنا وقف القبلة.. لكنها كانت محكمة تحت حاشية المرتبة بالسرير، عندما استند داميان على الفراش وأنا لا أزال بين ذراعيه، تمزقت الناموسية من قمتها بالكامل.

"حُلت المشكلة." قال ممزقاً طريقه وسط طيات الشباك بينما يضعني على السرير.

كنتُ لأضحك لكنه انزلق بجسده يحوم فوقي وقد فقدت نفسي تماماً، الساقان فوق الساقين، الكف فوق الكف... مألوف لكن مختلف تماماً. طارت بلوزتي وبنطالي ومعهما بنطاله عند قدم السرير، تمددت على جانبي أرتجف عندما لامست أصابعه ظهري متتبعة عمودي الفقري، فقمت بلف كاحلي حول كاحله ولمست قدمه بأصابع قدمي. الأمر بأكمله اكتشاف وتعجب، إثارة للحواس، مزيج من التنهدات. الجلد أمام الجلد ثم الانفصال، نتلامس ونستكشف حتى تصبح المسافة غير محتملة. كان يرقد على معدته وشفتاي تحومان على كتفيه العريضين ذهاباً

وإياباً، كنتُ بالكاد تذوقتُ ملمس بشرته عندما زمجر واستدار، إن داميان حبيب مسيطر.. يعلم ماذا يريد، متى يريده، أين يريده وكيف يحققه. كنت محاطة بذراعيه بينما يحتضني من الخلف ويتجول إبهامه على ملامحي.

"لا يزال مقوساً." قلتُ مقبّلة إبهامه وأتتني ردة فعله تلقائياً من جسده الذي شعّ نبضاً وحرارة.

"سكاي..." تحرك مبتعداً عني.

"ماذا؟" أكملتُ نثر قبلات خفيفة على إبهامه قبل عضه عضة خفيفة.

نسي ما كان يفعله وفقط تمدد للخلف مراقباً إياي. "ذلك لا يساعد،" دمدم.

"ماذا بشأن هذا؟" انتقلتُ إلى الإبهام باليد الأخرى.

"تباً لكِ."

قهقهتُ.

"سكاي..." حاول مجدداً.

فتحركتُ إلى حيث عنقه مشاكسة إياه بشفتيّ ليقفز من فوق السرير تماماً.

"سكاي!" أبعدني عنه من خصلات شعري. "أنا ليس لدي أي واقٍ."

"أظن أنني رأيتُ سومبريرو صغير في غرفة المعيشة." عدتُ لما كنت أفعله، ليسقط رأسه على الوسادة مجدداً وتتسلل أصابعه لشعري مغرقاً وجهه داخله قبل أن يديرني وتنقض شفتاه على شفتيّ وعنقي، شعور غريب يكتنفني لأدرك أن لهذا الأمر مختلف بالنسبة لداميان، ربما هو ضاجع العديد من النساء لكنه أبداً لم يُمارس الحب مع واحدة، أبداً لم يأبه أو يهتم بواحدة، وخطوات الطفل التي يخطوها.. نفسه الحار، شفتاه تدفعانني لمشاعر أعمق ولمساته تدفعني للجنون وفقدان السيطرة.

"داميان." أمسكتُ بكتفيه. "توقف."

توقف ليأخذ بعين الاعتبار وجهي المحمر، أنفاسي المتسارعة وجسدي الذي يتوق إليه.

"إن لم تقدري على الأخذ، لا تعطي." قال مداعباً إياي ومشاكساً كما فعلتُ معه. المغيظ! استمرت أصابعه ترسم رقصتها المثيرة للجنون وفقط

حينما ظننتُ أنني سأنفجر.. امتلكني، امتلاكاً نقياً كاملاً جامحاً دون سيطرة مُطلقاً المفرقعات والمتفجرات داخل عقلي. تعلقتُ به غير قادرة على كبح تنهداتي بينما تشتعل بي موجة تلو الأخرى من النيران الكهربية ونحن نحلق معاً في تناغم لذيذ وناعم حملني معه إلى آفاق جديدة من الشغف. حيث يكون هو وقود شغفي وأنا خاصته في انسجام رائع، كنا بنفس المستوى، العين بالعين، اللمسة مقابل اللمسة.. لأشعر بإحساس اكتمال لم أعرفه أبداً.

بان.

إيبان.

إستيبان.

داميان.

إنني أعرفه **كله** الآن.

فتحت عينيّ في لحظة زادت بها حدة الهواء حولنا، ثم تركت نفسي لدوامة المشاعر، قلبي ينفجر من الأشياء القوية والرقيق.. القاسية والناعمة التي تبادلناها بنظرة واحدة.

"جويريتا." تأوه بحدة مستسلماً فحاوطتُه بذراعيّ محتضنة إياه، مقبلة قمة رأسه ثم جذبته أقرب إليّ.. لم يكن انتهى من لمسي، تحركت أصابعه على طول ظهري ذهاباً وإياباً.

"لقد نضجتِ بشكل جيد حقاً." قال.

"وأنتَ أصبح لديك شعر." لامستُ الشعر الناعم على ذراعه. "وحقاً حقاً كبر..."

"ما الذي كبر لديّ، سكاي؟ دعيني أسمعكِ تقولينها."

"وحقاً حقاً كبرت شخصيتك."

"الأمر المتعلق بشأن الشخصيات الكبيرة حقاً حقاً أنها حقاً حقاً تحتاج إلى اهتمام كثير. وفقط حتى تعلمي.. إنني دائماً حريص، إنها المرة الأولى التي أكون فيها...."

"دون سومبريرو؟" ضحكتُ. "أعرف أنكَ لن تفعل أي شيء يضعني بوضع خطر."

"كيفَ تعرفين هذا؟"

"لأنك تحبني." ها قد خرجت الكلمات ولا أستطيع استرجاعها. فلينكر ما رأيتُ بعينيه، ما

أعلم أنه الحقيقة.
توتر داميان وكأنه يتفحص شيئاً ما بعقله، حبستُ أنفاسي منتظرة القناع الذي سيسدله على ملامحه، قلبي سينكسر ويتناثر مع دمدمة المحيط وحفيف رياح الليل عبر النخيل. كبرت الغصة داخل حلقي لتصبح بحجم ثمرة جوز هند عملاقة.
"هذا صحيح." قال. "لقد أحببتكِ دائماً، حتى عندما كرهتكِ."
رباه رباه، أوه يا إلهي القدير.
"أحببت؟ بصيغة الماضي؟" كنتُ أضغط الأمور، لكن قفز قلبي للتو قفزة خطيرة.
"أحببت، أحب. ماذا يهم؟" جذبني إلى حضن ذراعيه. "الحب لا يموت."
"هل تغذيني واحداً من عبارات أفلامك، داميان؟"
"إنها أغنية." ضحك. "لقد توسعت ذائقتي."
غطى فمه فمي مُرسلاً ارتجافة دافئة لأوصالي.
"انتظر." جذبت وجهه مبعدة إياه. "يوجد شيء يجب أن تعرفه."
"أعرف." التفت يداه حول خصري بامتلاك.
"أنتِ تحبينني أيضاً."
"أكنتُ واضحة لهذه الدرجة؟"
"سكاي." ابتسم. "لقد أطلقتِ عليّ عاصفة من الفراولة بحق الجحيم!".

*****

أعاد داميان توصيل الناموسية فوق السرير ووقفنا نتفحص عملي اليدوي.
"لا تستطيع الطبخ لكن يمكنها الحياكة." قال.
"بالطبع يمكنني الحياكة، لقد تعلمتُ من الأفضل."
"إذا خياطة كل تلك الأزهار في أوشحة مامالو أخيراً أجدى نفعاً؟"
"اسمه التطريز ونعم، لقد علمتني جيداً."
"لا أعرف." شد داميان الشباك المرقعة. "أظن أننا نحتاج اختبارها."
"هل تقترح أن نمرح بالنهار هكذا، لأن...."
لم أبتعد كثيراً قبل أن يعيدني داميان تحت

الناموسية دون فرصة للاعتراض.. ليس أنني سأعترض أو حتى أقدر على ذلك، لأن داميان في الحب هو ضرب من الجمال... مُسكراً، إدماناً، مُطالباً، مهتماً، ودائماً.. دائماً جائعاً.

مرّت الأيام هكذا، رقصة مُسكرة من الإحساس والشغف والاكتشاف. الليالي أيضاً.

بدأت آخذ أقراص منع الحمل التي كانت ما تزال في حقيبتي التي خزنها داميان قبلاً، لقد فوّت بضعة أسابيع لكن لم يكن بيدي حيلة.

كل صباح، يذهب داميان ليقطف لنا المانجو تاركاً تعليمات مشددة ألا أطبخ وهو غائب عن المكان. فأرتب السرير معيدة علبة مامالو الـ (لاكي سترايك) تحت وسادته، أحياناً أجلس بها أعبث بمحتوياتها محاولة التقاط رائحة منها... لكن ما أشمّه هو التبغ.

عندما يعود داميان نجلس في الشرفة ونتناول الفطور، نجلس على نفس الكرسي حيث يجلسني بحضنه رغم وجود ثلاثة مقاعد مريحة. أعبث بشعره ويتركني أفعلها رغم أننا نحن الاثنين نعلم أنه يكره ذلك، وهو يرشّ الرمال على جلدي وأتركه رغم أنني أكره ذلك. لكن هذا هو ما يجعل هذه الأمور مميزة، السماح لبعضنا البعض بتلك الحريات الصغيرة الخاصة والتي تأتي فقط مع الحميمية الحقيقية.

نقوم بالنزهات على الشاطيء، يحمص داميان الفول السوداني في الرمال ويرش عليه المياه المالحة. نأكلهم دافئين مع الموز الأحمر و(إنجا إدوليس).. وهي قرون طويلة كقرون البسلة تحتوي داخلها بذور ليما بحجم الفاصوليا مغطاة بعجينة بيضاء، مذاقها كغزل البنات المبلل وعندما يتم تركها في الهواء فترة يتحول إلى مذاق الفانيليا المميز.

مارسنا رياضة الغوص عند الشعاب المرجانية مفتونين بسحر ما تحت الماء، أسراب من الأسماك الزاهية تخرج وتدخل حيث تعيش في الشعاب المرجانية وشقائق النعمان، بينما يلمع المرجان المروحي والإسفنج العملاق بأرضية المحيط يتخللها أشعة الشمس، والأسماك الملائكية

وأسماك الزينة (هيبو تانج) الزرقاء والأسماك الغضروفية (الشفانين العقابية)، بينما يُغطى قاع البحر بالأعشاب.. سبحنا مع السلاحف بأدوات الغوص التي تتمدد كالأجنحة.

بعد ذلك، تمددنا على الشاطيء تاركين الشمس تدفيء جلدنا. قرر داميان أن يحميني من الأشعة الفوق بنفسجية الضارة.. بجسده.

ظننتُ أن ممارسة الحب على الشاطيء رائعة، حتى بدأت الرياح بإلقاء الرمال في وجوهنا وعلى أجسادنا.. لذا أصبحت ليست رائعة للغاية لذائقتي.

"يالكِ من أميرة مدللة!" ضحك داميان عندما أوقفتُ قبلتنا لأبصق حبات الرمال.

ثم اغتسلنا في المياه وسبحنا حتى القارب.

"هنا،" قلتُ وأنا أقوده إلى السرير الذي قضيتُ به ليالياً كثيرة أكرهه.

"لا، ليس هنا." لم يرغب داميان أن يتذكر ذلك الوقت.

"أجل، هنا بالضبط. لأنكِ تحتاج أن تتخطى الأمر، لقد غفرتُ لكِ لكنكِ ما زلتِ لم تغفر لنفسك."

"سكاي...."

أخرسته بقبلة لأن كل شيء يحتاج أن يعرفه يكمن في طريقة التحام شفتيّ بشفتيه، طريقة التقاطي والتهامي لكل ما يشعر، يكمن في مذاقه. شعرت به يذوب، ببطء، بطريقة لا يمكن إنكارها، لأنه لا يهم أين نحن.. هنا، على القارب حيث اختطفني، أو على الشاطيء، أو على القمر.. فلا يوجد مكان معتم كفاية، أو كبير كفاية، أو غير قابل للإنقاذ كفاية، لا يمكننا ملأه بالحب.

أحبني داميان على ذلك السرير، مقابل كل جرح وكل تورم سدده يوجد مرهم قبلاته، مقابل كل قيد هناك سلسلة من المداعبات. كان يكبح نفسه بشكل مفاجيء ومؤثر رغم رغباته الناطقة. كلما أعطى، كلما زمجر الشغف بينا حتى غبنا في بحر من الأحاسيس: رقة بشرته على بشرتي والطريقة التي تلامست

بها أيدينا.
دفن عنقه في وجهي وهمس أعذب الاعترافات في شعري: ما يشعر به، متى يشعر به، كيف يشعر به، ليتعلق ذراعاي به جيداً تتابع أصابعي عضلات ظهره أرغب باحتضانه أكثر وأقرب.. ثم أقرب أكثر.
"خذني، امتلكني الآن." همستُ لأشهق وجسدينا يجدان النغم المناسب الذي يربطهما سوياً، كنا ملتصقين ببعضنا.. الجلد بالجلد حتى استطعتُ الإحساس بنبض قلب داميان خلال صدره يتسارع، فانتقلت أصابعي لشعره وقبلته بجموح وحاجة بينما تتفتت أفكاري وتذوي بالرياح وأنا أتنهد في توق ناعم حيث تمزقني المشاعر المتقدة داخلي وداخل داميان فزمجر هو الآخر زمجرة معذبة.
احتضنته بشدة، رأسي يلائم الفراغ بين عنقه وكتفه بمثالية. "أتعتقد أننا سنواجه أي مشكلة مع هذه الغرفة بعد الآن؟"
"سكاي؟"
"ماذا؟"
"أنا لا يمكنني التفكير الآن."
*****
كان يوجد حوض مياه مالحة على الشاطيء محفور في الصخور، قناتان يملآن حوض من الأمواج المارّة ويسمحان للأسماك بالمرور كذلك لذا بنى داميان حاجزاً صخرياً يسمح للأسماك بالعبور فقط مع المد العالي لكن يحجزهم عندما تتراجع المياه، لم يكن السمك كبيراً كما كان عندما يذهب للصيد ولديه كذلك ملايين الأشواك.. لكننا لم نهتم لأنه يسمح لنا بقضاء وقتاً أطول معاً.
"إذاً أخبريني بشأن ذلك الرجل الذي كنتِ ترينه في سان دييجو." كان يدلك قدميّ بمزيج من الرمال وزيت جوز الهند... خلطته الخاصة لأجلي.
"نيك؟"
"أياً كان الذي ذهبتِ معه للعشاء تلك الليلة."
"هل كنتَ تتجسس عليّ؟"

"أجل."
"مخيف." قلتُ. "إن نيك رجل لطيف، واعدته لأربعة أشهر لكننا لم نتقدم أبداً للمرحلة التالية.. لم نكن يوماً (أصدقاء حميميين)."
كان يجب أن أشعر بندم أكثر أنني لم أفكر بشأن نيك، لكن أياً كان ما كنت أشعر به تجاهه ذبل بالمقارنة مع هذا الذي أشعر به الآن.
"وماذا نحن؟" سأل داميان مغلقاً إناء زيت جوز الهند قبل أن يساعدني لأقف.
سرنا إلى المياه حيث تركتُ الأمواج تغسل الرمال عن قدمي تاركةً خلفها قدمين بنعومة الحرير.
"ليس سيئاً،" قلتُ. "ربما يمكنك الاستفادة من خلطة الجزيرة الخاصة هذه."
"لم تجيبي على سؤالي."
وضعتُ قدميّ المدللتين حديثاً على قدميه وأحطتُ وجهه.
"إننا سؤال لم يُجَب عنه بعد، مكان خفي لم يُكتشف بعد، معركة لم تقام بعد."
قمتُ بلفّ ذراعيّ حول خصره وسرنا على الشاطيء هكذا، وداميان يحملني على قدميه.. حتى توقفنا لنشاهد ثلاثة من الإجوانا -نوع من الزواحف- يستمتعون بالشمس.
"بلوندي، بروس لي، هاري القذر،" قال داميان.
"بروس لي هو الصغير، بلوندي -أي أشقر- هو ذلك الذي يفتقد جزءاً من ذيله، وهاري القذر صاحبِ الوجه اللئيم."
"أسميتَ إجوانا باسمي؟"
"ليس أنتِ جويريتا، الأشقر الآخر؛ كلينت إيستوود من فيلم الطيب والشرس والقبيح."
"آه، كل أبطالك مجتمعون معاً في الشمس."
"حتى يأتي الأشرار."
قفزت من على قدميه واستدرنا. "أنتَ تظن أن والدي رجل شرير." قلت. "دعني أتحدث معه داميان، يمكننا إصلاح هذا. إنه لا يعلم أنكَ إستيبان فهو لم يقم بربطك بخاطفي. عندها سوف ينهي البحث، سوف يتفهم. ما فعله بالتأكيد مروع لكنني أعرف أنه أبداً لن يقوم بتدبير الأذى بهذه الطريقة لكَ أو لـ مامالو.

كل شخص لديه سبب، أنتَ قلتَ ذلك بنفسك."
"بعد كل ما فعله، ما زلتِ تدافعين عنه؟!" نظر إليّ بعدم تصديق.
"بعد كل ما فعلته *أنتَ*، سوف أظل أدافع عنك. امنحه فرصة، إنه رجل محترم، داميان."
"إننا أبداً لن نستطع التفاهم بشأن هذا الأمر، أنت لديك ولاءك وأنا لدي ولائي." نظر داميان أسفل إلى الأمواج التي تجري عند أقدامنا. "أتعلمين ماذا نحن، سكاي؟"
شاهدت زبد الأمواج يتجمع حول أرجلنا بينما تنحسر المياه، لأشعر بالدفء يتخلى عني وداميان يبعد يده.
"إننا رمال لم يتم جرفها بالمياه بعد." قال.
تكونت عقدة باردة في معدتي، إن الرجلين اللذين أحبهما من كل قلبي.. يسعيان لتدمير بعضهما. ولدي إحساس أنه بعدما يتمِ قول كل شيء وفعل كل شيء.. فقط واحد مَن سيبقى واقفاً.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل الرابع والعشرون :::

لأول مرة منذ شجار الفراولة، نقضي الليلة معاً لكن منفصلين. اليأس من وضعنا، عواقب ما فعلته عندما لاحقته مجدداً.. كلها بدأت تثقل كاهلي، لقد جئت بكل قلبي، وكلي أمل أنني سأتمكن من إصلاح الأمور بينه وبين والدي، وقد امتلكت بعض القناعات المجنونة أن الحب يقهر كل شيء.

حبي لداميان بالتأكيد أكبر وأعمق، لكن مع ذلك ها هو يحشر نفسه في الإنشات القليلة التي تفصلنا... يصارع حاجته لإصدار العقاب.

حبنتقام. حب-انتقام.

رسمت الحروف على وسادتي.

منعنا ذلك من الحديث سوياً باليوم التالي، ليس لأننا مستائان أو نعاقب أحدنا الآخر. فقط أنني فهمت بالضبط ما يشعر به، وهو يعرف كل الأشياء التي تدور بعقلي. إننا فقط لا نعرف ماذا نفعل أو نقول لنواسي بعضنا.. لذا لم نقل شيئاً.

قضيت الصباح أطعم بلوندي وبروس لي أزهار الكركديه بينما امتنع هاري القذر عن الطعام

حتى قدّمتُ له الموز.. على ما يبدو هو يحب السكريات. لم يكن هناك أي أثر لداميان، لا مانجو هذا الصباح. لدي إحساس أنه يختبيء في الكوخ لكن في النهار وجدت ملاحظة منه موضوعة على المنضدة.

"هدنة. موعد. سآتي لأخذك عن الغروب."

كانت مطوية في شكل زرافة ورقية، آخر شكل صنعه لي منذ سنوات مضت في عيد مولدي، جلست أتأملها لفترة لأنها كانت واحدة من تلك اللحظات التي تعلم أنك ستقدّرها لبقية حياتك.. ولا يوجد الكثير من هؤلاء. تبدئين تصفح حياتك، تقلبين الصفحات والصفحات.. كلمات الأبيض والأسود، تركض وتصطدم ببعضها... ثم بام! تلمع ثلاث جُمَل بألوان قوس قزح، وحيوان ورقي، وتجدين نفسكِ تعبثين بخزانة ملابسك وتغسلين شعرك وتبدّلين ملابسك مجدداً ومجدداً لأنك أصبحتِ سخيفة وعاطفية ومتحمسة حدّ الطيش. لأن هذا هو ما تفعله تلك اللحظات.

"واو. يالها من فوضى!"

استدرت ورأيت داميان يتسلق ويتسلل من نافذة غرفة النوم، لابد أنه بدّل ملابسه واستحم على القارب لأن.. اللعنة! كم يبدو جيداً!

كان يرتدي قميصاً أزرق اللون، جاكيت أسود، وبنطالا من الجينز. يحاوط النور الذهبي وجهه وهو يشاهد آثار الملابس والحقائب مبعثرة بالغرفة بالكامل.

"إليكِ، جويريتا." مدّ إليّ شيئاً ملفوفاً في قشور الموز. أخذتهِ منه واعية أن عينيه تلتهماني، كنت وجدت ثوباً كريمي اللون ذا أكمام طويلة ويحتضن قوامي بمثالية فارتديته لأجده يبرز بشرتي السمراء حديثاً من الشمس وجذور خصلات شعري الأشقر التي بدأت تظهر وسط شعري الداكن.

"ما هذا؟" سألت وأنا أنزع الغلاف عن هديته. بينما وأنا أراه واقفاً أمامي هكذا، ضربني الإدراك أنني لم أحتضنه طوال اليوم.

"فقط أعيد إليكِ شيئاً."

"حذائي!" صحتُ. حذاء اللوبوتين الذهبي ذا الكعب الحاد، الحذاء الذي كنت أرتديه عندما اختطفني.
ركع أمامي ومدّ يده لأعطيه فردة حذاء ثم الأخرى متلذذة بلمسته وهو يلبسني إياهما.
"إذاً ما المناسبة؟" سألت.
"فقط أريد أن أعوّضك عن حقيقة أنك فوّت عيد ميلادك هذه السنة،" قال. "أيضاً، فقط أريد أن نتصالح."
"لقد خذلتني في عيد مولدي، أنا حتى لا أتذكر ما حدث ذلك اليوم."
"أعرف، أنا آسف للغاية.. ولا أطيق حقيقة أننا لا نتكلم سوياً."
لم أستطع أن أحمل أي شيء ضده بينما كان يقبّل عنقي هكذا تاركاً خلفه أعذب الاعتذارات وأكثرها حلاوة.
"أنا آسفة أيضاً، بشأن أمس....."
"دعينا لا نفعل." أسكتني.
دعينا لا نعتذر عن أشياء ليس لنا بها حيلة، ولاء يمزقنا أشلاءاً، أمي. والدك. كل العالم الذي ينتظر ليشاهدنا ننهار.
"فقط أنا وأنتِ الليلة، حسناً؟"
أومأت وتبعته حتى الشرفة حيث جهّز الطاولة.. ومعها كرسي واحد.
أكلنا في صمت، ولم نعد نتهاون بأي شيء ونعتبره أمراً مسلماً به: الطريقة التي يميل بها عنقه ليترك مساحة كافية كي أدسّ أنفي، كيف أنني أنهي لقمة مقابل ثلاثة منه، كيف أنه يأكل الأجزاء ذات الأشواك والعظام تاركاً لي بقية السمكة، كيف أنني أغرق كل شيء في المرق وهو يحب الطعام بسيطاً جافاً.
كانت ليلة لا نرغب لها أن تنتهي، الرمال تتلألأ تحت دفء غروب الشمس والمياه تتهادى في أمواج ذهبية ناعمة.
"الحلوى؟" قال عندما انتهينا.
"لا تخبرني أنك صنعتَ كعكة."
"لدي شيء أفضل بتخطيطي." قادني نحو الشاطيء مبتسماً لأنني رفضت أن أخلع حذائي

العائد حديثاً.
تبعته حتى وصلنا إلى كومة من الصخور الساخنة على الرمال، النيران انطفأت لكن أصدرت الصخور أزيزاً عندما رش داميان المياه عليهم.
"جاهزة؟" سأل.
"جاهزة." ابتسمتُ.
أزاح الغطاء عن سلة مليئة بثمرات موز سوداء مجعدة.
"أرجوكَ أخبرني أنكَ لن تجعلني آكل موز فاسد!"
"مهلاً، أنا أكلتُ السيفيتشي الذي صنعتِه! إلى جانب أنه ليس موز، إنها ثمرات البلانتين وهي أكثر حلاوة بهذه الحالة.. عندما تتجعد قشرتها وتصبح سوداء بالكامل." نزع قشرة واحدة وشقها طولياً ثم وضعها على الصخر، وعندما بدأت تتكرمل صبّ داميان التكيلا عليها.. فصرختُ عندما اشتعلت بلهيب أزرق رائع.
"تريدين البعض؟" أمسك البلانتين من فوق الصخرة ووضعها على طبق.
نظرت إلى القشرة المجعدة المرمية بعيداً وحدقت مجدداً بالطبق، هز داميان كتفيه وألقى بقطعة في فمه ثم استرخى للخلف متمدداً وتشابكت أصابعه تحت رأسه ينظر إليّ.
أخذت قضمة مترددة، لأجدها دافئة وحلوة ولزجة وجيدة جداً جداً.
"أفضل من الكعك؟" سأل.
"أي كعك؟!" ابتسمتُ وتمددتُ بجانبه.
تناوبنا بين تناول الحلوى ومحاولة تخمين أين ستظهر النجمة التالية حيث أسدل ستار الليل الأزرق المخملي فوقنا.
"غداً،" قال داميان.
"ماذا بالغد؟"
"غداً هو اليوم الذي أزور به مامالو."
"تعتقد أن الوضع آمن؟" يداي تشتدان حوله.
"إنهم يبحثون عن داميان، لا إستيبان. إن إستيبان اختفى منذ وقت طويل ولا يوجد ما يربطه بي، لا يوجد ما يربط مامالو بي لذا لا أعتقد أنهم

يلاحقون قبر امرأة لا يتذكرها أحد."
"أنا أتذكر." قلت. "أنتَ تتذكر."
شبك أصابعه بأصابعي واستمعنا إلى نغم الأمواج. "لماذا أشعر كأننا الشخصان الوحيدان بهذا العالم الآن؟"
"لأنه بهذه اللحظة، نحن كذلك." تسلل ذراعاي تحت الجاكيت لتحيط ظهره.
"أتعلمين ماذا أتذكر؟" قال. "أتذكر أنني فكرت بتهويدة مامالو أنها عن قطعة جميلة من السماء، شيء يمحو كل الظلام. ثم أتينا إلى كاسا بالوما، وشعرت أنها عنكِ أنتِ، سيليتو ليندو."
"وأنا لطالما ظننتُ أنها كانت تغني عنك، كنتُ أتخيل الجبال.. داكنة ومعتمة تماماً مثل عينيك." قبّلتُ عيني داميان وجفونه، حاجبيه المستقيمين، صف الندبات بسبب جرحه.
"سوف أذهب معكَ غداً،" قلتُ وأنا أخلع عنه الجاكيت.
"أعرف." قال بينما يرمي الجاكيت تماماً.

إن مامالو ربطتنا معاً، حقيقة أن داميان يرغب أن يشاركني إياها.. في الموت كما كان يفعل وهي حية، جعلتني أحبه أكثر إن كان ذلك ممكناً.
"لا رياح اليوم." فككتُ أزرار قميصه ولامستُ عضلات صدره الصلب حتى عضلات معدته.
"لا رمال." قلتُ مقبّلة إياه.
"دعيني أرى." لفني لتستغل شفتاه ظهر فستاني العاري. "مممم، أنتِ محقة. ولا حبة واحدة، فقط بشرة ناعمة حريرية."
تلويتُ وأصابعه تتسلل تحت ثوبي رافعة إياه حتى أصبح يصل لخصري.
"رباه، هذا الجسد. لا رمال هنا أيضاً." دمدم تاركاً علامات أسنانه على بشرتي.
أبقيتُ حذائي وعقد الأصداف، بينما طارت بقية الملابس. أظن أن داميان أعجب بمنظري هكذا في ضوء القمر، قبّلني ولامسني وامتلكني على ذاك الشاطيء.. بكل مرة أتأوه كان يفغر فاهاً وكأننا متصلين بخيط مخفي، تركيزه كله

موجه إليّ.. وجهي، جسدي وكأنه يسجل كل لحظة وكل حركة ولمسة وهمسة حتى صرنا تائهين في حِمم من النيران المُسالة.
عندها انهرت فوقه محمومة وملتهبة.. قلبي يعصف في صدري بينما يلف ذراعيه حولي.
بقينا صامتين بعدها، في حيرة لأن الأمر كان جميلاً ومخيفاً، جميل لأنه عندما نكون معاً.. نكتمل ونتوحد، ومخيف لأننا نعلم أنه لا مجال للعودة الآن... لقد انغمسنا بالأمر تماماً حتى أضحى لا مجال للتراجع عن أي شيء مجدداً.

*****

رتبتُ كومة الملابس التي كانت مبعثرة بغرفة النوم ثم ارتديتُ واحداً من قمصان داميان، اضطررت أن أطوي الأكمام لكنه كان ناعماً ودافئاً ويصل حتى ركبتي.
منذ 21 يوماً مضى، كنت أكره ارتداء ملابسه، مع ذلك ها أنا ذا.. أدسّ أنفي في القماش لأنني لا أكتفي من رائحته.
اتجهت إلى غرفة المعيشة ووجدتُ داميان يجلس على الأريكة، ومسدسه مفكك على طاولة القهوة.
"ماذا تفعل؟"
"أنظف مسدسي."
راقبته بصمت وهو يعيد تركيبه، الاعتياد والألفة التي يمسكه بها، دقة حركاته تذكرني بالطريق الذي مرّ به. لقد كان يستعد للغد، في حال واجهنا أية مشاكل في بازا ديل مار، في المقبرة حيث دُفنت مامالو. أعرف أنه لن يتردد عن استخدام هذا السلاح إن هدد أي شيء أو أي شخص أخذي وإبعادي عنه.
"داميان، كم من الوقت سنظل مختبئين؟"
أعاد حشو المسدس ثم نظر إليّ.
"تريدين العودة؟"
"أنت تعلم أن ليس هذا ما أعنيه. يمكنني قضاء حياتي بأكملها هنا معك، إنني فقط متعبة من الشك بالمجهول.. من عدم معرفة ما سيحدث تالياً، إنني خائفة عليك وما قد يحدث إن وجدونا. أعتقد أننا يجب أن نتكلم مع أحد،

شخص يمكنه التدخل مع السلطات ومساعدتنا بإيجاد طريقة لحل الوضع."
"أنت تقولين أننا يجب أن نتكلم مع والدك، أن نسلم أنفسنا؟ تصحيح. *أنا* مَن يجب أن يسلم نفسه حتى تتمكني من التدخل والوقوف بصفي؟ تطلبين منه أن يتساهل معي لأن كلانا يعلم أنه سيفعل أي شيء لكِ؟"
"إنه ليس كذلك تماماً...."
"إن الأمر بالضبط كذلك، سكاي. لقد كنتُ مستعداً لمواجهة العواقب منذ البدء، منذ ذلك الوقت حين ألقيت بكِ في حقيبة سيارتك. كنتُ أعلم ما أورط نفسي به لكن لم يكن لدي ما أخسره. الآن لدي، الآن لدي *أنتِ* ولن أسمح لأي أحد بأخذ ذلك مني. طالما أن هذا هو ما ترغبين به، لكن إن كنت تظنين أنكِ تستطيعين الحصول عليّ أنا ووالدك معاً بحياتك فأنتِ مخطئة. إنكِ إما معي، أو معه."
"إنك لا تتصرف بعدل، داميان."
"عدل؟ تريدين الحديث عن العدل؟ أنا دفعتك بعيداً، سكاي. مرة بعد مرة بعد مرة لكنكِ لم تتوقفي، ظللت تهدمين حصوني واحداً تلو الآخر حتى لم أعد أقدر على القتال. أنا واقع بحبكِ، سكاي. عار، أعزل، مجرّد وضعيف تماماً في حبكِ. والوضع بأكمله يقتلني لأنني أعرف أنه يمزقك، لكن ليس بيدي حيلة بشأن ما أشعر به تجاه والدك، لقد كرهته حينها وأكرهه الآن. علمي على كلماتي، سكاي، سوف أجعله يدفع الثمن."
خفق رأسي، خفق قلبي. إن الثأر بين داميان ووالدي يقف كوحش عملاق يمزق كل شيء جيد وحقيقي وثمين بيننا.. إنه يتآكلنا بعبث معتم مميت.
"تريد أن يدفع أحدهم ثمن ما حدث لـ مامالو؟ إليك." أخذت المسدس الذي كان يمسكه وصوبته نحوي. "إنه أنا، *أنا* ركضت إلى تلك الغرفة ذلك النهار. *أنا* سبب تواجد مامالو هناك. *أنا* مَن أشعلت الأمر منذ البداية، لذا أطلق الرصاص عليّ، داميان."

كان المسدس مندفعاً بصدري، يرتفع ويهبط مع كل نفس.
"لقد كنتَ محقاً منذ البداية،" قلتُ. "كان يجب أن ينتهي الأمر على ذلك القارب بالليلة التي اختطفتني بها. لذا هيا لنضع نهاية لهذا التعطش للانتقام، لمرة وحتى الأبد. اقتلني داميان. وعندما تنتهي، اقتل نفسك أيضاً، لأنني ذهبتُ لتلك الغرفة بحثاً عنك... لأنني كنت أعلم أنك تختبيء في ذلك الصندوق."
بقيت أيدينا على المسدس، عيوننا متلاقية. استطعت الإحساس بأفكار داميان، بقوة عواطفه الممزقة. أردتُ أن ألف ذراعيّ حوله، أن أجذبه بعيداً عن تلك الفوضى داخله... لكنها شبكة هو فقط مَن يقدر على حل نفسه منها.
باستمراري بهذا، بعدم فعلي شيء.. ببساطة أقول (نعم) لكل العتمة التي كانت تعذبه لسنوات، للعتمة التي ستختفي فقط عندما يترك هو الأمر.
أخفضتُ المسدس ووضعته مجدداً على الطاولة بجانب ملاحظة الزرافة الورقية التي حاول أن يطويها مجدداً.
"إنه إما هذا، أو ذاك." أشرتُ إلى واحد ثم الآخر. "يمكنك اختيار الحب أو اختيار الكره، لأنه حين يعيش واحد.. يموت الآخر."
أبقى داميان عينيه على الطاولة، ممزق تماماً بين الاتجاهين.
"غداً صباحاً، أياً كان الذي تتركه على الطاولة سيخبرني، إن كنا سنفترق في بازا ديل مار أم لا. أياً كان ما ستختاره داميان، تأكد أنني دائماً.. دائماً سأحبك."
نظر إليّ، بعينين ضرباني في الصميم. "أخبرتكِ أنني فقط سأخذلك."
أحطتُ وجهه بين يديّ. "أخبرتني أن الحب لا يموت."
تركته هناك، على أريكة الفلامنجو التي لاتزال ملطخة بدمائه، أعرف أن لا نوم هذه الليلة، لا له ولا لي. وأعرف أن الحقيقة النهائية المدوية هي أن لا شيء عادل بشأن هذه الحياة.

الجزء الثالث :: سكاي

::: الفصل الخامس والعشرون :::

فتحتُ عينيّ ومددتُ يدي بحثاً عن داميان، حلّ الصباح لكنه ليس موجوداً. اليوم هو اليوم الذي سنزور به قبر مامالو، بينما يجلس على طاولة القهوة جواب السؤال الذي تركته له. غرقتُ مجدداً تحت الأغطية، غير واثقة إن كنتُ أريد أن أعرف الإجابة.

حلّقت فراشتان صفراوتان رائعتان خلال أشعة الشمس المشوشة، أحياناً كانت تدخل الطيور وتخرج من النوافذ المفتوحة دائماً، وأحياناً تقتحم الأبراص وأنواع الحشرات الأخرى التي تجعلني أصرخ كأنما تسلل قاتل للتو.

لقد غيّرني داميان وأنا غيّرته، أصبحنا كالأصداف التي كنا نجمعها لأجل مامالو.. كل الأجزاء الصلبة بنا رفيعة للغاية لدرجة أصبحنا نرى ما خلفها ببعضنا البعض. ولا يهم ما يحدث اليوم، لا يهم ما ينتظرني على تلك الطاولة.. دائماً سنظل كأصداف النور تلك التي تعكس قوس قزح، قطعاً من الزمان والمكان مخفية عن كل شخص وكل شيء آخر.

سرتُ إلى المطبخ وصنعتُ بعض القهوة، الجو هادئ للغاية وأنا أدور حول نفسي.. أتجاهل الشيء الوحيد الذي يصرخ مطالباً انتباهي. أدرتُ مشغل الأقراص مستمعة لأغنية (رودز) لفرقة بورتيسهيد. قاتمة، هشة، كئيبة، جميلة.
أرسلت رعشة من الصقيع خلال عمودي الفقري، أو ربما كان ذلك بسبب التوجس لأنني أسير في غرفة المعيشة، تفحصت الجدران، المروحة بالسقف، بداية الأريكة التي كان يجلس عليها داميان... حتى نفذت الأعذار من عينيّ، حتى لم أعد أقدر على تجنب النظر لما تركه خلفه لأجلي.
5، 4، 3، 2، 1...
وقعت نظراتي على الطاولة، مقيدة بتعويذة البكاء إن وجدت المسدس أو وجدت الزرافة الورقية، لكن داميان حررني من الدموع القاتمة المحطمة.
هناك، تستند بأريحية على الزجاج ملحوظته المطوية واقفة على أربعة أرجل طويلة، ويقبع مسدسه على الرف كقطعة تذكار منسية بين الكتب المطوية أوراقها والتذكارات الغير متناسقة.
وضعتُ كوب القهوة وأمسكتُ بالزرافة، كانت أكبر كثيراً من المساحة التي تحتويها، أثقل مما تزن، أعرف مقدار ما اتخذه ليسجن شياطينه لكنه فعلها. لأجلي.
امتزج صوت بعيد من (ووومب-ووومب، ووومب) مع الموسيقى، فظننتُ أن المشغل يحوّل إلى الأغنية التالية لكن بدأت الضوضاء تعلو وتعلو.
كانت تأتي من خلفي تماماً الآن، قريبة للغاية مني لأدركها. طنين أصوات الهليكوبتر.
اللعنة!
ركضتُ للخارج حافية القدمين مرتدية قميصاً وحيداً، أعرف أن داميان ذهب ليجلب لي المانجو كما يفعل كل صباح. كانت واحدة من المروحيات بالفعل هبطت بينما الأخرى تهبط على الشاطيء في زوبعة من الرمال والحصى.
ينتشر رجال مسلحون في كل مكان يركضون

تجاه الغابة.
"يا آنسة؟ آنسة سيدجويك؟" جذبني واحد من الرجال للخلف. "هل أنتِ بخير؟"
حررت نفسي منه وركضت إلى حيث تناثرت ثمرات المانجو في ظلال الأشجار، ثمرات مغطاة بالدماء!
"أين هو؟" أمسكتُ بالرجل الذي كان يصيح بشيء بشأن أماني. "أهو مُصاب؟ خذني إليه!"
لكنه لم يستمع، بدأ يجذبني بعيداً إلى واحدة من طائرات الهليكوبتر.
أتت أصوات الأسلحة النارية المريضة من الغابة، *براتاتاتاتات*.
بينما تحلق فوقنا مروحية أخرى تتفحص الأرض تحتنا، يوجه صوت مهتز الأوامر إلى اللاسلكي الخاص بالرجل. الهواء ثقيل لاصطياد داميان، كل هؤلاء الرجال يلاحقونه، لكن كل ما أستطيع رؤيته هو أثر الدماء الذي يبدأ من عند ثمرات المانجو.
لقد كان عائداً إليّ عندما نصبوا له الكمين.

أغلقتُ عينيّ وعشتُ ذلك الرعب: تمزقه رصاصة، تتدحرج المانجا إلى الأرض، آثار دمائه تبقع تلك القشرة الصفراء، ينهض داميان متعثراً بحثاً بين الأشجار عن غطاء يحميه، كل ذلك وأنا أصنع لنفسي كوباً من القهوة.
كوب قهوة لعين!
أدركتُ بالضبط أين سأذهب، أعرف أين سيكون.. متكوراً في الكوخ الخشبي بينما يحاوطونه، دون أن يكون معه شيئاً يحمي نفسه به.. لأنني جعلته يتخلى عن سلاحه.
رباه، ماذا فعلت؟!
تحررتُ من الرجل وركضتُ إلى الأشجار، لا أبالي بالرصاص الذي يمرّ جانبي ويصطدم بالأشجار فتحلق شظايا الخشب واللحاء.
"أقفوا النيران! أقفوا إطلاق النيران!" صرخ شخص وأنا أعصف إلى الكوخ، أدرك أنهم لن يطلقوا طالما أنا بالداخل مع داميان، طالما أن هناك احتمال أن أصاب عن طريق الخطأ.
وقفتُ عند الباب، ألهث، بينما عيناي تبحثان

بالأنحاء عنه.
كان يستند إلى الركن، كحيوان مُحاصر، يمسك بفخذه وبنطاله مغطى بالدماء.
"اخرجي من هنا، سكاي." ربما هو مُصاب، لكن لا يزال صوته حديدياً، هادئاً ومسيطراً.
"دعني أفعل هذا." أخذت منه قطعة القماش، كانت ممزقة من قميصه.. القميص الملطخ ببقع الفراولة الباهتة.
"إنه فقط جرح سطحي." قال وأنا ألفّ قطعة القماش حول رجله، يداي تهتزان وأنا أربطها في عقدة قوية. "يجب أن تغادري. الآن."
"سكاي!" التفتنا كلانا لدى سماع صوت والدي. بدا كأنه لم ينم لأيام، لطالما كان يعتني جيداً بمظهره لكنه الآن بدا كالجحيم. لا طيّة حادة ببنطاله، قميصه مجعد وملقى بإهمال على كتفيه.
"وجدتكِ." حدّق بي كأنه لا يصدق، كأنني شبحاً سيختفي عندما يرمش بعينيه. "هل أنتِ بخير؟"

ذهبتُ إليه أعلم أنه حرّك الجنة والأرض ليجدني، لا ينام، لا يأكل، لا يرتاح. "أبي." منحني قبلاته الثلاثة ذات الشارب الرمادي، ثم ثلاث آخرين، ثم ثلاث آخرين... قبل أن يحتويني في عناقه.
"لم أكن أعرف إن كنتُ سأراكِ مجدداً."
بقينا كذلك لفترة حتى وقعت عيناه على داميان، شعرت بذراعيه تشتدان حولي. "أنت." بصق كلماته. "سوف تدفع مقابل كل ثانية جعلتها تعاني بها."
"أبي، لا." تحركتُ حتى أصبح لا يواجه داميان. "استمع إليّ، أحتاج أن أشرح...." توقفت وسط الجملة، ملاحظة الرجل الذي يقف خلف أبي لأول مرة. بدا مألوفاً للغاية.. تحيطه هالة قاتمة مهددة ذكرتني بما ينتظر بالخارج.
"سينيور سيدجويك،" قال. "رجالي مستعدون لمرافقتك أنت وسكاي إلى المروحية، لا تقلق. لن يذهب إلى أي مكان." أشار مسدسه إلى داميان. تأرجحت نظرات داميان بين الرجل وأبي ثم

الرجل مجدداً، كان على الأرض.. ورجله المُصابة ممددة أمامه لكن قبضتاه مشدودتان وفكه مطبق بإحكام.
"جيد،" قال أبي جاذباً إياي نحو الباب. "أنتَ تعرف ماذا تفعل، فيكتور."
فجأة، فهمت النظرة بعيني داميان، لماذا يبدو ذلك الرجل مألوفاً للغاية. لقد استخدم أبي فيكتور ماديرا، حارسه الشخصي السابق، ليحاول إيجادنا، وها نحن ذا، في الكوخ بعد كل تلك السنوات، اجتمع الرجلان مجدداً سوياً... الرجلان اللذان أخذا مامالو من داميان، والآن يأخذانني أنا أيضاً منه.
لقد تخلى داميان عن انتقامه، لكنني أستطيع الإحساس به الآن يعود... كموجة مد قرمزية تستعد لترتطم بما حولنا.
"لا، توقف!" حررت يدي من يد والدي ووقفت بين الرجلين وداميان. "لا أحد يلمسه."
"سكاي؟" بدا والدي محتاراً. "ماذا تفعلين؟ ابتعدي عنه."
"ابتعد،" قلتُ لـ فيكتور الذي تقدّم خطوة مصوباً سلاحه ناحية داميان.
"لا بأس." تقدّم فيكتور خطوة أخرى، شعره رمادي عند صدغيه لكنه لا يزال بهيئة جيدة. "أنتِ تعانين من أعراض اضطراب ما بعد الكرب، إنه يحدث. فقط ابتعدي عنه واستمعي لوالدك."
"سكاي، عزيزتي." مدّ أبي يده. "أنتِ آمنة الآن، لا سُلطة له عليكِ بعد الآن. تعالي، خذي يدي. أعدكِ أن كل شيء سيكون بخير."
"أنا بخير بالفعل! ألا ترى؟ أنا بخير! أنا فقط أحتاجك أن تستمع إليّ. أرجوك، فقط اسمعني."
"حسناً، حسناً، أنتِ بخير." استقرت عينا والدي على الجبيرة حول إصبعي، ثم تبادل نظرة مع فيكتور. "لنتحدث بالخارج."
"لا! هنا، الآن. أنا لن أرحل." استطعتُ رؤية العذاب بعيني والدي، عدم فهمه، لكنني أعرف أنه سيفهم حالما أخبره الحقيقة بشأن داميان، بشأن سبب ما فعله. يجب أن يتفهم!

"أتتذكر إستيب...." لم أستطع إكمال جملتي.
أطاحني فيكتور تجاهه ممسكاً إياي من خصري "خذها." قال لوالدي. "اذهب!"
كلفته تلك اللحظة التي أبعد بها عينيه عن داميان، فقد تقدّم بسرعة البرق وعرقل فيكتور من كاحله. وقع فيكتور على منضدة العمل، حيث سقطت الزردية الصدئة والمطارق والمسامير وارتطمت بالأرض.
تصارع الرجلان على الأرض، كلاهما يحاولان الوصول للمسدس الذي يرقد بعيداً بضعة إنشات فقط عن قبضتيهما.
"لا تفعل!" منعت أبي من الإمساك بالمسدس متعلقة بذراعه.
"ما خطبكِ؟ أفيقي، سكاي!"
كان داميان وفيكتور لا يزالان يتصارعان، فيكتور بالأعلى.. ثم داميان، ثم فيكتور مجدداً. ركل داميان المسدس بعيداً عن قبضته، ثم نهض فيكتور وكان يركل داميان نفسه.. يدفع حذائه السميك الثقيل إلى أضلاعه، معدته، إصابة رجله. مجدداً ومجدداً.
يعيد التاريخ نفسه، أرى داميان خارج بوابات كاسا بالوما.. مجروحاً ومتورماً بينما يركله فيكتور. أشعر بالغضب، الألم، إحساس الظلم الذي يفيض بعروقه. لكنه لم يعد ابن الثانية عشر بعد الآن، وقد تخطى فيكتور ريعان الشباب. الأهم من ذلك.. لقد قضى داميان السنوات والسنوات مليئاً بالغضب المكبوت الذي يُطالب بإطلاق سراحه.
أمسكت أصابع داميان بالمنشار الواقع على الأرض، وبكل غضبه المنفجر في حركة واحدة، ضربة واحدة عميقة للغاية لدرجة أنه عندما انتهى كانت أسنان المنشار عالقة عميقاً في عظام فيكتور.
ترنح فيكتور للخلف، مشاهداً الدماء تنزف من ذراعه كأنه في غفوة مرعبة، لقد شق داميان اللحم بالضبط تحت مرفقه بينما بقية ذراعه معلقة من المفصل.. مرتخية وميتة. تقف قدما فيكتور في بركة من دمائه، منتشرة على

حذائه القاسي، ثم سقط على ركبتيه متأرجحاً لعدة مرات قبل أن يرتطم وجهه بالأرض.
ما حدث تالياً انتهى بعدة ثوان، لكنه سار أمام عينيّ بتفاصيل واضحة بطيئة لا تطاق، كأنني عالقة في عالم مواز.. غير قادرة على إنقاذ الرجلين الذي أحبهما. كلاهما انقضا على المسدس لكن داميان مَن وصل أولاً.
"لا!" وقفتُ أحمي والدي أمامه.
"لا يزال بإمكاننا الخروج من هنا، سكاي." عرج داميان بينما يتقدّم خطوة إليّ. "نسير من هنا، أتخذكِ كرهينة.. لن يقدر أحدهم على إطلاق النيران."
"اخط خارج هذا الكوخ وستموت." قال أبي.
"توقفا." دُرت من واحد إلى الآخر. "كلاكما، فقط توقفا!"
"سكاي." مدّ داميان يده، بينما الأخرى لا تزال موجهة ناحية والدي.
"لا تستمعي إليه. تعالي إليّ، سكاي." مدّ أبي يده.
وقفتُ بينهما وشعرتُ بالكوخ كاملاً يميل كالأرجوحة، وأنا نقطة الاتزان. ثلاث قبلات على جانب، وزرافة ورقية على الآخر. حياة داميان على المحك، وحياة والدي على المحك. أحدهما سيقع، والأمر يعود إليّ.. لأقرر مَن!
"أنا أحبه، أبي." قلت.
"أنتِ تعتقدين أنكِ تحبينه، لكنه وحش. خُذي بيدي، سكاي، ودعي الرجال يعتنون بالأمر."
تغيّر وجه داميان تماماً مع تلك الكلمات.
اعتنِ بالأمر، وأخذوا ماملو منه.
اعتنَ بالأمر، وسيأخذونني أنا أيضاً منه.
لا. هَذه المرة لن يسير الأمر على طريقة وارن سيدجويك، هذه المرة داميان هو مَن سيعتني بالأمر. استطعتُ رؤية ذلك في الطريقة التي تصلب بها جسده كاملاً، بنفس الطريقة التي تصلب بها قبل أن يقطع إصبعي، نفس الطريقة عندما ظنّ أنني سأقفز من على القارب.
أصبح داميان أعمى لكل شيء عدا الألم الشديد بقلبه، الجرح الذي حاولت مداواته بالحب تمزق

وأضحى ينزّ انتقاماً، انتقام يفسد كل شيء حلو وجيد وناعم، يطمس النبتة الصغيرة التي كانت قد بدأت تتبرعم. لم يعد هناك سكاي، فقط العتمة.. الظلام والغبار وطاعون الذكريات المرّة السوداء.

ضغط داميان الزناد.

وتحركتِ بنفس اللحظة.

يمكنكَ اختيار الحب أو اختيار الكره، لأنه حين يعيش واحدٌ.. يموت الآخر.

"سكاي!" سمعتُ كلا الرجلين يناديان قبل أن تمزق الرصاصة طريقها داخلي.

توقفت الغرفة عن الدوران، كل شيء سكن. لا مزيد من القتال. لا مزيد من شدّ الحبل.

حبستُ نفساً.

الصمتُ العذب، اللذيذ.

ثم زفرته وترنحتُ للأمام، بينما تنتشر الدماء على قميصي في بقعة حمراء كبيرة.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل السادس والعشرون :::

كانت قضية بارزة للغاية، يصبح العديد مفقودين كل يوم.. لكن وريثة مختطفة تغلب الاحتمالات وتصاب أثناء مهمة إنقاذها بالتأكيد ستلقى صدداً بين الجميع. كان يمكن لداميان أن يحكي جانبه من القصة، المراسلون بالتأكيد تعطشوا لها.. لكنه صمت طوال المحاكمة، لقد فعل ما فعل ولا شيء سيغير ذلك. بل أن الأمر كان مريحاً تقريباً عندما أصدر القاضي حكمه بالإدانة.. وحصل الإعلام على نصيبه من الأحداث.

بأول يوم له بالسجن، عرف داميان أنه يمكنه السير كحَمَل وديع أو يمكنه إسقاط الثور من قرونه، مهما يكن ما يختار فهو ما سوف يحدد ملامح بقية مدة سجنه.

أبقى رأسه منخفضاً معظم أوقات اليوم، يشاهد ويتعلم، النجاة هو اسم اللعبة.. والوقت الذي قضاه في كابوراس يخدمه جيداً.

قسّم معظم السجناء أنفسهم تبعاً للولاء العنصري والعرقي، تكمن القوة في الأعداد الكبيرة..

فإن كنتَ ضمن عصابة، إذاً أنتَ محميّ.. يفكر الناس مرتين قبل أن يقفوا بوجهك، لذا تنتقي مجموعة وتلتصق بها. ميّز داميان ثلاث مجموعات مختلفة أساسية في الباحة: ذوي البشرة السوداء، المكسيكيين، وذوي البشرة البيضاء.

هناك دائماً أشخاص لا ينتمون ولذلك بعضهم انفصلوا وانتشروا في فصائل صغيرة.

هناك هؤلاء الذين يسيرون مع الله.. معظمهم مسيحيين ومسلمين.

هناك هؤلاء المتحولون جنسياً والشواذ.

وهؤلاء الذين يقفون وحيدين: المحكوم عليه بالسجن المؤبد، المجرمون المهنيون، والعجائز القساة الأقوياء. لا يهم إلى أي مجموعة ينتمون، فكلهم رجال ارتكبوا جرائماً كبيرة... القتل، السرقة، الاختطاف، خيانة البلاد.

وهناك قسم آخر منفصل وبعيد عن البقية، وهم السجناء الذين لا يمكن ضمهم مع الطبقة العامة.. قسم الاحتياجات الحساسة، حيث يتم فصل السجناء الأسوأ سمعة (أعضاء الشرطة السابقين، المشاهير، القتلة المتسلسلين)، ومرتكبي الجرائم الجنسية (المغتصبين والمتحرشين بالأطفال)، والرجال ذوي الأمراض العقلية.

لم تكن منشأة روبرت دايلي للإصلاح شرق سان دييجو مكاناً يأوى هؤلاء الذين ارتكبوا مخالفات صغيرة، بل سجن كئيب معزول مُحاط بصفوف من الأسلاك الشائكة ومجموعة كثيفة من الأزهار البرية المغبرة، يقع على بُعد صغير من مدينة تيخوانا.

وهذا هو المكان الذي أرسِل إليه داميان ليقضي عقوبته.

عندما يرنّ الجرس في الساعة الرابعة نهاراً، كان يصطف داميان مع السجناء الآخرين في وحدته بصف واحد، قاعة الطعام عبارة عن غرفة مستطيلة ذات طاولات من الستانلس ستيل، كل واحدة يجلس حولها ثمانية أشخاص. على جوانب القاعة ينتشر الحراس المسلحون يراقبون السجناء داخل مقصورات زجاجية، وهناك صف

من ستة محكومين عاملين بالمطبخ يحركون الصواني خلف حاجز زجاج مثل الموجود بالكافيتيريا.
ذلك اليوم، كانوا يقدمون الدجاج المقلي والبطاطا المهروسة، المرق، قطعة رفيعة من الخبز، والهلام -الجيلي-.
أخذ داميان صينيته، ملأ كوبه البلاستيكي بالماء البارد وانضم إلى السجناء.
رفع مونيك حاجباً رفيعاً، السجين الأسود الشاذ ذا الستة أقدام وأربعة إنشات طولا، عندما جلس داميان على المقعد الذي يقابله. للحظة، تردد داميان متسائلا إن كان مونيك هو أفضل خيار يحدد به سمعته بينهم، إن مونيك سجين مؤبد مدى الحياة وزعيم مجموعته، ملاكم سابق ذا عضلات ضخمة وقوية كجذع شجرة. إن ضباط الإصلاح يتطلبون مَن يمثل كل مجموعة لذا إن حدث مشكلة بين أفراد مجموعات مختلفة، يحجز الحراس الجميع ويأتون بالممثلين ليحلوا الوضع. وهذا يسمح للسجناء أن يضبطوا أنفسهم فيسير النظام بشكل أفضل للجميع. بالمقابل يحصل الممثلون على خدمات ومحاباة أو (إذن للعصير) من الحراس. وكما هو واضح يمتلك مونيك الكثير من هؤلاء.. من ملمع شفاهه البنفسجي إلى طلاء أظافره الأسود، إلى العقد على طراز نيو أورليانز الذي يضعه حول عنقه.
كان أضخم، أقوى، وأكثر شخصية لامعة بالغرفة. لذا حين مد داميان يده وأمسك الدجاج بصحن مونيك ومزق قطعة كبيرة... كل شيء سكن فجأة، توقف طاقم عمال المطبخ وسط عملية الغرف يتساقط المرق من ملاعقهم، خفتت المحادثات حتى صمتت. كل الأعين تركزت على مونيك وداميان.
رمش مونيك، أحقاً أخذ هذا الوافد الجديد، قطعة اللحم الجديدة بينهم، الطعام من طبقه؟ فقط الأحمق هو مَن لا يحترم سجيناً آخر بهذه الجرأة، وهذا الأحمق اختار أن يتشابك معه هو؟! احتاج داميان ردّ فعل. بسرعة. قبل أن يتدخل الحراس. أمسك كوبه ورش الماء البارد المثلج

في وجه مونيك. ترك مونيك المياه تنحدر على أنفه وذقنه، مسح وجهه دون أن يقطع تواصل عينه مع داميان. ثم كسرت أبواب الجحيم.

إن كنت ستدخل في قتال بالسجن، كن أول مَن يهجم، فكر داميان بينما يضرب مرفقه في عنق مونيك تماماً في الحنجرة. اتخذ الأمر ثانية من مونيك الضخم ليستوعب، وبحلول ذلك الوقت كانا محاطين بدائرة من السجناء يبقون الحراس بعيداً.

قفز مونيك فوق الطاولة موقعاً داميان عن كرسيه، ارتطم الاثنان بالأرض يتصارعان مع بعضهما، تلقى داميان ضربات ثقيلة بذقنه وفكه وصدره.. يشعر بكل ضربة كأنه يتلقى ضربة مطرقة، حام مونيك فوقه ضاغطاً قدمه كي يبقيه مثبتاً بالأرض.. حتى لا يتمكن من شق طريقه ليكون فوقه. أمسك عنق داميان محكماً يده على قصبته الهوائية يخنقه بقبضة من حديد، قبل أن يضرب رأسه بالأرض.

كل الهواء ترك رئتي داميان في صوت (ووش) حاد، يشعر كأن وجهه سينفجر، كأن كل الدماء تجمعت بوجهه ومونيك يضيق مفتاح الربط يفصله عن بقية جسده. كان يتفادى لكماته، لكمات أضحت تفقد قوتها بينما بدأ بصر داميان بالتشوش. تشوشت أجساد السجناء الذين يحدقون به، يلتحم ويمتزج الزي الأزرق مع الآخر. الأصوات، الفوضى، الهتافات.. كلها ابتعدت. طفا وجه سكاي أمامه، مطارداً ومجمداً، باللحظة قبل أن يسحب الزناد، عيونها مبتلية، الـ(لا) الصامتة التي رسمتها بشفتيها.

ماذا تفعل، داميان؟ سمع صوتها برأسه.

أقاتل وأقاتل بشدة.

فتح داميان عينيه وأمسك بالعقد حول عنق مونيك جاذباً إياه، وعندما أصبح وجهه قريباً كفاية.. ضرب داميان برأسه أنف مونيك ليتركه ويمسك بأنفه.. الدماء تنتشر على قميصه الأزرق، لكمه داميان في فكه وهجم ليصبح فوقه.

بوصول الحراس واختراقهم للجموع، كان وجه

مونيك متورماً وبنفسجي اللون من ملمع الشفاه الملطخ وضربات داميان.
بينما يسحبون داميان ومونيك بعيداً، افترق بحر السجناء. كلا الرجلين مترنحان على أقدامهما، ملطخين بالدماء والضربات، لكن أصبح شيء واحد واضحاً: داميان كاباليرو رجل لا يرغب أي أحد العبث معه.

****

أُلقِي داميان في العزل بسبب إثارة شجار، إن العزل هو أنقى عقاب بالسجن. كانت وحدة الحبس الانفرادي بطول تسعة أقدام واتساع سبعة أقدام، ذات جدران وسقف من المعدن الثقيل، الأرض من الكونكريت البارد. لا شيء بها عدا سرير معدني ذا حشوة رقيقة، مُلقى جانب مرحاض ومغسلة.
الشيء الوحيد الذي يتواصل به داميان مع العالم الخارجي هو فتحة توصيل الطعام. أخذوا منه زيه وأعطوه تي-شيرت رقيق وشورت قصير. بالليل يشغلون التكييف حتى لا يتمكن من النوم.
لمدة تسعين دقيقة في اليوم، كان يُسمَح له بساحة التدريب حيث يتمدد ويتمرن مستفيداً من المساحة الإضافية. أما بقية الاثنين وعشرين ساعة ونصف.. كان يقضيهما في صمت وعتمة تامة. للمرة الأولى منذ تمت إدانته يبقى داميان وحيداً، كان يفترض لِلعزل أن يكسره لكنه رحّب به. لقد فرّ طويلا دون أن يتلقى عقابه لما فعله بكل هؤلاء الرجال الذين لا تزال دماؤهم على يديه:
ألفريدو روبن زامورا، الرجل الذي حاول قتل إلشارو في الكانتينا.
إلشارو.
أعداد لا تحصى من أفراد الكارتل بـ سينالوا ولوس زيتاس، في انفجار المستودع.
لكن ما فعله بسكاي هو ما كان يثقل كاهله أكثر، لم يستطع التوقف عن التفكير بآخر مرة يراها، ورغم أن الذكرى تؤلمه كالجحيم.. إلا أنه استرجع كل تفصيل بها.

****

عندما دخل داميان إلى قاعة المحكمة، كانت سكاي هي أول شخص يراه. اتجهت عيناه تلقائياً نحوها لأن هكذا هو الأمر معهما، عندما يكونا بنفس المكان.. تطالبه بكل انتباهه.
بدت مختلفة، ليست الفتاة التي تنتمي إلى البرج العاجي وليست الفتاة التي تنتمي إلى سرير جزيرته، لم تبدُ سكاي فتاة وارن، أو سكاي فتاة داميان، أو سكاي الممزقة بين الاثنين. سكاي هذه تنتمي لنفسها، مهما يكن ما مرت به منذ الجزيرة غيّرها. شعر داميان بابتعادها، وكأنها أغلقت نفسها.. ليس فقط عنه ولكن عن كل شيء حولها. كانت تجلس بنفس الغرفة، لكن في محيطها الخاص.. تنتفس هواءها الخاص.
قامت الرصاصة بجرح كتفها ورغم أنها خرجت دون ضرر دائم، لا يزال ذراعها معلقاً في حمالة من الإصابة. لم يستطع داميان النظر إليها دون التفكير بالدماء المتخللة أصابعه بلحظة إمساكه إياها، الدماء التي أراقها هو.
قبض رجال وارن عليه بينما يحملون سكاي وفيكتور.. الذي كان فقد وعيه بسبب فقدانه الكثير من الدماء إلى الهيليكوبتر. حلق وارن معهما إلى المشفى، بينما تم أخذ داميان -مقيداً ومحروساً- إلى قسم الشرطة. أبقاه رافاييل على اطلاع بأخبار سكاي وتعافيها... لكنه لم يرها منذ اعتقاله.
لقد عادت شقراء مجدداً، شعرها الناعم القصير متدثراً خلف أذن واحدة. من زاوية رؤية داميان، أبرز شعرها شفتيها الورديتين الممتلئتين وجعله يحن لأشياء فقد الحق بها عندما سحب الزناد.
جلست سكاي بين والدها ونيك ترنر، الرجل الذي تناولت معه العشاء بالليلة التي اختطفها بها. كرهه داميان لجلوسه بقربها لهذه الدرجة، لكونه قادر على الجلوس بجانبها هكذا، كتفه يلامس كتفها. كرهه بسبب ذلك الامتياز الذي يحصل عليه أكثر من كل التهم التي رفعها ضده.. لأنه كان أيضاً المحامي الذي يحاكمه. رغم أن داميان لديه جنسية مزدوجة -مكسيكي وأمريكي- قد تمت محاكمته في

سان دييجو لأنه اختطف سكاي على أراض أمريكية. عدا أنه حتى لم يحصل على محاكمة طويلة فقد تم إدانته وانتهى الأمر.
لقد شوه فيكتور، اختطف سكاي، أبقاها أسيرة، قطع إصبعها، وأخيراً.. أطلق عليها النار.
حاول محامي داميان التفاوض بينما نيك يدفع لتطبيق أقسى عقاب.
كره نيك داميان لأخذه الفتاة التي أحبها ولأجل الأشياء التي يصدق أنه فعلها بها. رغم أن سكاي رفضت رؤيته خارج حدود الإجراءات القضائية فهو كان مقتنعاً أن ذلك بسبب الصدمة التي تعرضت لها، وأنها مع الوقت ستمنحه فرصة أخرى. لم يصدقها عندما أخبرته أنها وقعت في حب داميان، وماذا يهم إن كان داميان هو إستيبان ذلك.. الطفل الذي كانت تعرفه قبلاً؟! إنها ليست في عقلها السليم ويقع الأمر على عاتقه وعاتق وارن لوضع داميان خلف القضبان إلى الأبد. حوّلا تهمة الخطف إلى اختطاف متفاقم الخطورة بما أن داميان سبّب لسكاي الأذى جسدياً، أرادا أن يحوّلاها إلى تهمة اغتصاب أيضاً لكن سكاي أصرّت أن الممارسة الحميمية كانت بالتراضي ورفضت أن تتركهما يحولانها إلى شيء قبيح.
بالطبع لم يعرف داميان أياً من ذاك بينما يشاهد سكاي بين الرجلين، رآهم معاً كوحدة واحدة.. ثلاثي من القوى المتحدة.
أياً يكن ما ستختاره داميان، تأكد أنني دائماً.. دائماً سأحبك، كانت قد قالت له.
أراد أن يصدق ذلك، أراد أن يصدق ذلك بشدة، لكن كيف يقدر على ذلك وهو يعرف أنها تخفي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمنحه بعض التساهل بالحكم؟ حقيقة أنه تركها تذهب. لقد أطلق سراحها، تركها وهي مَن عادت تلاحقه. ذلك شيء هما فقط مَن يعلمانه. نعم، لقد قام بالاختيار الخطأ.. استسلم للظلام في حين كان يُفترض أن يقف بجانبها، لكنه يحتاج أن يعرف أنها لاتزال تهتم. سوف يقضي بقية حياته كاملة بسعادة محبوس في قفص

لأجل كل الأشياء التي فعلها، لكنه يحتاج تلك اللحظة الخافتة من الضوء.. حتى يتمكن من الذهاب وهو يعلم أن كل ذلك كان حقيقياً بالنسبة لها.

بينما وقف داميان أمام القاضي، مستعداً لتلقي عقابه، وقعت عيناه على سكاي. نظرة واحدة، فقط لمحة واحدة من تلك العيون الرمادية وسوف يتحرر.

قولي شيئاً، إنني أيأس منك.

لكنها أبقت رأسها منخفضاً. لم تنظر إليه طوال الوقت، ولم تنظر إليه حينها. تعرف أنها لو فعلت، لو رفعت نظراتها عن حجرها فلن تقدر على النظر إلى أي شيء سواه، وقد تماسكت لكل ذلك الوقت فلن تدع كل شيء يتساقط الآن. كلما أسرعت هذه القضية بالانتهاء، كلما كان ذلك أفضل لهم جميعاً.

لقد أخبرت والدها ونيك أن داميان تركها، أنها مَن عادت إليه، لكنها كانا مقتنعين أنها تعاني من انهيار نفسي ما، كانا مستعدين أن يتصلا بطبيب نفسي لينفي أي شيء قد يقع في صالح داميان ويشهد أنها تعاني من متلازمة ستوكهولم واضطراب ما بعد الكرب.

"أنا لا أفهم لماذا تدافعين عنه، سكاي!" تجول والدها بغرفة المشفى بينما تتعافى من جرح الرصاصة. "انظري لما فعله بكِ، لقد أطلق عليكِ النار، سكاي. كان سيطلق عليّ *أنا* وانتهى به الحال يصيبكِ *أنتِ*. أهذا هو نوع الرجال الذي ترغبين بتجوله حراً؟ شخص أعمى تماماً بسبب انتقامه فلا يقدر على الرؤية بوضوح؟!"

"أنتَ أيضاً كنتَ أعمى، أبي. أعمى لدرجة أنكَ لم تستطع رؤية ما فعلت لـ مامالو..."

"تريدين أن تعرفي ماذا فعلتُ لـ مامالو" عيناه تلمعان بالغضب. "لقد أنقذتها. هذا صحيح، أنا أنقذتها. كان إلشارو ورجاله سيقتلونها. السجن كان أكثر أمناً لها، بعيدة عن العين، بعيدة عن الفكر. دفعتُ لـ فيكتور ثروة ضئيلة ليتأكد أن يتم الاعتناء بـ إستيبان وأن تحصل مامالو على

كل ما تحتاجه في ڤالديموروس. لا أعرف إن كان أي هذه الأموال قد وصل إليها، أشك أن فيكتور استخدم المال ليبدأ عمله الخاص بالحراسة لكن ذلك لا صلة له الآن. بمجرد أن استقرينا بمنزلنا الجديد، كنت سأرسل لـ مامالو وإستيبان.. أحصل لهما على هويات جديدة وآتي بهما، لقد كنت أدين لها بذلك.. حياة جديدة، بداية جديدة. لكن لم ينفع ذلك، ماتت قبل أن أخرجهما من هناك. بحثت عن إستيبان لكن خاله كان قد رحل وهو اختفى ولا أثر له. لا أحد يعلم أين ذهب أو ماذا حدث له. لقد أغلقت ذلك الفصل من حياتنا بقلب مثقل، سكاي. أحرقت الرسائل التي كنت تكتبينها، كسر ذلك قلبي لكنني أردت حمايتك. كنت صغيرة للغاية، وكنت متأكداً أنك ستنسين. فكرت أنه سيكون أسهل إن افترضت أنهما تخطيا أمرك." تنهد وارن وغرق بمقعده. "إن كان هناك شيء واحد أندم عليه، عدا عدم تركي المكسيك عندما كانت والدتك حية، فهو مامالو. وإن أراد داميان ملاحقتي، حسناً. لكنني لن أتركه يفلت بفعلته هذه."

أشار إلى سرير سكاي وكل الأجهزة حولها.

أغلقت سكاي عينيها، الكثير من سوء التفاهم، الكثير من الوقت الضائع، كل رجل يقف بعناد في ركنه.

"يحتاج داميان أن يعرف ما حدث، أبي، ماذا كانت نيتك."

"إنه لم يمنحني الفرصة للتفسير، هل فعل؟ هو فقط كوّن افتراضاته. أصدر حكمه وسعى خلف تنفيذه. اختطفك، آذاك، وأذى رجلاً للأبد.. إن فيكتور لن يقدر على استخدام ذلك الذراع، الأطباء أعادوا توصيله لكن الأعصاب ممزقة تماماً. ذلك لا رجعة فيه."

"لقد كان دفاعاً عن النفس!" قالت سكاي. لقد سئمت من شدّ الحبل اللانهائي. "إن فيكتور على عقد معك، لقد عرف ما كان يتورط به وكل المخاطر التي قد يتعرض لها بوظيفته. لم يكن لدى داميان سلاحاً، كان مُصاباً. وفيكتور هو مَن

هدده بمسدسه."
"لماذا؟" بدا والدها مرهقاً. "لماذا يجب أن تصارعيني بكل منحنى؟ اتركيني أتدبّر هذا، سكاي. يوم ما ستنظرين للخلف وسترين. أنتِ لستِ نفسك الآن، أنتِ لا تعلمين...."
"يكفي!" قاطعته. "يكفي."
ذلك كان عندما انطفأت سكاي القديمة وحلت سكاي الجديدة محلها.
"أنا اكتفيت." قالت. "أنا اكتفيتُ منكَ، واكتفيتُ من داميان. لن أترك أحدكما يستخدمني ليصل للآخر."
حاول نيك إقناعها أن ترفض المفاوضة التي قدمها محامي داميان، لكنها كانت تعلم إن وصلت القضية للمحكمة.. سوف يصورون داميان كأنه وحش وسيتم نفي شهادتها. كل شيء تشاركاه سيتم تلويثه وانتهاكه. ولهذا اتفقت مع نيك ووالدها، لن يعرضاها على طبيب نفسي إن لم تجبرهما، إن أبقت فمها مغلقاً بشأن إطلاق داميان لسراحها.

ولهذا جلست هناك، في قاعة المحكمة، تحدق بحجرها رغم أن وجهها يحترق حيث تحوم نظرات داميان عليه، حبها أبداً لم يكن كافياً. لقد تخلى عن سلاح واحد.. فقط ليمسك واحداً آخر، عندما ازداد ضغط الموقف.. لم يكفِ حبها.
حكم القاضي على داميان بثمانية أعوام لأنه أبدى الندم عندما اعترف بذنبه، ووفر على المحكمة الوقت وتكاليف محاكمة طويلة. لم يبدُ على نيك ووارن السعادة لذلك لكنها مدة توقعاها وتأقلما معها. منح رافاييل إيماءة بسيطة إلى داميان وهم يقيدونه.
استدار داميان لينظر إلى سكاي لآخر مرة قبل أن يأخذونه، لا يزال جائعاً، لا يزال يائساً للمحة واحدة. ما شعر به، لا يمكنه وصفه بالكلمات.. الحزن، الفقدان، الضياع، شعوره أنه خذلها، وشعوره أنه نفسه خُذِل.
بينما أبقت سكاي عينيها على حجرها.
*****

أحب داميان امرأتين بحياته كلها، لم يتمكن من إنقاذ واحدة، وقام بأشياء مستحيلة تجاه الأخرى. وسط الظلام، عندما جلس ثقل عزله على صدره كتمثال صخري، أتت مامالو إليه. شعر بوجودها حوله. عندما أغلق عينيه، استطاع سماعها تغني. إنه طفل مجدداً يجلس في الكنيسة معها، يده تمسك بيدها بإحكام، بينما تنظر إليهم الملائكة والقديسون.

أدرك داميان أن مامالو لم تكن وحيدة، حتى في آخر أيامها في ڤالديموروس، لقد كان دائماً معها.. كما هي معه الآن. لأننا عندما نحب، نحمل ذلك الحب داخلنا ويمكننا إشعال ضوءه حتى في أكثر لحظاتنا عتمة. كلما كان حبنا أعمق، كلما لمعت أضواؤه أكثر. وحتى رغم أن مامالو رحلت منذ زمن، لا تزال هنا معه.. في أكثر لحظاته وحدة وظلمة.

إنه حقيقي، فكر.

الحب لا يموت.

لقد منحه سبباً يحتفظ به بعقلانيته، لأنه دون التركيز علي شيء ما.. يمكن للمرء أن يجنّ في الحبس الانفرادي. نزع داميان زراً من الشورت الذي يرتديه ولف حول نفسه في دائرة ثم ألقاه في الهواء. عندها ركع على يديه وركبتيه يبحث عنه في الظلام، عندما وجده أعاد العملية مجدداً ومجدداً حتى شعر بالإرهاق.

بعد فترة، استخدم لعبته ليدرك الوقت بين وجباته، والنهار والليل. أحياناً كان يجري واقفاً في بقعة واحدة، وأحياناً يتوازن على رأسه. أبقى نفسه مشغولا وبقي متناسقاً محافظاً على جسده، وعندما فتحوا له الباب ليعيدوه مجدداً لزنزانته.. فاجأ الجميع بتكيفه وصموده.

لم يخدم مونيك في العزل إلا أياماً قليلة لأنه مهم، يلعب دوراً في حفظ السلام. بأول يوم يعود به داميان إلى قاعة الطعام، ساد التوتر في المكان بأكمله، اتخذ الحراس حذرهم أكثر وتململ السجناء بعصبية بينما يأخذ داميان نفس المقعد أمام مونيك.

كان الطعام سباغيتي مع كرات اللحم، بجانب

البازلاء، والجيلي الدائم. غرز داميان شوكته في كرة لحم بطبق مونيك ووضعها في فمه، توقف مونيك عن المضغ، أنفه تعافى لكنه مقوس قليلاً الآن. كانت حدة التوتر بين الرجلين ملموسة.. ثم مدّ مونيك شوكته وملأها من البازلاء أمام داميان ثم رفعها بينهما تحوم البازلاء وسط جو من كومة زلقة من السيطرة، قبل أن يدسهم في فمه. حدقا ببعضهما، آخذين وقتهما، يمضغان طعام بعضهما. ابتلع داميان ثم حوّل انتباهه إلى صينيته، بينما تابع مونيك الأكل بصمت من خاصته، وعاد الجميع لما كانوا يفعلونه.

"وشاح لطيف،" تمتم داميان.

كان مونيك يرتدي وشاحاً مليئاً بطبعات الزهور حول رأسه ويضع زوجاً من أقراط اللؤلؤ.

"رجاءاً،" ردّ مونيك دون أن يرفع عينيه عن طبقه. "أنت لن تحصل أبداً على جزء من هذا."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل السابع والعشرون :::

"داميان، لديك زائر." وقف ضابط عند منطقة الاستلام وإطلاق السراح حيث كان داميان ومونيك يدهنان رسوماً جدارية.

"فليتمجد الرب،" رفع مونيك كفيه إلى السقف.

"خذ هذا الشيء عديم الفائدة بعيداً، لقد كان يعبث بحقل الذرة الخاص بي."

"إنها مجرد ذرة،" قال داميان وهو يضع الفرشاة جانباً. "ليست ذرة مشهورة!"

اتبع الحارس عبر الأبواب الحديدية الثقيلة ذات النوافذ الزجاجية، كل باب يصدر إنذاراً ثم يفتح برياح هواء مضغوط ويغلق خلفهما بصوت (ففوت) حاسم.

سار داميان إلى غرفة الزيارة وبحث عن رافاييل، في السنة التي قضاها هنا كان رافاييل هو زائره الوحيد. أدار داميان عمله من خلف القضبان ورافاييل سار خلف تعليماته، أحياناً كانا يجلسان في الخارج بالفناء المشترك والذي يحتوي على بعض البقع من الأعشاب الخضراء ويتناقلان ما فاتهما من أخبار عن حياتهما. لم يكن لدى

داميان مكان آخر يذهب إليه لكن منحته زيارات رافاييل لمحات من العالم الخارجي.
"أخبروني دون حمالات أو بلوزات ضيقة ولا شيء أكثر من إنشين فوق الركبة." كان دائماً رافاييل يغيظه بشأن صداقته مع مونيك.
تساءل داميان عما سيخترعه رافاييل هذه المرة لكن لم يكن هناك أثر لصديقه، نصف أماكن الجلوس الصغيرة ممتلئة بالعائلات الزائرة والأطفال.
نظر إلى الحارس الواقف يحرس المكان.
"بالخارج،" قال الحارس.
خطا داميان إلى الفناء وتجمد، إذ تجلس على واحدٍ من المقاعد الطويلة.. سكاي، أكثر جمالا، أكثر حقيقة، أكثر كل شيء مما يتذكر. كانت مولية ظهرها إليه فشعر بلذعة عذاب نقي لأن شعرها الآن يصل تقريباً لخصرها، لأن فاته شريط كامل من اللحظات... ما بدا عليه عندما وصل إلى كتفيها، عندما بدأ يحف في مقدمة صدرها، وعندما تلوى في الفراغ خلف ظهرها، الشعر الضئيل الناعم على ذراعيها باللون الفضي الأبيض عندما تقع الشمس عليه وقد أعطاها هالة من الإشراق أضاءت كل ركن مظلم مغبر في قلبه.
كان يمكنه أن يقف هناك إلى الأبد، مشلول من رؤية سكاي، لكن واحد من الحراس دفعه للأمام. وقف داميان خلفها للحظة محاولا إيجاد الكلمات، عندما استدارت للخلف شاعرة بوجوده. لقد كانت تتوقع شيئاً مختلفاً تماماً، مقصورة صغيرة، حاجز زجاج، هاتف يمكنهما التكلم من خلاله.
مسافة.
كانت تتوقع البُعد.
لقد أعادت المشهد في عقلها مرة خلف المرة، فوقهما مصابيح الفلورسنت، مساحة صغيرة كداخل خزانة، كاميرات المراقبة تراقب كل أفعالهما. كانت ستجلس، وسيأتون به. ذلك ما تخيلته.. ذلك ما أعدّت نفسها لأجله.
لكن لا يوجد زجاج بينهما، لا شيء يحجز

المشاعر التي تعبيء الجو بينهما، لا شيء يمنع التأثير الذي يمارسه داميان عليها.

"اجلس!" صاح واحد من الحراس ليكسر التفحص الحلو المرّ بينهما.

جلس دميان على المقعد الذي يقابلها، يفصلهما طاولة مستطيلة صغيرة.

"أنا..."

"أنت..."

توقفا بنفس الوقت.

"أنتِ أولا،" قال داميان، مفكراً بمرة أخرى حين قاطعا بعضهما البعض والقبلات المجنونة التي تلت ذلك في الرواق المظلم.

"أخبروني أنني على لائحة المقبولين عندما طلبت زيارتك." قالت سكاي.

"لم أظن أنك ستأتين."

توقفا عن الكلام لأنهما كانا مشغولين للغاية بالنظر لبعضهما، أعدّت سكاي نفسها للأسوأ لكنه كان دائماً ناجياً محارباً. لقد نجا من الشارو وكابوراس والآن ينجو من السجن.. بل حتى صدره أصبح أعرض وقميصه يبرز عضلاتٍ أصبحت أقوى وأكبر، لكن وجهه أكثر نحولا وعينيه مختلفتين. تحولتا مجدداً، لا زالتا سوداوتين، نعم، لكن مع عتمة الفقدان، مليئة باحتمالات عانقها ثم تحولت إلى رماد.

"كيف..." ابتلعت محاولة التماسك تحت حدة تركيز نظراته. "كيف حالك؟"

"تبدين جيدة،" قال كأنه لم يسمعها، وكأنما رؤيته لها تفوق كل حواسه. تبدين جيدة جداً جداً.

لم يكن يتحدث عن حقيقة أنها امتلأت قليلاً أو أن صدرها بارز تحت البلوزة ذات الأكمام أو أن خديها أكثر استدارة من آخر مرة رآها بالمحكمة. بل قصد أنها تبدو جيدة بالنسبة له، لا يهم أين، لا يهم متى.

"كيف حال كتفك؟"

"جيد." *ليس كتفي ما يؤلمني، إنه قلبي.*

"كيف حال رجلك؟"

لا يمنح داميان أدنى اهتمام لجرحه القديم

بفخذه، إنه ذكرى لأيامهما الأخيرة على الجزيرة حين أحاطه رجال فيكتور بالكوخ. مال على الطاولة أقرب ما يستطيع إليها حيث يعلم إلى أي مدى سيسمح له الحارس. "ما الخطب، سكاي؟ أهناك ما لا تخبريني به؟"

بدت مجفلة، رغم أنه لا يفهم السبب. لقد كانا دائماً قادرين على قراءة بعضهما البعض.

"لماذا فعلتها؟" سألته. "بعد كل شيء مررنا به، كان لا يزال يجب عليك السعي خلف شركة والدي؟"

تنهد داميان، إنه لا يرغب بالحديث عن كل الأشياء التي مزقتهما بعيداً عن بعض، ليس وهو يراها الآن بعد كل هذه المدة.. لكنه أخبرها ما تريد معرفته. "لأنه حتى بعدما أبعدني، لم يكن قد انتهى. والدك أرسل شخصاً هنا ليهددني أن أبقى بعيداً عنك، قال أنه إن حاولتُ الاتصال بك.. لن يكون عليّ القلق بشأن قضاء عقوبتي لأنه سيتم وضعي في صندوق قبل ذلك بكثير."

"متى؟ متى فعل ذلك؟"

"بعد بضعة أشهر من دخولي هنا." استطاع داميان الإحساس بقطع الأحجية تتحرك داخل رأسها، تمنى لو أنه يقدر على الدخول هناك وترتيب كل قطعة حتى لا يضيعا هذا الوقت، هذا الوقت الثمين يناقشان وارن سيدجويك اللعين.

"لذا بعتَ أسهمك في فنادق سيدجويك ببخس الثمن وأسقطتَ أسهمه في البورصة، لابد أنك فقدت الكثير من الأموال. لِمَ تطلق الرصاص على نفسك بالرجل؟ لماذا لا تستولي على القيادة فحسب؟"

"أنا لا أتفاعل جيداً مع التهديدات، سكاي. وتلك الشركة كانت مبنية على أموال قذرة، أموال الكارتل. كنتُ لأدفع أي شيء كي أرى النظرة على وجه وارن عندما كل شيء سقط أمام عينيه."

"حسناً، ذلك لن يحدث الآن. لقد رحل، داميان. والدي توفي منذ عدة أيام، وقد حصلت على انتقامك. اتخذ كل شيء وقتاً كي يسقط، له

كي يخسر كل شيء، قطعة خلف القطعة. كان الضغط كبيراً للغاية عليه، حبس الرهن ومحصلو الديون. كل مكان انقلب، حدثت له جلطة العام الماضي ثم واحدة أخرى منذ عدة أشهر، ولم ينجُ من الثالثة. لذا هنيئاً لكَ، لقد فعلتها أخيراً.. انتقمتَ لـ مامالو."

"جيد." استرخى داميان للخلف وكتف ذراعيه، كان يجب أن يشعر ببعض النصر، بحسّ صغير بالعدالة، لكن ذلك لم يفعل شيئاً ليملأ الثقب الذي دون سكاي داخله والذي يلتهم قطعاً من روحه. "لا يمكنني القول أنه لم يستحق ذلك."

"لا تفعل، داميان. لقد حان وقت التخلي عن الأمر، كان والدي ينوي أن يخرجكَ أنتَ ومامالو من هناك.. كان سيجلب لكما حياة جديدة وهويات جديدة، أتى بحثاً عنك بعدما توفت مامالو لكنه لم يجد لكَ أثراً. لم يستطع إلغاء ما فعله، لكنه أبداً لم يقصد الأذية لـ مامالو أو لكَ."

تخثر ثقل بطيء مريض في عروق داميان، بينما يتبدد انفجار السعادة الذي كان شعر به لدى رؤية سكاي كالأثير البارد. إنها ليست هنا لأجله، إنها هنا لأجل والدها.

"إذاً هذه هي؟!" سأل. "لهذا أتيتِ؟ بعد عام كامل؟ كي توبخيني لأجل شيء هو بدأه؟ أنا ابتعدت، سكاي. لأجلكِ. لكنه لم يستطع ترك الأمر، أليس كذلكِ؟ فقط كان يجب عليه محاولة إظهار قوته أمامي كي أحتفظ ببُعدي عنكِ، وكأنني قد أقدر على حمل نفسي على الاتصال بكِ. أنتِ تستحقين الأفضل. أنا عرفت ذلك وهو عرف ذلك، لكن كان يجب عليه إثبات أنه يمسك بكل الأوراق بيده."

"ليس ذلك سبب ما فعل!"

"إذاً لماذا، سكاي؟ لماذا؟ أنا فقدتُ مامالو، أنا فقدتكِ، وفقدت ثمانية أعوام من حياتي. لماذا بحق الجحيم لم يستطع تركي وحيداً فقط؟!"

"بسببي!"

"بسبب ماذا؟" صفع داميان راحة كفه على الطاولة. "كرهت ذلك الوغد اللعين وسعيد أنه

رحل. ماذا توقعت، سكاي؟ هل توقعتِ اعتذاراً؟ تريدين مني أن أقول أنني آسف؟"

"توقف، داميان." استطاعت سكاي رؤية الحارس يتوجه نحوهما. "لقد ظننتُ أن الأمر سيكون مختلفاً، ظننتكَ أنتَ ستكون مختلفاً.. لكنكَ لا تزال ممتلئاً بكل هذا الغضب."

"وأنتِ لا تزالين تدافعين عنه." نهض داميان وترك الحارس يقيده، انفجاره سيكلفه.. يتمنى أن سكاي أبداً لم تأتِ، يتمنى لو أنه لم يعرفها أبداً هي أو وارن سيدجويك. يتمنى لو أنه يستطيع إيقاف الألم الذي يدبّ خلاله.

"أعتقد أن الدماء دائماً ستكون أثقل من المياه." تغيّر وجه سكاي عند كلماته المودعة، بدت الاثنين.. مكسورة القلب وغاضبة. آخر شيء رآه داميان وهم يسحبونه بعيداً كان ظهرها وكتفاها المنحيان على الطاولة.

كانت تلك المرة الوحيدة التي أتت بها سكاي لرؤيته بالسجن. ولم يرها مجدداً لبقية مدة عقوبته، ولا مرة خلال السنوات السبعة التالية.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل الثامن والعشرون :::

وقف داميان عند مدخل كاسا بالوما، أمام البوابة الحديدية الضخمة التي وقفت عائقاً بطريقه يوماً. أول شيء فعله بعد خروجه من السجن كان تقديمه لعرض شرائها، والآن ها هو يقف كالسيد، حيث كانت والدته الخادمة. المشترون القلة المحتملون ذوي الوسائل لتكلفة المكان رفضوا مهمة ترميمه الشاقة. لذا تركته سنوات الإهمال في فوضى. جدران مغطاة بالكروم والنباتات وشرفات تحجب ملامح كاسا بالوما الأنيقة، أشجار كثيفة أكثر من اللائق تبرز كظلال داكنة حول الحواف، تحوّلت الحديقة إلى فوضى مستهجنة من أعشاب ضارة جافة، حقائب قمامة، وزجاجات جعة فارغة. أزاح داميان السلاسل ودفع البوابة لتفتح فصرخت من مفاصلها الصدئة، وقف المنزل الرئيسي أمامه. نوافذه المغلقة تحدق به بعيون فارغة باهتة. سار داميان جانبه، متجاهلا اضطراب حشرات الجندب الصاخبة بطريقه، إلى ذلك المبنى المتواضع في الخلف الذي كان يحوى يوماً

الخدم. كان صفاً واحداً من الغرف الملاصقة على شكل مهجع ومعه حمام عام ومطبخ، وقف خارج الباب الثالث.. يملأه الحنين وعقدة غريبة في حلقه.

لاتزال مكنسة مامالو تستند على الحائط، محنطة في طبقات من الغبار وشباك العنكبوت. جرّ داميان قدميه عند المدخل.

"إنه أنا، مامالو." قال محاولا إخراج الكلمات من حلقه المطبق بإحكام. "إن إستيباندييدو خاصتك بالمنزل."

ظل الباب مغلقاً، لا يوجد أحد يسمح له بالدخول، لا أحد يحدق به مثبتاً إياه لأنه كان صبياً سيئاً.

أمال داميان جبهته على الباب وتتبع الإطار، وقعت بعض شظايا الدهان المتقشر على حذائه بينما ترك يده ترتاح على المقبض لدقيقة قبل أن يدخل. بدت الغرفة أصغر بكثير مما يتذكر، شعاع وحيد من الشمس يضيء المكان المظلم برائحته العتيقة، لم يعد هناك أثراً لرائحة زيت الشعر بالياسمين الذي كانت مامالو تستعمله، يرقد على الأرض القماش الذي كان يفصل الغرفة بين سريريهما.. من تلك الليلة التي أخذوا بها مامالو.

لا طبق (توستاداس) ينتظره بالمطبخ، لا كأس من الـ(هورتشاتا)، لكن ما كسر داميان هذا الصباح الهادىء هو سريرها. أبداً لم يكن يوماً سرير مامالو غير مرتب، لكن الآن ها هو هناك.. الأغطية مبعثرة، الوسادة غير مستوية ومغطاة بالغبار. لقد سحبوها منه وبقي خلفها.. فارغاً ومنسياً، غير مرتب على مدار الثلاثة وعشرين عاماً الماضيين.

تحرك داميان على الفور، أمسك الملاءة والأغطية للخارج وهزها حتى انتزع الغبار منها، انهال على الوسادة ليخلع عنها غطاءها ويقلبه ثم يهزه هو الآخر، رتب السرير ومدّ الملاءة على الحاشية بشدة فلم يعد هناك تجعيدة واحدة بالسطح، قلب الغطاء ودسّ نهايته كذلك بالحاشية ثم أعاد وسادة مامالو، ووقف مغيّراً

وضعها.. ثم عاد للخلف مجدداً، لاحظ بقعة غبار على الغطاء، ولأنه مصمماً ألا يحظى بشيء عدا سرير مامالو، بدأ العملية مجدداً.
كان لا يزال يدور حول الملاءات والأغطية عندما انفجر إحساس كان مكتوماً في حلقه، لم يبك داميان لأجل مامالو، لا في ڤالديموروس عندما أخبروه أنها ماتت، لا وهو يضع الأزهار على قبرها كل عام، ولا عندما فتح علبة الـ(لاكي سترايك) الخاصة بها.
كان حزنه مغطى بغضبه، لكن الآن الغضب انتهى. لقد انتقم لها، جعل إلشارو يدفع الثمن، جعل وارن سيدجويك يدفع الثمن. لقد رحلا، ومعهما حاجته الحارقة للثأر. لم يعد لديه ما يتمسك به، لا شيء يبقي عاصفة الدموع بعيداً. كل المشاعر العميقة القاتمة التي كانت تعذبه ترقد فارغة ككومة هياكل عظمية تحولت إلى بودرة مطحونة.
الكراهية وهم، الغضب وهم، الانتقام وهم، كلها أوهام فارغة كان يسقيها بالماء ويغذيها، وبالنهاية.. لم تطرح ثماراً.
زحف داميان إلى سرير مامالو وتكور منكمشاً، كان صبياً عندما رحل وعاد رجلاً. كان وحيداً حينها ووحيد الآن. الفرق الوحيد، الفرق الوحيد القاسي المرّ أنه خسر فرصته الوحيدة في التداوي. لقد كان مشغولاً للغاية في تمسكه بالكراهية، فتخلى عن الحب.
فكر داميان بآخر مرة رأى بها سكاي.
أنتَ لا تزال ممتلئاً بكل هذا الغضب، قالت له.
وأخيراً فهم ما كانت تحاول قوله.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل التاسع والعشرون :::

كانت مهمة ترميم كاسا بالوما هائلة، لكن داميان بحوزته الوقت والمصادر، لثمانية أعوام أدار شركته من السجن.. توجيهاته ضرورية لكن وجوده اختياري، لقد حقق ما كان مُعدّاً لفعله لكنه لم يجلب له أية راحة. وجد السلوان في دهن وتصليح المنزل الرئيسي، أزاح النباتات عن واجهة المبنى، نظف المضخات فعادت االنافورة للعمل، واستخدم فريقاً من المزارعين والمنسقين لاستعادة الحديقة والأراضي، قام بتبديل السقف ببلاط التراكوتا ومنح الجدران طبقة جديدة من الدهان الأبيض.

ببطء، بدأ يعود المنزل للحياة مجدداً. ازدهرت الزهور في الحديقة، عادت الفراشات والطيور الطنانة. كان المكان يُنهَب على مدار السنوات لكن لا يزال العديد من قطع الأثاث القديم موجودة، ومعها الثريا. كانت والدة سكاي، أدريانا، تهوى الدراما قليلاً. لم يكن داميان واثقاً إن كان يرغب بإبقاء الستائر المخملية في غرفة الطعام. جلس على الطاولة حيث اجتمع وارن مع

الشارو ورجاله مرة ونظر إلى القماش القرمزي السميك، كانت تضيف لمسة من ترف العالم القديم لكنها كذلك تحجب الكثير من الضوء.

قاطع أفكاره صوت ضربة ناعمة، كان فريق التجديد قد ذهب.. لكن المنازل القديمة تصدر كل أنواع الأصوات، تجاهل داميان الأمر ووقف ليتفحص الستائر.

ها هو ذا مجدداً، ذات الصوت مجدداً. استدار داميان، كان الصوت يأتي من الصندوق عتيق الطراز الذي كان يختبيء به، نفس الصندوق الذي رأى منه سكاي وامالو وهما يقاطعان اجتماع وارن، وقف داميان أمامه وسمع الصوت مجدداً.. أياً ما كان بالداخل، إن كان طائراً أو قطاً ضائعاً، فقد رآه، وربما يكون شيئاً ليس أليفاً للغاية كثعبان. ركع داميان على أطرافه الأربعة وفتح الباب ببطء.

كانت شيئاً صغيراً ذات بشرة بنية وضفيرة طويلة فوضوية، ركبتاها مطويتان إلى ذقنها وتحدق إليه من خلال عيون الكاكاو الواسعة خاصتها، ترتدي قميصاً أبيض اللون ذا شعار مدرسة وتنورة كحلية اللون، جواربها غير مستوية.. واحد مرفوع حتى ركبتها والآخر عند كاحلها.

"لا بأس." قال داميان بينما تنظر إليه بحذر.

"لا حاجة للاختباء." مدّ يده لكنها رفضت الإمساك بها.

آخر ما توقعه هو أن يجد فتاة صغيرة تختبيء هناك، ربما والدها واحد من العاملين الذين استخدمهم وأتت هنا بحثاً عنه، ربما سارت جانب المكان في طريقها من المدرسة والفضول دفعها لدخول كاسا بالوما... أعوام من السير بجانب منزل مهجور فجأة يمتليء بكل هذا النشاط، لقد كان الفريق يدخل ويخرج في شاحنات كبيرة، يحفر، يضرب، يطرق. تصطف عند البوابة العربات اليدوية المليئة بالبلاط المكسر والأرضية القديمة، لكن تتخطى الأزهار الأسوار وما كان يوماً فارغاً لا حياة فيه أضحى الآن خصباً

وأخضر اللون.
تفاجأ داميان ألا أحد آخر قد جازف بالدخول.
هذه الفتاة الصغيرة هي زائرته الأولى، وكما هو واضح خائفة أن يتم القبض عليها.
"أنا لن أؤذيك." جلس على كعبيه وانتظر بينما تقيّمه، لابد أنه تخطى مرحلة التهديد في تفحصها له لأنها زحفت خارجة من الصندوق ووقفت أمامه تعبث بتنورتها متململة.
يتذكر داميان جيداً إحساس معرفة أنكَ واقع بمشكلة لكن عدم معرفة ما سوف تتعامل معه، بطرق كثيرة.. كان ذلك أسوأ من العقاب نفسه.
"ما اسمك؟" سأل.
حدقت به للحظة قبل أن تسقط نظراتها إلى حذائها، كان بالياً ومخدوشاً قليلا وكأنه تم استخدامه جيداً.
"هل تعيشين بالجوار؟" مال قريباً محاولاً التقاط نظراتها.
"ابتعد عني!" طوّحت ساقها وضربته بقوة بالضبط بين رجليه.
سادت لحظة من اتصال عيون حاد بينهما.
يا صاح، كيف يمكنك؟ نظر داميان إلى الفتاة في غير تصديق قبل أن ينكمش على الأرض، يداه تحيطان منطقة ما بين رجليه في وضعية الحماية.
أوهرباهلافوجواتوف. تلك الضربة اللعينة تؤلم بشدة!!!
وقع محاولاً التقاط أنفاسه، ينتشر الألم مشعلاً جسده بحريق كالجحيم ليستقر في كليتيه، يشعر بكل عضلة من ركبتيه حتى صدره تتشنج مرة واحدة. بدأ رأسه يدور، شعر بالغثيان بشدة وعنف لكنه كبح رغبته بالتقيؤ لأن أقل حركة تضخم الألم. بعد بضعة أنفاس حادة مؤلمة، تحول الألم ليصبح نبضاً ينتشر مع كل خفقة قلب.
فتح داميان عينيه، كانت الفتاة اختفت.
منطقته مدمرة، كان واثقاً من ذلك. رقد على الأرض قبل أن يأخذ بالاعتبار بقية جسده.

الساقان؟ نعم، لا زلنا هنا.
الذراعان؟ موجودان. وفعالان.
الجذع؟ كل النظام يعمل.
العضو المتضرر؟
أجبني؟ حيّ يا كابتن، لستُ سعيداً لكنني حيّ.
أخذ داميان نفساً عميقاً وحدّق بالفراغ في الصندوق، لقد نجا من ثمانية أعوام في السجن لكن ركلة واحدة من فتاة صغيرة ترسله إلى نوبة تشنج وكارثة متعلقة بوجوده ذاته. بقي منكمشاً كطفل وبدأ يضحك. لأول مرة منذ سكاي والجزيرة، لأول مرة يضحك داميان طويلاً بشدة هكذا.. يمسك بخصيتيه بينما يعترضان بوخزات من السخط.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل الثلاثون :::

كانت هي غرفة واحدة التي بقيت غير ملموسة في كاسا بالوما، تجاهلها داميان بقدر ما يستطيع ورغم أن باب غرفة سكاي ظل مغلقاً.. إلا أنه كان يناديه كل مرة يمرّ بجانبه. عندما دخلها داميان أخيراً، أيقظ معها أشباح الطفولة الذين ضحكوا وغنوا وقفزوا فوق السرير، بعثروا حيوانات ورقية في طريقه وملأوا رأسه بهمسات من ذكريات بعيدة. أضحى داميان عاجزاً أمامها الآن، لا حاجز يدفعهم بعيداً عنه، لا سلاسل غضب أو كراهية تقيدهم. سمعهم، رآهم، وشعر بهم جميعاً.

هنا، حيث تقيأت سكاي آيس كريم زبدة الفول السوداني بالشوكولاتة، حسناً.. هنا حيث وقع ما لم يقع على قدميه.

هنا، شاهدها تتفحص انعكاسها وتطلب منه أن يصنع لها سناً روقياً.

هنا، أمسكا أيديهم في دائرة -هو ومامالو وسكاي- قبل أن تتلو سكاي صلاتها قبل النوم.

مسح داميان الغرفة وأزال شباك العنكبوت،

لتصبح الذكريات أكثر حدة، أكثر وضوحاً، أكثر ألماً.. لكن بنفس الوقت أكثر حلاوة، كشظايا من الحلوى التي تذوب في جيوب من نكهات الحنين.. فيتم تجربتها وتذوقها والتهامها، مجدداً ومجدداً.

حمل داميان أغطية السرير المغبرة وعلقها من النافذة، تنتشر أشعة الشمس لتنير الجدران والأركان ورفوف الكتب. كبرت الشجرة خارج نافذة سكاي كثيراً، الأفرع التي كان يستخدمها للوصول أصبحت الآن تلامس السقف، أمال داميان رأسه للخلف متتبعاً إياها فرأى زوجاً من السيقان البنية تتدلى خلال الأوراق، كانت تلك الفتاة ذات الضربات الخارقة وحذائها البالي ذا الضربات الخارقة. كانت تستند على جذع الشجرة تقرأ كتاباً غير واعية أنها مراقبة.

اتجهت يدا داميان تلقائياً بين ساقيه بغريزة حماية.

ماذا بحق الجحيم تفعل هنا مجدداً؟

عاد للداخل مجدداً وفكر بإغلاق النافذة تماماً بألواح الخشب كما كانت قبلاً، لا تزال ضربتها تؤلمه لكن يجب عليه الاعتراف.. هي ليست من النوع الذي يرغب أحدهم بالصراع معه. ضحك وبدأ يغوص بين الكتب التي كانت مامالو تقرأها له ولسكاي سابقاً، أفضل القصص لم تكن موجودة هنا.. كانت هي مَن تؤلفها، تعلقوا بالهواء حوله الآن. أخذ داميان نفساً عميقاً، يرغب بتنشقهم، أن يملأ رئتيه بصوت مامالو وكلماتها.

مدد ذراعيه يديرهما ثلاثمائة وستين درجة، مستوعباً إياهم جميعاً... وتوقف فجأة.

زوج من العيون الداكنة كان يراقبه.

تجلس الفتاة على واحد من فروع الشجرة المنخفضين الآن، متساوية مع النافذة، ترتدي الزي المدرسي مجدداً.. تدس كتابها في حزام تنورتها وتبدو كأنما على وشك الانطلاق أسفل الشجرة عندما رأته.

لم تكن أفضل لحظات داميان، صدره منتفخ بنفسه، يدور حول نفسه في غرفة مغبرة كأنه

راقصة باليه مستقبلية. أخفض يديه وقابل نظرات الفتاة، ربما لو منحها النظرة القديمة الضيقة -الخاصة بكلينت إيستوود- ، سوف تتابع هبوطها.
لم تفعل. ضيقت عينيها بالمقابل، معتدة بنفسها بسبب معرفتها أن الفرع لن يتحمل وزنه لذا لا يقدر على الوصول إليها حتى لو حاول.
بعد بضعة ثوان مضت في التحديق، شعر داميان بجانبي فمه يرتفعان، تدبّر تحويلها إلى زمجرة واستدار يشغل نفسه بمهمة تنظيف الغرفة، بينما يُبقي الفتاة تحت مراقبته.. إنه لن يحني دفاعاته في حالة قررت أن تتحول إلى نينجا مجدداً وتهجم عليه.
كان على وشك الانتهاء عندما وجد كومة من الأوراق الملونة، النوع الذي كان يستعمله لصناعة الأوريجامي. كانت سكاي جلبتهم له، لذا هاجمته على الفور ذكرى البهجة في وجهها حينما يصنع لها أي شيء.
بدا وكأن الأمر من زمان آخر، لكن تاقت أصابعه بشدة لملمس ذلك الورق. أمسك بورقة خضراء، مصفرة الآن وباهتة، لكن لا تزال أكثر شيئاً لامعاً بالغرفة، وطواها إلى بجعة. كانت آخر قصة يتذكر مامالو تحكيها له ولسكاي، قبل أن تتغيّر حيواتهم جميعاً. شعر داميان كأنه يستمر من حيث توقف، عدا أن مامالو لم تعد موجودة، وسكاي لم تعد موجودة. لا أحد موجود، عدا الفتاة الصغيرة التي كانت تراقبه كأنه يوفر لها التسلية أكثر من الكتاب الذي تدعي الآن أنها تقرأه.
عرض عليها داميان البجعة لكنها تجاهلته مبقية عينيها على الكتاب. لذا وضعها على النافذة وأمسك بحقيبتين ممتلئتين بالقمامة وذهب للأسفل ليرميهما.
عندما عاد، كانت الفتاة اختفت. وكذلك البجعة الورقية.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية

الجزء الرابع :: داميان

::: الفصل الحادي والثلاثون :::

كان داميان يدهن المطبخ عندما لمح الفتاة مجدداً، يبدو أنها تمرّ بالمكان بنفس الوقت كل يوم بعد المدرسة، كانت تركع بجانب البركة تطعم سمكة تم تقديمها حديثاً للمياه، نصف برتقالة مقشرة بحجرها بينما تعض كل فصّ بأسنانها وتقلبه من الداخل للخارج، تمسك ببعض النسيج داخله وتلقيه للسمكة بينما تأكل الباقي.

بالنسبة لداميان، كانت تلك واحدة من الصور المثالية عن الطفولة، الطريقة التي يتلخص بها العالم في برتقالة وبركة سمك مُحاطة بأشعة الشمس والعشب. كانت منغمسة تماماً في تلك اللحظة، مجردّة من الماضي والمستقبل.. فقط حاضرة لأجل المتعة الصافية الخاصة بالـ(هنا) و(الآن)... الأشياء التي يمكن إمساكها وعيشها واختبارها، درسٌ يحتاج داميان أن يتعلمه. لقد ترك الماضي يظلل حياته، لا يعرف ما الذي يحمله المستقبل.. لكن لديه (الآن) فقط.. والآن هو يوم جميل بلا غيوم، تخيّل داميان

المحيط أمامه.. هادئ ولا نهائي، رغم أن قاربه راسياً بالقرب.. إلا أنه لم يتواجد وسط المياه منذ السجن، انشغل بترميم كاسا بالوما ولم يجد الوقت للاستمتاع بحريته، والأكثر أهمية.. لم يشعر بها.

لكن الآن وهو يشاهد الفتاة الصغيرة تنهي برتقالتها وتغسل يديها في البركة قبل الرحيل، تاق داميان للرياح والمياه مجدداً.

وضع علبة الدهان، أغلق المنزل وقضى النهار كاملاً يعيد التواصل مع أصدقائه القدامى: قاربه، سماء زرقاء للغاية، ومحيط لامع.

*****

صنع داميان بجعات ورقية أكثر لأجل الفتاة الصغيرة، كان يتركهم حيث يعلم أنها ستجدهم، ملصقين بالبوابة، يجلسون على الشرفة، معلقين بخيط من الشجرة أمام نافذة سكاي. وهي أبداً لم تتكلم معه، لكنها كانت دائماً تأخذ البجعات ودائماً ترحل قبل أن يحل الظلام.

توقف داميان عند سوق خارجي من الأسواق التي انتشرت بين كاسا بالوما وبازا ديل مار، أخذ بعض الفاكهة الطازجة والخضروات واللحم، كان قد أوشك على الانتهاء عندما لمح بعض علب التونة على الرف.

صنعت لك شيئاً، قالت سكاي حينها.

اتضح أن السيفيتشي الذي صنعته هو أكثر شيء سيء تذوقه يوماً، لكن تلك الكلمات أطاحت بعالمه المحصن أدراج الرياح، لم يحبه أحد أو يقاتل لأجله أو جعله يشعر كما فعلت سكاي.

كما ما تزال تفعل.

بمعظم الأيام، كان يبقي نفسه مشغولاً كفاية كي يبعد أفكاره عن سكاي، لكن الليالي مختلفة. بالليل، لا يمتلك أية دفاع. يرقد بالسرير بجوع واسع للغاية وقوي للغاية حتى يشعر به يلتهمه. لا شيء، ولا حتى صندوق الـ(لاكي سترايك) تحت وسادته، يمكنه إبقاءه بعيداً عن السقوط في ذلك الثقب بمركز قلبه والذي يمتص روحه.

بينما يعود للمنزل من السوق، تساءل داميان أين سكاي. إن كانت وجدت شخصاً يستحقها أكثر منه، شخص يجلب لها السعادة أكثر من الألم. لقد أبقى نفسه بعيداً عن أي معلومة عنها متعمداً، لو أنه يعرف أين تعيش، أين تعمل، أين تتسوق، لن يستطيع وقف نفسه من البحث عنها وهو غير واثق مما سيفعل إن رآها مجدداً، حتى إن كان بالشارع من بعيد. العيش دونها عذاب لكن فكرة أنها ترى أحدهم، لا يهم كم هي سعيدة وراضية.. يبقى ألم تلك الفكرة لا يحتمل.

وضع داميان أربع حقائب في المطبخ وذهب للسيارة ليجمع الباقي، وبينما يصل إلى الباب الرئيسي سارت الفتاة الصغيرة متخطية إياه وهي تسحب بقية الحقائب خلفها.

"ألا يمكنك صنع أي شيء آخر؟" أجلست نفسها على واحد من الكراسي ووضعت البجعة الورقية على المنضدة.

"لا تحبين البجعة؟" كان ترك تلك البجعة مثبتة تحت صخرة عند البركة وعنقها مستقيم منذ أيام قليلة.

"لماذا لا تصنع غيرها؟"

"لأن أمي أخبرتني عن بجعة سحرية تختبيء في الأراضي هنا، لم أجد واحدة لكنكِ تذكريني بها."

"أنا؟"

"أجل، أنتِ تضحكيني. وتلك قوة سحرية كبيرة، وأظن أنكِ ستنضجين لتصبحي بجعة جميلة."

"أتقول أنني بطة قبيحة؟" قفزت عن الكرسي وواجهته.

"لا، أنا فقط..." اندفعت يد داميان مجدداً تحميه بينما يقفز للخلف بغريزة الحماية. لم يحب الطريقة التي أجبرته بها الفتاة على القفز والابتعاد كأنه أرنب. "أتعلمين ماذا أنتِ؟ أنتِ متنمرة كبيرة. تركليني، تتجسين عليّ، تدخلين وتخرجين من هنا دون إذني، والآن تحاولين إرهابي."

حدقا ببعضهما، يداها على خصرها وهو يحمي

نفسه.
"ماذا تعني كلمة (إرهاب)؟"
"أن تخيفي، ترعبي، أو تتنمرين على أحدهم."
رق عبوسها، بدت الفكرة تعجبها.
"أنت مضحك،" قالت، وجهها يفضح ابتسامة.
"وأنت لديك غمازات." قال محاولا ادعاء الازدراء.
وقفت بهدوء وراقبته يرتب الأشياء.
"يبدو هذا المكان جميلا الآن،" قالت. "كان يبدو دائماً حزيناً."
"يعجبك؟"
"إنه لطيف." نظرت إليه للحظة. "ما اسمك؟"
"لا أسماء لـ باندیدوس -أي لصوص-."
"أنت لست باندیدو." قهقهت. "إن الـ باندیدوس يصنعون الفوضى، أنت تجعلها لطيفة."
"شكراً لك، ومرحب بك المجيء بأي وقت، طالما أن والديك يوافقان."
"أستطيع الاعتناء بنفسي."
"ربما هذا صحيح، لكنني واثق أن والدتك ستحب أن تعرف أين أنت. أهي بالمنزل تنتظرك؟"
"ماما في ڤالديموروس."
شعر داميان بإحساس الغرق داخل معدته، الكلمة نفسها تستحضر ذكريات مغطاة بالخرسانة واللون الرمادي. أراد أن يسألها عن والدها، لكن بنشأته دون واحد.. يميل إلى أن يكون أكثر حساسية بهذه الأمور.
"لديك عائلة أخرى؟" هزت كتفيها.
"مَن يعتني بك؟" سأل داميان.
"ماما، بالطبع." بدت متفاجئة بالسؤال.
يعرف داميان أنه مسموح للأطفال بالعيش في ڤالديموروس مع أمهاتهم حتى سن معين، لكنه لم يدرك أنهم يرسلونهم إلى المدرسة.
"متى تخرج والدتك؟"
"قريباً."
بدت كأنما تستوعب كل شيء بخطوة، لكن ذلك يفسر لماذا تمرّ على كاسا بالوما، إنه راحة قليلة قبل العودة مجدداً إلى كآبة ڤالديموروس.

"يجب أن أذهب الآن،" قالت وهي تأخذ البجعة من على المنضدة وتدسها في جيبها.
شاهدها داميان تحمل حقيبة المدرسة الخضراء التي تركتها عند الباب.
"أنتِ لم تخبريني اسمك،" قال.
"سييرا، اسمي سييرا." استدارت تسير بالعكس ناحية البوابة.

*****

كان داميان قد أغلق للتو مكالمة على الهاتف مع رافاييل، عندما رأى سييرا مجدداً. كاد أن يوقع لوح الزجاج الذي كان يركبه في الخزانة.
"ماذا بحق الجحيم حدث لكِ؟"
"القمل." ردّت.
خصلاتها الطويلة الداكنة تم اختصارها الآن في قصة قريبة من فروة رأسها فبدت كأنما انكمشت بليلة وضحاها، ربما لأن عيون الغزال الواسعة خاصتها تبتلع ملامح وجهها الآن، لكنه شعر بشدّ في أوتار قلبه. إن ڤالديموروس ليس مكاناً للأطفال، القمل هو أقل الأمور المرعبة التي قد تواجهها. إن كان أصغر عندما أخذوا مامالو إلى السجن، كان ليصبح ذلك الطفل. كان ليصبح سييرا.
"هاي، هل تريدين فعل شيئاً ممتعاً اليوم؟"
أسقطت حقيبتها على الأرض وأخذت مكانها على الكرسي الذي بدأ يصبح سريعاً كرسيها المفضل. "ماذا؟"
"هل سبق أن كنتِ على متن قارب؟"
أضاءت عيناه سييرا.
وكانت تلك بداية مغامرات كثيرة، على المياه واليابس أيضاً. علمها داميان كيف تضع الطعم في صنارة الصيد، كيف تقود القارب، كيف تقرأ السماء. حاولت خداعه لأن يحل هو واجب الرياضيات بدلاً منها حتى بدأ يجيب كل سؤال خطأ لتقصيه تماماً من مهمة الواجب. حاول أن يريها كيف تصنع البجعات الورقية لكن الأمر يحتاج تركيزاً وانضباطاً، وكيف يمكنها فعل ذلك عندما يوجد درابزين يمكن أن تنزلق

عليه، دعسوقة يمكنها ملاحقتها، آيس كريم تأكله قبل العودة؟ كانت البجعات التي تصنعها مرنة وضعيفة وتقع على منقارها دائماً.
تشاجر داميان وسييرا وتناقشا وضحكا طوال الساعتين حين تزوره بعد المدرسة، مرّ أسبوع، ثم اثنان، ثم ثلاثة. ببطء، بدأ داميان يتعافى، لم تعد لياليه تمتلىء بإحساس التوق العميق تجاه سكاي، وإنما أصبح لديه ما يتطلع إليه في الأيام التي تأتي بها سييرا. وعندما أتى رافاييل للزيارة، لاحظ التغييرات سريعاً.
"اللعنة. يبدو المكان رائعاً." تجول بالمكان من غرفة إلى الأخرى. "لكن أنتَ،" صفع ظهر داميان. "أنتَ تبدو أفضل."
تخلص داميان من الشحوب الذي رافق سنوات من السجن، لقد بقي لائقاً بدنياً في السجن لكنه الآن يمتلك متانة رجل ذا جذور. إن كاسا بالوما منزله، وهو لم يكن فقط يرمم البناء، بل يعيد تعلم السعادة، يعيد توصيل نفسه، يعيد رؤية العالم خلال عيون سييرا.

"إذاً، هل سأقابل هذه الفتاة الصغيرة؟" سأل رافاييل وهو يضع ملفات العمل التي تحتاج انتباه داميان.
"ليس اليوم، إنه ديا دي لوس مويرتوس."
يوم الموتى هو احتفال مكسيكي حيث يحتفلون به لمدة يومين: *ديا دي لوس أنجليتوس*، وهو إهداء لأرواح الأطفال الذين ماتوا، و*ديا دي لوس مويرتوس*، الاحتفال باليوم التالي، لتكريم أرواح الموتى الكبار. يوم الموتى هو ذكرى الأحباء الذين ماتوا، واحتفال باستمرار الحياة، وهو يوم هام لداميان لأنه أخيراً جهز شاهد القبر الجديد لقبر مامالو، واحد كامل يليق بشرف ذكراها. لقد اتخذه الأمر أسابيعاً ليجعلهم يصممونه خصيصاً وقد تلقى اتصالا هاتفياً هذا الصباح.. أنه تم تركيبه الآن.
"أنتَ جاهز؟" سأل رافاييل.
"أنا كذلك." قال داميان.
قادا السيارة إلى بازا ديل مار، ملاحظين التطورات الجديدة المصطفة الآن على جانبي الطريق،

بيوت متواضعة صغيرة تمتزج مع القصور الضخمة، الفنادق، المتاجر، والمطاعم. لقد مرّت المنطقة خلال مرحلتين هامتين مختلفتين: قبل إلشارو وبعد إلشارو. ما كان قبلا قرية صيد صغيرة تخدم أغراض زعيم مخدرات ازدهرت بعد موته، انخفضت معدلات الجريمة وبدأ السياح بالمجيء مما أتاح وظائفاً جديدة وتجارة. وجود الأجانب منع الكارتل من محاولة إعادة السيطرة على بازا ديل مار، فوقوع سائحاً وسط طلقات النيران بالتأكيد أخبار سيئة ويجلب انتباه العالم.. ويفضل الـ كابو الابتعاد عن الضوء، فارتفعت ظلال الخوف رويداً رويداً عن القرية النائمة الصغيرة وتحولت إلى ملاذ ساحر، لم يعرف قاطنوه أبداً مَن هما الصبيان اللذان حققا ذلك، الصبيان اللذان الآن أصبحا رجلين، ويركنا السيارة خارج مطعم كاميلا.

لقد اشترى رافاييل وأعاد تسمية (لا سومبرا)، الكانتينا التي كان يعمل بها والديه وحوّلها إلى مكان مفضل للمحليين. كان يمرّ كلما يأتي إلى المدينة، يتفحص الإدارة ويوافق على قائمة الأطعمة ويرتب ما يحتاجونه، أصبح الآن أكبر مرتين حجماً.. ملوناً بالأبيض والأزرق والأصفر الهادىء.. ذا سقف عال وشرفة تطل على فناء. الطعام طازج ومنوع، بُالعطلات ينبض المكان بالموسيقى الحية، حيث يرافق الجعة الباردة أصوات آلات العزف كالأكورديون والجيتار، بينما يقدم المطبخ التاكو المحشو باللحم والجبن والهالابينو، وقطعاً من الإسقلوب مع صوص بذور اليقطين.

كان مطعم كاميلا مغلقاً في يوم الموتى، لكن وضع رافاييل دلواً من الـ *سيمباسوتشيل* -وهي أزهار الأقحوان البرية- في المنطقة التي مات بها والداه. تذكر داميان مامالو وهي تشرح له الاحتفالية، كانت تؤمن أن هناك أوقاتاً يعود بها الأموات لعائلاتهم وأصدقائهم، حين ينضم سوياً الأموات والأحياء، ولو لمدة قصيرة. يفترض أن الأقحوان يرشد أرواحهم لأحبائهم، بلونه الحيوي ورائحته.

وقف داميان ورافاييل في صمت، في المطعم الخالي حيث رقص خوان بابلو وكاميلا مرة على نغمات متقطعة مشوشة من الراديو، وكلاهما يشرفان ذكرى الزوجين.
عندما خرجا، تتبعا جموع البشر التي تسير إلى المقبرة، الشوارع مصطفة بالجماجم الورقية المزينة، المصابيح الملونة، والهياكل البلاستيكية التي ترقص بالرياح. يسهر الصيادون عشية الاحتفال بقواربهم يرفعون المصابيح لينعكس ضياؤها على المياه.
التمع تمثال الملاك ميخائيل في آخر النهار، يحرس مدخل الكنيسة، وخلفها في المقبرة.. جلست العائلات على ملاءات النزهة الممددة بجانب القبور، يأكلون الأطعمة المفضلة لأحبائهم: الفاكهة، الفول السوداني، أطباق لحم الديك الرومي، قطع التورتيلا وخبز يوم الموتى.. كل ذلك يطلق عليه بان دي مويرتو.
آخرون لا يزالون ينظفون القبور ويضعون الـ أورفيندا‌س، المذبح مزين بالشموع، الروائح، الأقحوان، الجماجم، والأزهار الحمراء اللامعة.
يتم توزيع الألعاب، الماء، الكاكاو الساخن، والحلوى لأجل الـ أنجليتوس -الملائكة الصغيرة- بينما يتم عرض كؤوس التكيلا والسجائر لأجل أرواح الكبار. بكل مكان، يأكل الناس، يشربون، يلعبون الأوراق، أو يستغرقون بالحنين لذكرياتهم.
وقف داميان عند قبر مامالو، شاهد القبر الجديد بسيط.. ليس كبير للغاية أو مزخرف بأشكال معقدة، تماماً كما كانت سترغب به. استقر حسّ من السلام داخله وهو يقرأ الوصف، لقد حرص على إزالة رقمها كسجينة فهي لم تكن لصة ولا يجب أن يتم تذكرها كواحدة. لم يكن داميان أبداً قادراً على تحديد اليوم الذي ماتت به لكن تاريخ وفاتها الآن محفور، لقد اختار اليوم الذي سمعها به تغني لآخر مرة، تحت ظلال الأشجار أمام ڤالديموروس.
"مَن جلب الشموع والأزهار؟" سأل رافاييل.
كان قبر مامالو مزيناً بإكليل من الأوراق الملونة

وأعمدة من الشموع تضيء داخل أواني زجاجية، بينما وسطهم ترتاح جمجمة من الـ (بيبر ماشيه) وهو معجون الأوراق، على سرير من أزهار الأقحوان المشرقة.

"هاي، باندیدو!" شعر داميان بمَنْ يجذب كمّ قميصه.

"سييرا!" ابتسم وحملها بين ذراعيه.

كانت ترتدي الجينز، وجاكيت ذا قلنسوة، وحذاء ذا خطوط بلون النيون الأخضر اللامع.

"أرجوك أنزلني،" قالت بجدية رسمية وكأنه للتو أحرجها بشدة.

"بالطبع." أطاعها داميان.

"أخيراً، فتاة تنصت لها فعلاً." قال رافاييل.

"مَن أنت؟" ضاقت عينا سييرا عليه.

عرّفهما داميان على بعضهما قبل أن يستدير إلى سييرا. "ماذا تفعلين هنا؟"

"أنا هنا مع ماما." أشارت إلى شخص وسط الحشد.

"ظننتُ أن والدتكِ في السجن، أهي بالخارج الآن؟"

حكّت سييرا رأسها.

"لقد قلتِ أنها في ڤالديموروس."

"إنها تعمل هنا، يا سخيف."

"إذاً أنتِ لا تعيشين هناك... معها؟"

"أعيش في ڤالديموروس؟" ضحِكت سييرا.

"لكن شعركِ، القمل. فكرت أنكِ حصلتِ عليه من السجن."

"ذلك لأنني أذهب هناك معها أحياناً، وأحياناً أنسى ما تقوله لي وأترك واحدة من الفتيات هناك تضفر لي شعري وأضفر لها شعرها، ونتشارك نفس المشط.

لم يدرك داميان فقط كم أن افتراضاته الخاطئة بشأن سييرا أثرت به، حتى شعر بثقل الحمل يسقط عن كاهله. لقد تمكنت الفتاة ذات الضربات الخارقة من تدفئة طريقها نحو قلبه.

"لا يزال لدي بعض القبور لأزينها." رفعت دلوين تحملهما. "جدتي وجدي، أتريد أن تساعدني؟"

"أنتما اذهبا." قال رافاييل. "أنا سأنتظر هنا."

قادت سييرا داميان وسط الحشد إلى قبر آخر على الجانب الآخر من المقبرة، أصبحت القبور أكبر ومميزة بألواح طويلة من الرخام والجرانيت الناعم، بالتأكيد ليست ضمن قطاع السجن.
"هنا،" قالت سييرا. بدأت تمسح الغبار عن الشاهد وأعطته الدلوين. "أنت وزع الأزهار والأشياء الأخرى."
"نعم، أيها الرئيس." قال داميان يبتسم وهو يرتب الأقحوان على القبر.
وصل إلى الدلو الآخر وأخرج بعض الشموع وجمجمة من الـ(بيبر ماشيه) -معجون الأوراق- كالتي رآها على قبر مامالو.
"لابد أنهم يبيعون الكثير من هذه." قال وهو يحملها.
"أنا صنعتُ هذه." قالت سييرا وهي تتحرك مبتعدة عن شاهد القبر.
في الذكرى الحبيبة لـ أدريانا نينا سيدجويك، محفور عليه ذلك.
أوقع داميان الجمجمة التي كان يحملها.
"أدريانا... سيدجويك." رأسه يدور بشدة، بالكاد يقدر على الكلام.
"إنها والدة ماما. والدة بابا مدفونة بالجانب الآخر، لقد صنعت لها جمجمة أيضاً، وهذا هو جدي." تحركت سييرا للقبر المشترك المجاور، كان أحدث ولا يحتاج الكثير من التنظيف.
لم يرَ داميان أي شيء عدا الاسم المحفور بالصخر: وارن هيندرسون سيدجويك.
"أنا لم أعرفهما شخصياً، لكن ماما تقول أن جدي وارن أحب جدتي أدريانا بشدة،" دردشت سييرا غير واعية لحقيقة أن كلماتها تهجم على داميان ككويكبات شريرة مارقة، تضربه من مداره، تجعله دائخاً وغير منتظم محولة إياه إلى فوضى عارمة لا نهائية.
"عندما مات،" أكملت. "كان يرغب أن يدفن بجانبها، كان يعيش هو وماما في سان دييجو.. تلك في الولايات، لكن عندما أتت إلى هنا لتدفن جدي.. بقيت. تقول أن ذلك لأنها نشأت هنا، لكنني أظن أن ذلك أيضاً لأن أجدادي

الثلاثة مدفونون هنا. أنا لا أعرف جدي الآخر، ولا أعرف والدي أيضاً. اسمه داميان، وهو مَن بالسجن.. سجن حقيقي، لا يعمل هناك مثل ما...."

"سييرا! لقد كنتُ أبحث عنكِ بكل مكان، أخبرتكِ أن تقابليني عند..." توقفت سكاي فجأة، كانت تحمل شمعتين، واحدة في كل يد، انطفأتا بزفرتها الحادة.

وقفا مشلولين، داميان يركع مستنداً على سرير من أزهار الأقحوان، وسكاي بين شاهدي قبر والدها، تتمسك بهما، بينما تقدمهما ابنتهما لبعضهما.

"هذا صديقي الجديد، ماما. أزوره بعد المدرسة أحياناً..." قالت، لكنهما لم يكونا يستمعان إليها.

حولهما، اجتمعت العائلات في وحدات صغيرة حول أحبائهم المفقودين، وها هما ذا.. مفقودان عن بعضهما لكن مجتمعان مجدداً بواسطة مامالو ووارن وأدريانا. للحظة، بدا كأن أرواح الموتى حقاً انضمت إلى الأحياء، وكأنهم جميعاً تجمعوا في نقطة واحدة، بنفس الزمان، وكل عيوبهم وخياراتهم وأخطائهم لم تنقص من مثاليتهم. لم يهم لماذا فعل وارن ما فعل، لماذا فعل داميان ما فعل، لماذا أبقت سكاي سييرا بعيداً عن داميان.

في المخطط الكبير للأشياء، نقوم بأفضل ما نستطيع، كلنا، ونختلق القصص بينما نتقدم.. نكتبها ونخرجها ونذيعها للعالم، وأحياناً نأخذ قصص أشخاص آخرين، وأحياناً لا نفعل، لكن دائماً تكمن قصة خلف قصة خلف قصة، متصلة معاً في سلسلة نحن فقط مَن نرى جزءاً صغيراً منها لأنها هناك عندما ولدنا وتستمر بعد رحيلنا.. ومَن يقدر على استيعاب كل جزء بها في حياة واحدة فقط؟

بالكاد استطاع سكاي وداميان تدبّر تلك اللحظة الوحيدة، كانت محمّلة بالكثير.. أفكار كثيرة، ومشاعر كثيرة.. اكتشافات وفراق. الكثير من السنوات، الكثير من

المسافات.. كل شيء توسع، يضيق في درز خفية، ثم ينكمش، خاسراً شكله، خاسراً هيئته، حتى تتدلى اللحظة بينهما كفقاعة متهادية مستعدة للانفجار مع أقل حركة.

"أين تريدين بقية هؤلاء؟" وصل نيك ترنر خلف سكاي ووضع الحقائب التي كان يحملها.

شعر داميان بنفسه يعود مجدداً للواقع، لقد خسر الكثير وعندما كسب الكثير.. سييرا وسكاي، داخل محيطه، يمكنه الوصول إليهما.. فقط ليعود ويخسر كل شيء مجدداً، ربما حملت سكاي بطفلته لكنها عادت إلى نيك، لِمَ لا؟ لقد واعدته بمرحلة ما. كان مألوفاً بالنسبة لها وناجحاً ومستقراً، والدها وافق عليه بوضوح، لقد كان المحامي الذي تولى القضية لذا يعرف بالضبط ما مرّت به. هل رافقها في جنازة وارن؟ كان الكتف الذي بكت عليه، عندما أبعدها داميان في السجن؟ كم كان عُمر سييرا حينها؟ بضعة أشهر؟ هل كانا معاً طوال تلك المدة؟ ألهذا تعمل سكاي بالسجن؟ كشريكة نيك، تساعده بقضاياه؟ هل تقدّم نيك وطالب بسييرا؟ كل سؤال مزق داخل داميان أعمق وأعمق، لقد نشأ دون أب وقد قتله تفكيره أن ابنته تكبر دون والدها أيضاً، إن سييرا كما هو واضح تعرف عنه أكثر مما يعرف عنها. ما الذي أخبرتها به سكاي عنه عدا حقيقة أنه بالسجن؟ هل طلبت يوماً رؤيته؟ تساءلت لماذا لم تسمع منه؟ ماذا ستقول إن عرفت الحقيقة الآن؟ هل ستشعر بالعار؟ بالرعب؟ هل ستنكمش مبتعدة عنه؟ اتخذ نيك بضعة ثوان ليدرك بمَن تحدق سكاي ولماذا تقف ساكنة هكذا. عندما سقطت عيناه على داميان، تناقلت نظراته بين سكاي وسييرا ثم مجدداً نحو داميان، وانعدام راحته واضح. لم يكن يعرف كيف يتعامل مع الوضع أكثر من سكاي أو داميان. بينما ترتب سييرا الأكاليل الورقية على قبر وارن، غافلة عن التوتر حولها.

رأى داميان الشموع المنطفئة في أيدي سكاي، حقائب التزيين عند أقدام نيك، النظرات

المندهشة على ملامحهما، وأدرك أنه هو الدخيل.. الورقة البرية التي أزعجت اتزان ليلتهم المثالية. لقد أطلقوا سراحه من السجن أبكر قليلاً من موعد انتهاء عقوبته لكنه يتمنى لو أنه لا يزال خلف القضبان حتى يتمكن من أسر هذا الألم، عدم المعرفة كان كالجحيم، لكن هذا، هذا مستوى مختلف تماماً من العذاب.

نهض داميان، سحق خلفه أزهار الأقحوان الملتصقة ببنطاله، واستدار ناحية جموع الناس المحيطة بهم، كان شاكراً لبحر الأجساد المجهول الاسم والملامح حوله، وفكر أن هذا هو شعور الميت بين الأحياء.

"أخرجني من هنا،" قال عندما وجد رافاييل.

"خذني بعيداً، بعيداً."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الخامس :: سكاي

::: الفصل الثاني والثلاثون :::

تقلبتُ بين النوم واليقظة، نصف غارقة في أحلام مجنونة جامحة، حيث أصبحت سييرا وداميان وأنا ثلاثة من الإجوانا الخضراء، نستمتع بأشعة الشمس على جزيرة مهجورة، كنتُ أنا الإجوانا ذات الذيل المقطوع لكن لم يهم ذلك بسبب الدفء والجمال، كنا نأكل إنجا إدوليس بينما ظلت سييرا تمضغ البذور بدلا من إخراجها.
كرانش، كرانش، كرانش.
"لا تفعل..." تمتمت ليوقظني صوتي.
هذا هو الحال منذ رأيت داميان في المقبرة منذ أسبوعين، أقضي ليالياً مؤرقة أتقلب وأتقلب حتى انتهى الحال بالملاءة في كومة ملتوية عند قدميّ. أعدّت رؤية داميان مجدداً انفجارات صغيرة تتركني أرتجف في صحوتها، معرفتي أنه اشترى كاسا بالوما وأن سييرا كانت تقضي الوقت معها كانت صدمة كبيرة. كوني أم عازبة كان دائماً تحدياً لكنني الآن أشعر بالحماقة والجهل لاعتقادي أن سييرا تعود مباشرة من المدرسة للبيت كما تؤمر، وحقيقة أن لا أثر

لداميان منذ يوم الموتى تتركني في حيرة.. من الخارج أبدو وكأنني متماسكة تماماً، لكنني فوضى عارمة من الداخل.
كرانش، كرانش، كرانش.
ها هو ذا مجدداً، ذلك الصوت اللعين.. تماماً كـ....
نهضتُ على الفور وأنرتُ المصباح الجانبي.
كان داميان يجلس على كرسي عند نهاية السرير، يشاهدني. لم يتحرك عندما اشتعل الضوء، فقط استمر بإلقاء الفول السوداني في فمه. من المستحيل تجاهل كم أنه يمتلك المكان، كم أنه قولبه وشكّله ليلائم وجوده، خيال من ماضيّ يسبب الخفقان السريع لقلبي، يكتسي كاملاً باللون الأسود.. بل ربما على الأرجح كان يجلس هناك دائماً.. طوال الثمانية أعوام التي ابتعد فيهم، لأنه هناك.. في رأسي، متسلل في شقوق قلبي. أراه كل يوم في وجه سيرا، في الهلال الأبيض القوي بأظافرها، في نهايات شعرها التي تلتوي حين تلف إصبعها حولها. أسمعه في صوت نعاسها، أحاربه في عناد روحها، وأشعر به في دفء أحضانها. لكن أجزاء منه هي لا شيء مقارنة بالرجل نفسه.. كاملاً، حقيقياً وآمراً، آلاف الشموس ممتزجة بواحدة، يحرقني بنظراته ومعها ما يكن من مشاعر تثور خلف عينيه ذات الفحم الداكن.
تمسكت بالأغطية إلى صدري، وكأن الغطاء سيحميني من الاحتراق، لطالما علمتُ أن هذا اليوم سيأتي، هذه المواجهة، وكنتُ أخشاها. إن كان هناك شيئاً واحداً أعرفه، فهو أنك أبداً أبداً لا تقدر على أن تجادل داميان. لم يسامح والدي يوماً على أخذ والدته بعيداً، ماذا سيفعل معي على إبقائي ابنته بعيداً عنه؟
"لماذا لم تخبريني؟" وضع بعيداً قرطاس الفول السوداني الذي كان يحمله بهدوء وثبات جعل القشعريرة تتسابق إلى بشرتي. لأول مرة، ألاحظ الملف الذي يرقد على حجره. فتحه وتفحص الورقة العُليا ثم ألقاها عليّ حيث طارت في الهواء وهبطت جانبي.

لم يعطني داميان الفرصة لحمله، أطار بورقة أخرى ناحيتي وأخرى حتى أصبحوا يطوفون حولي كالريش. أمسكت واحدة منهم وتفحصت المحتوى، من شعار المحقق الخاص بالأعلى.. بدا وكأنه تقرير عني: عنواني، سجلاتي المالية، حالتي الاجتماعية. أمسكتُ بواحدة أخرى لأجدها نسخة عن شهادة مولد سييرا. الورقة التالية تحدد وظيفتي، جدولي، عملي في ثالديموروس. أين كنت، ماذا فعلت، أين عشت، تقارير بطاقتي الائتمانية، اشتراكات المجلات... كل شيء وأي شيء يتعلق بالسنوات الثمانية الماضية يرقد أمامي في حروف صفحات الأسود والأبيض.

أفرغ داميان الملف كاملاً عليّ، عندما انتهى وآخر ورقة رفرفت إلى السرير، استبدل الخوف الذي كنت أشعر به بشأن ردّ فعله بشيء آخر، إحساس بالغضب أنه استطاع تجميع كل شيء مررت به منذ الجزيرة في ملف واحد لامع وألقى به كله بوجهي.

"تريد أن تعرف لماذا لم أخبرك بشأن سييرا؟" سألت. "لأن هذا هو ما تفعله، داميان." جعدت الأوراق في قبضتيّ. "أنتَ تبحث، تخطط، تكيد طريقك نحو الثأر. كان معي صورة لسييرا عندما أتيت لزيارتك بالسجن. أردتك أن تعرف أن لدينا ابنة، كان والدي رحل، ظننتُ أنه لم يعد هناك أحد لتحاربه لكنني كنتُ مخطئة. كنتُ مخطئة، داميان، لأنك كنتَ لا تزال تحارب. أنتَ دائماً تحارب! وضعتُ أبي في القبر لكنني أتيت بكل الأحوال، لأمنحك ابنة، لكن لم يكن هناك مكاناً لنا لأنك كنتَ لا تزال نفس الشخص، لا تزال تتصارع مع شياطينك، وإن كنتَ تظن أنك تعرف كل شيء يجب معرفته عني من هذا التقرير، فلدي أخبار لك. أنت لا تعرف شيئاً، داميان."

****

لم أدرك أنني حامل حتى ذهبتُ إلى المتابعة لأجل كتفي، وسألني الطبيب متى كان موعد دورتي الشهرية الأخيرة. ظننتُ أنه بسبب الإجهاد

والضغط أو ربما أن دورتي غير منتظمة لأنني فوّتُ بضعة أسابيع من حبوب منع الحمل، لكن أكد لي اختبار الدم. كان اكتشافاً حلواً مُرّاً.. بما أن والد الطفل وجدّه، داميان ووارن، متورطان في معركة متواصلة تلعَب بالمحاكم.

أينما ذهبت، يلاحقني المصورون بكاميراتهم في وجهي، كيف سيحوّلون القصة إن عرفوا أنني أحظى بطفل داميان؟ إن أدركوا أنني واقعة بحب خاطفي؟ ماذا سيقول والدي؟ لقد كان مقتنعاً تماماً أنني أمرّ بانهيار نفسي وعاطفي. هل سيحاول إجباري على الإجهاض؟ وبفشل ذلك، أيمكنه أن يجعل طبيباً نفسياً يعلنني غير مؤهلة؟ أسيجبرني على التخلي عن الطفل؟ كيف سيتفاعل داميان مع الأخبار؟ إنه سيدخل السجن. لا أعرف كم المدة لكنني أعرف أن ذلك سيجعل الأمور أصعب فقط.

أبقيت الحمل لنفسي، وبقدر ما كان ذلك صعباً، فكرة أن حياة جديدة تنبثق من كل الفوضى كانت كمنارة ضوء قادتني خلال الظلام.

جلستُ خلال جلسات طويلة مع نيك ووالدي أحتضن سري الصغير، بينما يناقشان التهم والاستراتيجيات القضائية. أردت أن تغلق القضية قبل أن يبدأ الحمل بالظهور عليّ لذا سايرت ما يحدث. نعم لهذا، لا لذاك، نعم لهذا. جلست خلال سماع حكم داميان، حاملا منذ أربعة أشهر، وأنا أعرف أن لدي قطعة منه ولا يهم كم سيظن الجميع أن هذا خطأ أو جنون، شعرت به الصواب.

عندما أدرك والدي أنني حامل، لم يستطع إخفاء خذلانه، لقد كان مقتنعاً أن داميان استخدمني لينتقم منه وأن جعلي حاملا هو جزء من خطته، انتقامه الأمثل من أبي. كم نصبح واهمين ومضللين عندما نبدأ بتصديق أن كل شيء في العالم هو عنا نحن! كم نبذل المجهود لنجعل الأشياء تتلاءم مع نظرياتنا الوهمية! كم نصاب تماماً بالعمى ونحن نتبع عواطفنا المنهكة، الجيدة، السيئة والقبيحة. والدي سيصدق ما يريد. داميان سيصدق ما يريد. وأنا لا يسعني

سوى أن أترك نفسي أتمزق بينهما، أو أن أتقبل أنني أبداً لن أقدر على تغيير طريقتهما في النظر للأشياء.

ببعض الأحيان، كنتُ أشكّ بعقلانيتي. هل أنا مخطئة؟ أكنت ساذجة وسهلة الثقة؟ أكان داميان يتلاعب بي طوال الوقت؟ لم يستطع حمل نفسه على قتلي لذا فعل ثاني أفضل شيء؟ أن يخلق حاجزاً بين والدي وبين الشخص الوحيد الذي يعني له كل شيء؟ أنا. أكان حقاً يخطط أن يعيدني، حامل بطفله، حتى يتوجب على والدي العيش مع ذلك لبقية حياته؟

استغلكِ، قال والدي.

فكرتُ بما تشاركناه أنا وداميان، الطريقة التي نظر إليّ بها، الطريقة التي لمسني بها، وفكرت لا. لا قاطعة، مؤكدة، متأصلة بروحي. لم أستطع التفكير بأي شيء أكثر جمالا، أكثر إثباتاً للحياة، من شفاه داميان عليّ.. جسده، جسدي، ملتحمان كواحد. والآن لدي جزء منه، جزء من مامالو، لأعتني به وذلك بالضبط هو ما سأفعله. داميان آلمني، والدي آلمني، لكنني أحبهما هما الاثنين. دون شك، هما يظنان أنني خذلتهما لكنني لم أعد أرغب بالبقاء معلقة بينهما، ليس وأنا لدي حياة جديدة لأفكر بها.

عندما بدأ أحدهم بإسقاط أسهم سيدجويك بالبورصة ببيع أسهماً بثمن بخس مقللا من قيمة الشركة، شككتُ أن داميان خلف هذا الأمر. اشتد ذعر المستثمرين وبدأوا بتفريغ أسهمهم بسبب التراجع. لم يتخذ الأمر وقتاً حتى يتتبع والدي الأثر إلى داميان، لكن رافاييل قام بعمل جيد في تغطية الأمور الورقية لذا لم يكن هناك دليل متين ضد داميان.

في ذلك الوقت، لم أكن أعلم أن داميان يتصرف رداً لشيء فعله والدي. أبي تقبّل أنني سأنجب طفل داميان لكنه أبداً لم يكن سيتقبل داميان في حياتي، بطفل أو بدونه، لذا أرسل له رسالة بالسجن، رسالة استفزت داميان كي يردّ بواحدة من خاصته. عداء وضع رجل خلف القضبان والآخر في القبر.

كانت سييرا بعمر بضعة أشهر عندما توفي والدي.
"إن لديها عيون والدتك،" قال لي بصباح يوم ما. كان مضطرباً حول سييرا بالأسابيع الأولى، لكن ذلك اليوم انحنى على سريرها ونظر إليها للمرة الأولى. "أجل، عيون أدريانا البنية الكبيرة."
بعد مدة، بدأ يحملها ويمنحها القبلات الثلاثة عندما يظن أنني لا أراه، كانت علاقتنا متوترة لكنه أضحى مولعاً بـ سييرا. بمرور الوقت أثبت أنه مستحيل عليه حمل أية ضغينة ضدي لأنني أنجبتها، كانت الشيء الوحيد الذي يجعله يبتسم بينما ينهار كل شيء حوله. كنت شاكرة أنه مات في غرفته، وكرامته محفوظة قبل أن نخسر القصر.
بموته، أصبحت حقاً يتيمة. شعرتُ كجدار مثقوب بثلاثة فراغات حيث كان يوماً أمي، أبي، ومامالو يسكنون. يتصل الناس بك تماماً وعندما يرحلون تتوقف عن العمل لفترة، يتوجب عليك إعادة ترتيب نفسك، إعادة تشغيل أسلاكك، حتى تقدر على النهوض من السرير في الصباح. عدا أنني لم أفقد والدي فقط، لكنني أيضاً فقدت سقفاً فوق رأسي، في وقت حاجتي التامة إليه.. بينما أعتني بطفلة صغيرة. كل ممتلكات والدي كانت اختفت منذ زمن، أخذت واحدة تلو الأخرى لدفع ديونه. جمعت كل ملابسي وأحذيتي وحقائبي المُصممة بواسطة دور أزياء عالمية وأرسلتها إلى المتجر لبيعها.. بالتأكيد يصعب على المرء أن يفترق عن الأشياء الجميلة لكن بين عوائد ذلك، ومجوهراتي وساعاتي، أصبح لدي ما يكفي لسييرا ولي حتى نمضي إلى أن أتدبر الأمور.
لكن أولا، لابد أن أدفن والدي.
تحمل واستمر نيك بطريقة لم أتخيل أنه سيفعلها، تغيرت الأشياء بعد معرفته أنني حامل. لم يكن الطفل شيئاً يرغب أن يكون مشتركاً به، وبالتأكيد بواحد ليس ابنه، لذا تراجع وتوقف عن السعي خلفي لكن عندما أصيب

والدي بجلطة، أتى للمشفى وحاول ألا يحدق ببطني الحامل المستديرة وكاحلي المنتفخ. ساعدني في تدبير عقارات والدي بعد موته وجلبني أنا وسييرا إلى بازا ديل مار لأجل الجنازة. انهرت وأنا أقف عند قبري والديّ، متمسكة بسييرا. لا تزال التربة على والدي حديثة، ليس مثل قبر أمي وماماو. لم أكن أدرك أن قطاع السجن بنفس المقبرة ورؤية اسم ماماو محفوراً في الصخر جعلت موتها أكثر من نهائياً. أردت أن يتواجد داميان هناك حتى أستمد من قوته، حتى أتمكن من الاستناد عليه بينما يحمل هو ابنتنا عند قبر والدته. فنحن لم نصل إليها ذلك اليوم، اليوم الذي عصفوا به الجزيرة وأسروه.

كيف ينتهي بنا الحال هكذا؟ كيف نصنع الفوضى من شيء جميل وحقيقي للغاية؟

شعرت أنني تائهة وغير راسية، كسفينة في عاصفة. لا أم، لا أب، لا ماماو، ولا داميان. لكن لدي سييرا، فتمسكت بجسدها الصغير كأنه حبل نجاتي.

زرتُ ثالديموروس قبل عودتنا إلى سان دييجو، أردت أن أرى المكان الذي أخذ ماماو، وأن أقدم الاحترام للمرأة التي ملأت مكان أمي. أخذت معي من "الغداء" ما يكفي لجولة بالمكان. خلف الأسلاك الشائكة والجدران الرمادية الكئيبة، فتش حراس متصلبو الملامح حقيبتني قبل تركي أدخل، أسمع صدى خطواتي خلال النفق المظلم الذي يؤدي إلى المبنى الرئيسي بينما أتبع دانييلا، الضابطة التي ترافقني في الجولة. المركز كله خرساني لكنه لا شيء كالمكان بالغ الصرامة الذي تخيلته، من الصعب تمييز السجناء عن الزوار حيث لا يوجد زي رسمي، يقع كشك صغير في الفناء الداخلي يبيع الطعام والمنتجات الأخرى. تحمل الأمهات رضائعهن على أفخاذهن في باحة التمرين، يجري الأطفال خلال الممرات مطاردين بعضهم. هناك حضانة بدائية من جدران ملونة وبعض الأرجوحات والمنزلقات. حدق بي النساء ذوات الملامح القوية بفضول، شك، أو كليهما،

ثم عُدن لهزّ أطفالهن على ركبهن أو للحياكة أو للنسج.
أخبرتني دانييلا أن أكثر من نصف النساء ما زلن لم يذهبن بعد لرؤية قاض. "حتى ذلك الحين، يشجع السجن ريادة الأعمال والمشاريع، بعض السجينات يأخذن المال مقابل إدارة الأكشاك.. وبعضهن يحيك كرات القدم والملابس. يصنعن الحُلي، السرير المتأرجح، إطارات الصور." أشارت دانييلا إلى مجموعة من النساء يجلسن في دوائر، يعملن على مشاريع مختلفة.
"ماذا يحدث لهذه المنتجات؟" أمسكتُ بحقيبة جلدية مصنوعة يدوياً وتفحصتها، كانت شبيهة بتلك التي أعجبتني بالسوق، باليوم الذي ذهبت به مع داميان للتسوق.
"بعض العلائات تأخذها وتبيعها في المتاجر المحلية، بينما تستلم السجينات الأكثر موهبة الطلبات لمنتجاتهن من تجار خارجيين."
"بكم يُباع شيء كهذا؟" سألت وأنا أرفع الحقيبة. الجلد غير مصقول لكن ناعم، لها حواف ومقابض أسطوانية.
طرحت دانييلا رقماً زهيداً جداً.
وضعتُ لحقيبة مجدداً ونظرت حولي، أشاهد واحدة من النساء تفك لفة هائلة من جلد البقر، قطعتها متتبعة حافة نمط معين محفور بقطعة معدنية غير مصقولة وبدأت تصبغ الحواف الظاهرة بفرشاة صغيرة، امرأة أخرى تلمع القطع حيث تحكهم بقماشة قطنية ناعمة لتزيد اللمعة، إنه خط إنتاج مجتمع.. كل امرأة تعمل بمهمة محددة وتحرك المنتج للمرحلة التالية حتى يُلقى المنتج النهائي في كومة مع الآخرين تحت الظلال.
بينما أتفحص الأشكال المختلفة، طرأت فكرة برأسي وبدأت تتشكل. إن لدي شهادة بالفنون الجميلة وهوى وميل لتصميم الحقائب والأحذية والملابس، وأعرف أشخاصاً سيدفعون أموالا طائلة لأجل المنتجات التي تصنعها هؤلاء النسوة، إن تمكنتُ من خلق اتصالا بين الاثنين معاً عندها سأكون أساعد هؤلاء السيدات وربما أوفر لهن

الوسائل ليبتعدن عن المشاكل عندما يخرجن. معظم السجينات في السجن لأنهن يفتقدن المصادر لإعالة أنفسهن فاتجهن للجريمة.
"مَنْ يوفر المواد الخامة لهذه؟"
هزت دانييلا كتفيها. "في بعض الأحيان تجمع السجينات أموالهن، يشترين الخامات بأنفسهن ويتشاركن الأرباح. لكن لهذا مخاطر، فلا أحد يثق بأي أحد عندما يأتي الأمر للمال. أحياناً يمولهن التجار ويدفعون جزءاً صغيراً مقابل المبيعات عندما تباع المنتجات."
"والنساء مستعدات للانتظار حتى ذلك الوقت؟"
ضحكت دانييلا. "ليس لديهن أي شيء أفضل ليفعلنه."
تلك الليلة، وضعتُ سييرا بالسرير وفكرتُ باحتمالية كسب معيشة خلال مساعدة سجينات ڤالديموروس. ظللتُ أرى أيديهن المشغولة تقطع وتحيك وتخيط وتلصق وتصنفر، بقليل من الدقة والإرشادات.. أنا واثقة أنه يمكن إنتاج منتجات عالية الجودة خصيصاً بأسلوب محلي.
بالصباح التالي، بدأتُ أبحث عن مكان للإقامة. سيدوم المال الذي معي في بازا ديل مار أكثر من سان دييجو، لكن لم يكن هذا سببِ رغبتي الوحيد بالبقاء. إن جذوري هنا، شعرت بها حينما سرت حافية القدمين على الشاطيء مع سييرا، تتلاعب الرياح بشعري محملة برائحة الملح والطحالب. تغرق قدماي بالرمال وأشعر بالأمواج الناعمة تذيبني.
وطنك، منزلك، تعالي لمنزلك. كانت الأمواج تهمس لي.
حاول نيك أن يقنعني بالعدول عن رأيي لكن عندما رأى أنني مصممة، رحل وهو يتمنى لي ولـ سييرا الخير. مررت بلحظة ذعر وأنا أشاهد الطائرة تقلع، كل شيء مألوف موجود في سان دييجو، هناك أعرف أين أذهب، ماذا أفعل، كيف أتكلم، ماذا أتوقع. داميان هناك، في السجن.. لكن هناك.
شعرت بتوق عميق بروحي، حنين للعودة بالزمن حيث نكون الشخصين الوحيدين على قطعة

أرض مُحاطة بمحيط كبير كبير.
بتلك اللحظة، بينما تقلع الطائرات.. واحدة تلو الأخرى، شعرت بالوحدة الشديدة. ثم أحسست بأمي وأبي ومامالو حولي.. لينتشر حسّ غير ملموس من الأمان والحماية، الراحة والانتماء، فعلمت بالضبط أين يجب أن أكون.

****

كان المنزل شقة صغيرة ذات ارتفاع منخفض وشرفة تطل على سوق مفتوح، كانت في الحيّ الأحدث.. بين بازا ديل مار وكاسا بالوما، تتوقف الحافلة التي تأخذني إلى ڤالديموروس بنفس الشارع. يقع الشاطيء ومدرسة سييرا على مسافة سير صغيرة على الأقدام، المكان مُجهز للمرور المزدحم الدائم وضوضاء السوق خلال النهار، أما بالليل.. عندما يرحل الجميع، تتمكن من سماع المحيط، أحياناً أغلق عينيّ وأدّعي أنني أرقد تحت الناموسية في فيلا صغيرة مدسوسة بين الأشجار.
لكن اليوم، تمزق كل الادعاء، ترقد الأوراق مبعثرة حولي. اليوم لا هرب من الواقع أمامي، الواقع أن داميان.. في غرفتي، على كرسيّ. الأمر دون جدوى أن أسأله كيف دخل هنا، لقد التقط أشياء أكثر من بعض المهارات في كابوراس، ولا شك بالسجن أيضاً. ما أثار حذري ليس أنه تسلل إلى منزلي، أو أنه عيّن محققاً خاصاً ليبحث عن الثمانية أعوام الماضية من حياتي.. وإنما أن سييرا نائمة في الغرفة المجاورة وأنا لا أملك أدنى فكرة عن نوايا داميان، الآن وقد عرف بشأنها.
"كان يجب أن تخبريني." نهض وسار إلى السرير، تغير الجو حوله.. كحقل قوة بالكاد يقدر على احتواء طاقته.
"ماذا تريد؟" انكمشتُ للخلف مستندة على ظهر السرير. وجود المرء وحده في غرفة مع داميان، وكل انتباهه موجه إليه فقط، لهو أمر خطر.
"نيك..."
"نيك في سان دييجو.. متزوج وسعيد، كان هنا ليساعدك في تجهيز العمل الخيري للنساء في

ثالديموروس. أم أنه يجب عليّ أن أريكِ ملفه هو؟"
تباً. هذا كثير لمجرد محاولة حمله على الرحيل! لقد رأيت النظرة التي وجهها داميان لـ نيك، أحرقته الغيرة.. كرمح ساخن حد الاحمرار كان مستعداً لاقتلاع عينيّ الرجل الآخر، قبل أن يتراجع ويرحل وقتها.
"لقد أبليتِ حسناً بنفسكِ، بأخذ كل شيء بالاعتبار." جلس داميان على حافة السرير وتأملني، بينما تقع عيناه على الحمالة التي انزلقت عن كتفي. "الأميرة التي تعيش وسط الفلاحين."
"لقد فعلتِ من كان يجب عليّ فعله، دون أي شكر لكِ."
"أنا لم أكن أعرف." أعاد الحمالة مكانها مجدداً وترك أصابعه تتلكأ على الندبة الصغيرة التي خلفتها الرصاصة.
اتخذ الأمر كل ذرة سيطرة مني كي لا أغلق عينيّ، ثمانية أعوام، ثمانية أعوام طوال في وحدة. خرجتُ سابقاً بعدة مواعدات. أردتُ بشدة أن أقع في غرام أحد آخر، لكن لم يقترب أحدهم لما تفعله لمسة من داميان.
ما إن يتم حبّك من قِبَل رجل كـ داميان، ما إن يتم وشمك وتشكيلك في نيران ذلك الامتلاك، أبداً لن تتحرك مشاعرك بالقبلات المزيفة الفاترة.
"أفترض أن والدكِ ترك لكِ اعتماداً مالياً أو شيئاً من هذا القبيل، شيء منفصل عن أمواله هو."
"لقد فعل، لكنني استخدمته كي أدفع مصاريفه الطبية في النهاية." لم أستطع التوقف عن التحديق بوجهه. فكه أكثر صلابة، كل شيء أكثر حدة.. حاجبيه، أنفه، فمه.. كأنهم أخيراً وجدوا مكانهم. إن مال قليلاً، سوف أقدر على الإحساس بأنفاسه على عنقي.
"لم يكن لديكِ أنتِ وسيرا أي شيء؟" ترك الحمالة وأمال ذقني، مجبراً إياي على ملاقاة عيونه ذات عتمة منتصف الليل، والتي التمعت بشيء قوي وحاد.

"تدبّرنا أمرنا." أبعدتُ يده.
"كان يجب أن تخبريني."
"لماذا؟" استعر غضبي. "حتى تتمكن من القفز والتدخل لتجعل كل شيء صحيح مجدداً؟ أبداً لا يمكنك فعل ذلك، داميان. أبداً لا يمكنك استرجاع ما فعلتَ. ربما أنا أخذتُ صفحة من كتابك. ربما أردتِ معاقبتك لتدميرك والدي. هل فكرت يوماً بهذا؟ الانتقام يولد الانتق..."
قاطع خطبتي وسط الجملة، ذراع حول ظهري، يسحقني إلى جسده. انقض على فمي، مجبراً شفتيّ على الحركة. لم تكن قبلة ناعمة حالمة، وإنما لهب عنيف يزأر متراقصاً في عروقي، قبلة من النوع الذي يلحم الأرواح الجائعة معاً.. قبلة هي داميان، جامحة وجارفة، كعاصفة صيفية. أصابعه تلتوي في شعري جاذبة رأسي للخلف مثبتة إياه. لا هروب منه، لا إنكار له. لم يتركني إلا عندما ارتخى جسدي في ذراعيه، حتى انحسرت المقاومة داخلي.

"تكذبين،" قال، موقفاً القبلة. "ليس الانتقام هو ما أتذوق على شفتيكِ، إنه الخوف. أنتِ تخافين مني، سكاي."
"أتلومني؟" بصقتُ كلماتي. "لقد أطلقتَ النار عليّ، كنتَ ستقتل والدي ولم أستطع أن أوقفك. يتحكم بكَ أشياء لا أستطيع منافستها، يغلب غضبك الحب والأمل والإيمان. إن كنتَ عدت آملاً أن نكمل من حيث توقفنا، فأنا آسفة أنني سأخذلك. لقد عملت كثيراً حتى أبني حياة لـ سييرا ولي، ولن أدع أي شيء يعرضها للخطر، لن أشبك مستقبلنا برجل لا يقدر على ترك الماضي أنا لا أحتاجك، داميان. لا أحتاج أحداً."
"كاذبة." مشطت عيناه وجهي. "لنجرب هذا مجدداً، هذه المرة دون كذبات." حام فمه فوق فمي لكنني رفضتُ إلغاء المسافات، ضحك. حركة واحدة، بسرعة وكانت شفتاه فوق شفتيّ مجدداً، أكثر رقة هذه المرة، لكنني استطعت الإحساس بكبحه نفسه. كان خيلا عربياً جميلا، قوي ومسيطر، يلجم نفسه. بينما

تخونه طريقة ارتجاف أصابعه وهو يمسد ذراعي ببطء صعوداً وهبوطاً.. بينما طريقة نبض جسده بالحاجة بعمق تخبرني أنه لم يكن مع امرأة منذ دهور.
أخذني على حين غفلة ردّ فعلي مطلقاً العنان. حتى في الذكرى، كنت أشعر بحدة قبلاته، أعيشها مجدداً، أستسلم للاندفاع الجامح الذي يجري داخلي عند مجرد التفكير به. كانت أسطوانة بالية من كثرة الإعادة مجدداً ومجدداً، أتذكر لمساته، نظراته لي، كيف أن حركاته تزداد حدة وهو قريب مني. والآن ها هو ذا، يعيد إشعال كل مفتاح في شبكة الذكريات الملتهبة هذه، كل واحد يؤول إليه مجدداً. هو مركز متعتي، كل شيء ينبض منه.
"داميان." تأوهت وهو يدفع حمالة قميص نومي ممسداً إياي بتملك عذب.
أخرج صوتاً متعذباً بينما يهبط فمه عليّ مجدداً، فيتجاوب جسدي معه دافعاً إياه لحافة الجنون. جذب ساقيّ حول خصره مقرباً إياي لأحضانه، لكن مهما نقترب لا يبدو ذلك كافياً، شفتاه عند عنقي الآن لتتحول إلى بشرة ساخنة ونفس مكتوم، مجردين من العقل والمنطق والوعي.
دفع يديّ اللذين كانا يحاولان خلع عنه ملابسه، نافذ الصبر من تعثري بالمهمة وبدأ هو بخلع بنطاله، عيناه مثبتتان عليّ طوال الوقت.. لأعرف أنه على وشك الإطاحة تماماً بصوابي.
"ماما؟"
قفزنا بعيداً بسرعة شديدة، بالكاد حظيتُ بالوقت لأرمش حتى.
كانت سييرا تقف عند المدخل، تحكّ عيونها الناعسة. لم أتمكن من معرفة ما رأت، لكنها كانت تحدق بداميان كأنما رأت شبحاً. كان يحمل وسادة على حجره محاولا التقاط أنفاسه، ثانية أخرى وكانت سييرا سترانا في موقف فاضح. عدلت قميص نومي وناديتها.
"كل شيء بخير، حلوتي؟"
"ظننتُ أنك رحلت،" خاطبت داميان.
"كنتُ خارج المدينة، لكنني عدت الآن.. ولن

أذهب لأي مكان."
هذه هي المرة الأولى التي يتكلمان بها منذ اكتشف داميان أنها ابنته، كل كلمة قالها صدحت بمعنى أعمق.
"هل اشتقتِ لي؟" قال مبتسماً.
"لماذا كنتَ تقبّل ماما؟"
"أنتِ... رأيتِ ذلك. أجل، حسناً...." ألقى بنظرة بطريقي.
أبداً لم أرَ داميان مرتبكاً، لكن هكذا بالضبط يبدو الآن، ورغم إغراء فكرة أن أتركه يتخبط هكذا لفترة أطول، تدخلتُ.
"هذا هو والدكِ، سييرا." كنتُ أخطط أن أخبرها الأمر بهدوء بعدما ظهر داميان بالمقبرة، لكنه اختفى حينها. الآن وقد وجدته في سريري، لا أرغب بتأجيل الأمر أكثر من هذا. "لم أكن أعرف أنه خرج حتى رأيته بيوم الموتى،" أكملتُ. "وهو لم يكن يعرف أنكِ ابنته حتى ذلك اليوم أيضاً. أنا آسفة للغاية، سييرا. أردت أن أخبركِ لكنني أردت أن نفعلها أنا ووالدكِ معاً، بشكل ملائم. آسفة أنكِ عرفتِ الأمر هكذا."
تفحص داميان وسييرا بعضهما، هو يقدّر ردّ فعلها وهي تتأمله بمنظور جديد، خفق قلبي في أذنيّ بينما يمتد الصمت بيننا. لقد فكرت بهذه اللحظة دائماً، فكرت بهما وهما يتقابلان وجهاً لوجه لأول مرة، أب وابنة، ولا يهم أي المشاهد يدور في رأسي.. فهو لم يكن يوماً مشهداً مثالياً.
"أنت حقاً باندیدو -مجرم-" قالت سييرا.
"أنا حقاً هكذا." أومأ. "لهذا كنتُ بالسجن."
"أيمكنني أن أسأله الآن؟" نظرت إليّ، فأومأت لأنني لا أقدر على الكلام، لأن حلقي أطبق بشدة. كنتُ أخبرتها الحقيقة بشأن والدها، كل شيء عدا عن سبب دخوله السجن، ذلك كان ملكه ليحكيه. هي تستحق صفحة نظيفة مع والدها، وهو يستحق فرصة ليفسر لها ذلك بكلماته هو. ربما كان تجنباً للمسئولية مني، ربما كان غير عادلاً مني إبقائها في العتمة، لكن كان هذا هو أقصى مدى أستطيع الوصول إليه. فقد دخلت في شجارات عدة

بالمدرسة لأن الأطفال يسخرون منها بشأن الأب الذي لا تعرفه، لكنها تعلمت كيف تتصدى لهم وعندما يسوء الوضع.. تصبح سييرا قوية حدّ الجحيم. إنها ذات إرادة حرة وقوية لكنها مجرد فتاة صغيرة، يئن قلبي وهي تقف أمام والدها.. بينما شعرها بدأ بالنمو مجدداً من قصته للتخلص من القمل.

"ماذا فعلت؟" سألته.

حدّقَ داميان بيديه للحظة. "أشياء سيئة،" قال. "آذيت والدتكِ. أترين هذا؟" أمسك داميانِ إصبعي الصغير ورفعه. "أنا فعلتُ هذا. كنت غاضباً لأن أحدهم آذى والدتي وظننتُ أن التساوي معه سيجعلني أشعر بالتحسن، ولمدة حقاً شعرت بذلك.. لكن بعدها آلمني أكثر."

"قالت ماما أنها حادثة." تركزت نظرات سييرا على أيدينا المتشابكة، كان لا يزال داميان يتمسك بيدي وكأنه يحتاجني حقاً ليمضي بهذا.

"بطريقة ما كانت كذلك، فأنا كنتُ سأقوم بفعل شيئاً أسوأ للغاية." حاول إبقاء صوته ثابتاً لكنني استطعتُ الإحساس بألمه، بعذابه باضطراره لتفسير الأشياء لـ سييرا، وهو غير مستعد أو غير متدرب على الأمر. لا يوجد محاميون وقضاة الآن، مجرد أب وابنة يتعرفان على بعضهما. عندما تسقط كل القصاصات فيؤول الأمر للأشخاص الحقيقيين واللحظات الحقيقية، إلى آثاراً امتدت ما وراء المحاكم. لقد قضى داميان مدة عقوبته، لكن هذه هي الأمور التي تهم حقاً الآن.

"أنا لم أكن دوماً شخصاً جيداً، سييرا،" قال. "لا أعرف إن كنت أقدر يوماً على أن أصبح الأب الذي تفخرين به، لكنني أتمنى أن تدعيني أحاول. لأنكِ تجعلينني أريد أن أتوقف عن كوني باندِيدو، وربما يوماً ما.. ربما يوماً ما أصبح البطل الذي تستحقينه أنتِ ووالدتكِ."

تحركت عينا سييرا من داميان إليّ، أعرف أنها تحاول استيعاب كل شيء عرفته. سارت إلى السرير وتتبعت إصبعي، للحظة ركزنا نحن

الثلاثة على نقطة تلامس أيدينا... وكف داميان الكبير الخشن يحاوط كفينا. بدأ شيء داخلي بالتصدع، كسطح كان مجمداً لوقت طويل تحمل للتو وزناً ثقيلاً للغاية.

"هيا،" قلت لـ سييرا. "دعيني أدثرك مجدداً بالسرير."

توقفت عند الباب ونظرت إلى داميان.

"إن قبّلتك، فهذا يعني أنها معجبة بك."

"سييرا!" سحبتها إلى غرفة نومها.

"أراهن أن الأمر كان يؤلم بشدة." قالت وأنا أنزلق بالسرير جانبها، أحتاج تجميع أفكاري قبل مواجهة داميان مجدداً.

"ماذا؟"

"هذا." شبكت إصبعها الصغير المثالي بإصبعي المتأذي وألقت بساقها فوق ساقي. إن سييرا من النوع الذي ينام مبعثراً بكل اتجاه مُطالباً بكل مساحة يمكنه الوصول إليها.

"غني لي،" قالت مقتربة.

لا أعرف ماذا يجري داخل رأسها، أهي مرتاحة أنها أخيراً قابلت والدها؟ أهي منزعجة مما فعل؟ أياً يكن ردّ فعلها.. فالنوم لم يرواغها لوقت طويل. لدى الأطفال قدرة خارقة على هضم الأمور، التكيف، والاستيعاب. ارتخى ذراعاها حولي وبدأت أنفاسها بالاستقرار والسكينة بينما أغني تهويدة مامالو.

تنفستُ عبيرها وأغلقتُ عينيّ ممسدة شعرها، إنها هدوئي وسط الفوضى، قطعة صغيرة من البراءة غير ملموسة من قِبَل اضطراب الماضي. لا أعرف كيف سيؤثر وجود داميان عى حياتنا لكنني أعرف أن الأشياء ستتغير، لقد استأثرت بها لسبعة أعوام وكل ما أردت فعله هو التمسك بهذه اللحظة بقدر ما باستطاعتي، خدّها ملتصق بخدّي، وزن ساقها يمنعني من الرحيل.

أصدر لوح أرضي صريراً بالغرفة، فتحت عينيّ وتجمدت. كان داميان يقف عند الباب، التعبير على وجهه مكثف حاد حدّ الألم، مليء بالتوق، لدرجة أن كلمات التهويدة التي كنت أغنيها ضلت سبيلها عني. لم يكن تعبير الشهوة الذي

هاجمني به منذ قليل، بل كان شيئاً أعمق..
وكأن كل سعادته تتلخص في مشهد واحد أمامه: سييرا تنام بجانبي، بينما يقف هو عند العتبة، منقطعاً عنه كله.
منذ وقت طويل، كنتُ أنا وهو ومامالو ملتحمين هكذا.
لا أمتلك الكلمات، ولا هو. حاول أن يقول شيئاً لكن انقبض حلقه، لذا استدار على عقبيه ورحل. وبعد مرور لحظة، سمعت صوت الباب الهادئ يغلق بينما يخرج تماماً.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الخامس :: سكاي

::: الفصل الثالث والثلاثون :::

كانت بوابة كاسا بالوما مفتوحة، يبدو المكان مختلفاً إلى حد كبير من آخر مرة رأيته بها، لكن ليس لدي الوقت لأعجب بالتغييرات.
اتجهت إلى الباب الأمامي متفاجئة لأنني وجدته هو الآخر مفتوحاً.
كان داميان في غرفة المكتب، يقرأ بعض الأوراق عندما اقتحمت المكان.
"ما معنى هذا؟" لوّحت بتقرير البنك الخاص بي.
"صباح الخير لكِ أيضاً،" قال دون النظر أعلى.
غريبٌ رؤيته بالمكان الذي ربطته دائماً بوالدي، بالطبع لم يكن يتواجد أبي حينها كثيراً وعندما يتواجد، كنت واعية كفاية كي لا أزعجه في غرفة المكتب. لم يبدُ على داميان الارتباك من تطفلي، تركني أستشيط لبضعة ثوان قبل أن يحوّل انتباهه إليّ.
"إنه لأجل سييرا،" قال.
كدت أتمنى أن يعود مجدداً لأوراقه لأنه ينظر إليّ كأنما بقي مستيقظاً طوال الليل، يفكر بي، بشأن ما كاد يحدث الليلة الماضية.

"ولم تفكر باستشارتي قبل وضع هذه الوديعة؟" من الواضح أنه يمتلك كل المعلومات عني بما فيهم رقم حسابي المصرفي. رمشت مرتين عندما رأيت رصيدي، لكن أمين الصندوق أكد لي أنه لا خطأ بالأمر، أحدهم أودع ثروة صغيرة في حسابي. نقود الذنب، لقد رأى داميان أين أعيش، يعرف كم أجني، كم أدفع للنساء في ڤالديموروس، وما الذي أعاني منه. أستشيط غضباً أنه يظن أنني لا أجني ما يكفي، لا أعيش أنا وسييرا بقمة الرفاهية والترف لكن كيف يجرؤ على جعلي أشعر أنني لا أمنحها الحياة التي تستحقها؟

"إنها ابنتي، سكاي. الابنة التي أبقيتها خفية عني، ولدي الكثير من السنوات للتعويض عنها. يمكنكِ أن تتوقعي وديعة كل شهر، لذا اعتادي على الأمر."

"لقد كنتِ أعتني بـ سييرا جيداً دون مساعدتك طوال تلك الفترة، إن كنتَ تظن أنكَ تستطيع أن تستخدمها لتؤثر عليّ، فأنتَ..."

"أنا لا أحتاج أن أستخدم سييرا، فأنا أؤثر عليكِ جيداً." كلانا يعلم أنه يتحدث عن استجابتي المحمومة لقبلاته.

"لا تغيّر ليلة أمس شيئاً." قلتُ.

"ليلة أمس تغيّر كل شيء."

اشتبكت عيوننا، الرمادي ضد الأسود.

"حسناً،" قلت. "ضع ودائعك، وانتظر لترى إن كنتُ سألمس بنساً واحداً منها."

نهض داميان وسار إلى جانبي من المكتب.

"الأمر بسيط للغاية، أنتِ ترغبين أن أوقف الودائع.. وأنا أرغب بكِ وبـ سييرا." قال.

"تزوجيني، سكاي."

"أتزوجك؟" رمشت. إن هذا آخر شيء أتوقعه، يفترض أن تكون عروض الزواج ملحمية.. لحظات عظيمة تطوحك وتطير بك، ليست مفاوضات كصفقة عمل. "إنك مجنون."

"حقاً؟ هل أنا؟" تسلل ذراعه حول خصري وجذبني إليه. "أخبريني أنكِ لا تشتاقين إليّ، أخبريني أنكِ لم تسهري الليالي تفكرين كم كنا

جيدين سوياً، لأن تماماً في هذه اللحظة.. كل ما أرغب بفعله هو محاصرتك عند ذاك الحائط وامتلاكك بشغف شديد حتى لا أتمكن من تمييز أين أنتهي وأين تبدئين. إنني أتألم، أتوق حيث يُفترض أن تكوني، سكاي، ولن أتوقف حتى تصبحي ملكي، لذا يمكننا إطالة الأمر أو يمكننا أن نتوقف عن تضييع الوقت أكثر. بكل الطرق، سينتهي بنا الحال هنا تماماً.. وأنا على وشك مضاجعتك."

"أهذا هو ما عليه الأمر؟ رغبتكَ بمضاجعتي؟ لنفعلها داميان. لنفعلها تماماً هنا على مكتب والدي، ستحب ذلك، أليس كذلك؟ أن تحظى بابنته على مكتبه. أنت بالفعل أخذتَ كل شيء آخر، شركته، منزله، حياته، لِذا لِمَ لا ابنته أيضاً؟ لقد رحل، داميان، لكنك لا تزال تحاول أن تثبت أمراً."

"الأمر ليس بشأن ذلك،" زمجر داميان. "أنتِ وأنا أبداً لم نكن نتعلق بذلك، لذا اتركي الأمر." أطبق على معصميّ وكأنه يحاول جعلي أترك الموضوع.

"حقاً؟ أترك الأمر؟ أنتَ لم تستطع ترك الأمر مع مامالو، لكنك تتوقع مني أن أمضي قدماً عندما يتعلق الأمر بوالدي؟"

"أنا بالفعل تركت الأمر." تحدث ببطء، كل كلمةٍ دقيقة بسيطرة حادة كنصل موس. "تخليتُ عن الأمر، تركتكِ ترحلين، مجدداً إلى والدك، تركتكِ بذلك المتجر، لكن أنتِ لاحقتَني، وهذا شيء حذفته بأريحية من شهادتك. كنتُ أعرف أنهم يضغطون عليك وأنتِ تركتهم يجبرونكِ. أنتِ اخترتِ جانباً، سكاي، ومتأكد حد الجحيم أنه لم يكن جانبي."

"لقد كنتُ أحميك!"

"أنتِ لم تقدري حتى على النظر إليّ بقاعة المحكمة."

"لأنني كنتُ حاملاً! لأنكَ تتمكن من قراءتي ككتاب مفتوح."

رقت قبضته على معصميّ وجذبني إليه.

"بالضبط، لهذا أعرف أنك ما زلتِ ترغبين بي. أستطيع معرفة ذلك من الطريقة التي تتغير بها أنفاسك، الطريقة التي ينحني بها عمودك الفقري، كل شيء بكِ يصرخ مُطالباً بي، سكاي. إذاً لماذا نقاتل؟"

"فقط لأننا نحظى بممارسة حميمية مذهلة تطيح بالرءوس فهذا لا يعني أنني أرغب بقضاء بقية حياتي معك."

"أيجب عليّ أن أذكركِ؟ لقد قلتِ أنكِ دائماً، *دائماً* ستحبينني."

"أنا أفعل، ودائماً سأحبك. لكن هذا لا يكفي."

"ممارسة حميمة مذهلة وحب؟ إنها بداية جيدة لعينة في كِتابي." أحنى رأسه وقال ذلك في أذني، مُرسلاً ارتجافات باردة على طول عمودي الفقري. "وأنا حتى لا آتي بذكر حقيقة أن لدينا ابنة. قولي نعم، سكاي. أخبريني أنكِ ستتزوجيني."

"أنا لا أثق بكَ، داميان. هذه هي المشكلة. كان هناك وقتاً سابقاً كنتُ لأتبعك حتى نهاية العالم به، قاتلتُ لأجلك، لكن أتعلم لأجل ماذا حاربتِ أنتَ؟ الثأر، العقاب، الانتقام. حتى حينِ كنتَ بالسجن، لم تستطع التخلي عن الأمر. أنتِ لم تسقط شركة والدي فقط داميان، أنتَ دمرتَ حيواتِ كل هؤلاء الناس الذين كانوا يعملون هناك، مَن كانوا يعتمدون على الشركة لأجل معيشتهم. هؤلاء كانوا أناس حقيقيين، حيوات حقيقية.. أطفال، أحلام، رهن، بعضهم كان على بُعد بضعة أسابيع من التقاعد، البعض كان يعتمد على التأمين الصحي. هل تفكر بهذا يوماً؟ هل يبقيك ذلك مستيقظاً بالليل؟ أم ما زلت مشغولا باحتياجاتك *أنت* وألمك *أنت*؟ افتح عينيك، داميان. هنالك عالم أكبر ولا يدور حولك. أنا أخيراً لملمتُ حياتي وتأتي أنت متوقعاً مني أن أعيد ترتيبها لأن ذلك يلائمك؟ حسناً، احزر ماذا؟ لن يحدث. تريد رؤية سييرا؟ حسناً، لن أقف بطريقك. لكن توقف عن محاولة فرض طريقك مجدداً لحياتي، إن ذلك حق يجب أن تعمل لتستحقه."

لثانية، حدّق داميان بي. تحوّلت الرغبة الصرفة داخل عينيه لشيء آخر، الاحترام. خطا للخلف وترك لي مساحتي.
كنتُ اقتربتُ من الباب عندما سمعته يتحدث.
"لم ينته الأمر، تعلمين. أبداً لن ينتهي." قال.
"سواء قلتِ نعم، أو لا، ستكونين دائماً الأبد بالنسبة لي."

******

إن كان هناك ما يفضح حرفة الهواة اليدوية فهي الخياطة المتزعزعة، الخياطة اليدوية هي ما تميّز ماركتي عن بقية المنتجات الصناعية، لذا فهي موهبة أقدمها دائماً في ورش العمل.
يمكن لأي شخص المجيء حتى السجينات اللواتي لا يعملن معي، آمل أن تعلم تجارة جديدة سيساعدهن عندما يطلق سراحهن. حضر العديد من أصحاب الأحكام المؤبدة كذلك ورش العمل، كسراً للروتين المعتاد بحياة السجن، والكثير انتهى بهن الحال بالانضمام إلى فريق الإنتاج بعد ذلك. يستعملن المال لشراء بعض الامتيازات المريحة التي تجعل حياتهن محتملة أكثر، بعضهن سيدات قاسيات صلبات مستسلمات لغضبهن. ابتليت بالتردد في البداية، وتحملت نصيبي من هجمات الذعر.. كان هنالك أوقات أردت بها ترك كل شيء والعودة ركضاً إلى سان دييجو.
الآن يرحب بي الحراس ويحميني النساء، كنتُ أريهن كيفَ يقمن بالخياطة من نوع السرج عندما نظرت لأعلى وفقدت تسلسل أفكاري، حيث يقف داميان في مركز المبنى متفحصاً الجدران. كان الشيء الوحيد الثابت ذا الجذور المغروسة وسط الفوضى، يحوم الناس ويتجولون بالمكان لكن يمنحونه مساحة واسعة خالقين حوله دائرة صغيرة فارغة. عيناه مفتوحتان لكنه غافل عن كل شخص وكل شيء، شعرتُ أن هذه هي أول مرة يزور بها ڤالديموروس منذ تلك الليلة التي اكتشف بها أن مامالو ميتة، هل وقف حينها بنفس البقعة؟ هل مات إستيبان خاصتي هناك؟

تساءلتُ متى يتوقف قلبي عن التألم لأجله؟ متى يتوقف جسدي عن التفاعل معه؟ متى تتوقف روحي عن الحوم حوله؟ لماذا دائماً نقع في غرام مَن لا خير لنا معهم؟ لماذا؟ في حين من المفترض أننا فعلنا هذا وتعلمنا من ذاك وأصبحنا أكثر وعياً وحكمة؟ كنتُ على وشك الاستدارة عندما تحرك داميان وحدق مباشرة نحوي، دائماً يقدر على تجميدي بنظرة واحدة، لكنه فعل شيئاً مختلفاً حينها. ابتسم.

بدقيقة، وجهه مجمداً بالماضي، ثم الدقيقة التالية يبدو وكأنما وجد شعاعاً من الشمس.

اللعنة، عندما يُلقي داميان واحدة من ابتساماته النادرة نحوك، يتخذ الأمر بضع لحظات قبل أن تلتقطِ أنفاسك.

تعثرتُ بكلماتي، محاولة أن أتذكر ما كنتُ أقول. ولم تساعدني حقيقة أنه شقّ طريقه ليقف في النهاية بعيداً يشاهدني أتفاعل مع النساء لبقية ورشة العمل.

"ماذا تفعل هنا؟" سألته عندما انتهى الأمر.

"أفتح عينيّ، أرى العالم الأكبر حولي." بدأ يمسك قطع الجلد غير المدبوغ المُلقاة على الأرض، قطع أحتفظ بها لمشروعات أصغر كمدالياتِ المفاتيح ومحفظات النقود المعدنية.

"سأوصلكِ إلى المنزل." قال عندما جمعتُ كل الخامات.

"أستطيع تدبر أمري." حملتُ أربع حقائب ضخمة، اثنان عند كل فخذ بينما نتوقف بالخارج.

لم يلحّ عندما انضممت لصف الانتظار بمحطة الحافلات، بالعادة يمرّ اثنان أو ثلاث حافلات قبل أن ألتحق بواحدة لا تعجّ بالركاب لدرجة أنهم يميلون بخطر من الجوانب.

"مرّت سييرا بعد المدرسة اليوم." وقف جانبي، على الجانب الأقرب من الطريق يحميني من ذرات التراب التي تبعثرها السيارات المارة.

"جيد." لا أرغب أن يؤثر ما يحدث بيني وبين داميان عليها. "كيف كانت؟"

"مغرورة، قالت أنها سعيدة أنها ركلتني بين ساقيّ بأول مرة رأتني بها، أنني أستحق ذلك لأن ماما

لديها تسعة أظافر فقط تتمكن من طلائهم بدلاً من عشرة."

"ركلتك؟!" التوت شفتاي عند هذه الفكرة.

"كادت أن تقتلني بحق الجحيم. اليوم، هددتني بما هو أكثر. قالت أنها ستجعل الأمر يؤلم أكثر إن فعلت أي شيء يؤلمك مجدداً."

"إذا، كان حديثاً عادياً بين أب وابنته؟"

"هي تحدثت وأنا استمعت. ثم صنعت لها شيئاً لتأكله وأوصلتها للمنزل."

فكرت بآخر مرة طبخ لي داميان شيئاً، كانت ثمار البلانتين على الصخور الساخنة، تحت سماء داكنة. حين كنا الشخصين الوحيدين بالعالم.

"وصلت حافلتي."

نظر إليها وتجهم، أعرف أنه يريد حملي على كتفه وإلقائي بسيارته، لكنه منحني إيماءة مقتضبة وشاهدني أذهب، ثم تتبع الحافلة بسيارته طوال الطريق حتى محطتي قبل أن يعود إلى كاسا بالوما.

****

أتى داميان إلى الديموروس مجدداً باليوم التالي، لم يتكلم أو يتسكع بالمكان حيث أعمل، لكنه تقدّم عندما أصبحت مستعدة للرحيل وانضم إلى الصف بالمحطة معي.

"ماذا تفعل؟" لا أعرف ماذا يخطط، لكن ذلك يجعلني غير مرتاحة.

"ألتحق بالحافلة."

آخ، إنه مستحيل.

"جعلت سييرا تبدأ بعمل واجباتها،" قال. "إن لديها اختبار رياضيات غداً."

شعرت بلدغة من الغيرة، إنها يتقاربان، كل يوم بعد المدرسة. أنا يتوجب عليّ العمل طبقاً لجدول السجن وهذا يعني أنني أذهب البيت متأخرة.

عندما بدأت سييرا المدرسة بالبداية، جعلت جليسة أطفال تأخذها وتغطي الثغرة. لكن لم يدم الأمر طويلا، إن سييرا شخصية متفردة.. عنيدة ومستقلة تماماً كوالدها. أستطيع فهم حنق مامالو الآن.

إستيباندييدو! كانت تناديه هكذا بقمة غضبها.

عندما وصلت حافلتنا، حدقّ داميان بسخط بشاب ما حتى نهض وعرض عليّ مقعده، فأرحتُ الحقائب على فخذيّ بينما أحشر نفسي بين أم تسرح شعر طفلتها ورجل يحمل ديكاً رومياً أحمر اللون. لقد صنعنا ستة حقائب يد بجلد أحمر داكن ذا طراز رائع مع مقابض بلون الجمل ولا يزال متبقياً عليّ أن أوشمها بماركتي: وام!، في ذكرى وارن، أدريانا، ومامالو. تركت السيدة بجانبي المشط بشعر ابنتها لتجري يدها بإعجاب على الحقائب المصنوعة يدوياً. ترأجح داميان فوقي، متمسكاً بالمقبض المثبت بالسقف بينما نسير بالطريق المتعرج إلى بازا ديل مار. نزل معظم الركاب في الميدان الرئيسي، وبينما نترك واجهات المتاجر والمقاهي خلفنا.. جلس داميان على المقعد المقابل لي.

"ماذا؟" سألت.

"لا شيء." ردّ. "فقط أجلس هنا أفكر إلى أي مدى وصلتِ، وكيف يظغى عليّ شعور كم أنني أحبك."

حدق خارج النافذة وانقلب عالمي رأساً على عقب بينما تتخبط الحافلة باضطراب. نظرت لنفسي ورأيتُ نسخة باهتة لما كنتُ عليه، لم أقم بطلاء أظافري لسنوات، أصابع قدميّ تظهر عبر صندل ذا كعب منخفض للغاية والذي لم يصل للمعايير عندما صممته أول مرة، الشرائط سميكة للغاية لكن البطانة ناعمة ومتينة، لذا قررت أن أحتفظ به. شعري الكثيف الذي يصل لخصري الآن مقيد للخلف في ضفيرة مهملة، وأرتدي تنورة خفيفة وبلوزة عادية.. بعيدة كل البُعد عن صاحبة الأزياء الرفيعة التي اختطفها. أتمنى لو أستطيع رؤية نفسي بعينيه، ثم مجدداً.. إنه أبداً لم ينظر إليّ بعينيه، بل ينظر إليّ بروحه.

لم أقل أي شيء عندما هبط من الحافلة معي، أخذ الحقائب من يديّ وحملهم حتى شقتي.

"تريد... الدخول؟" سألت حين استدار ليرحل، غير راغبة بذهابه رغم أن جزء مني يردد: لا تدعيه يدخل، لا تدعيه يدخل، لا تدعيه

يدخل.
"عندما تعنين ذلك، جويريتا." ورحل قبل أن أتمكن من قول شيء.
"أكان ذلك باندیدو؟" سألتني سييرا عندما فتحت الباب.
"أجل، وأنتِ تحتاجين أن تتوقفي عن مناداته هكذا."
"باندیدو،" كررت.
"باذ-داد-و." مطت الكلمة على شفتيها وهي تنحني على كتبها.
"داد. -أبي-" توقفت عما تفعله وحدقت بالفراغ، ثم أمسكت قلمها وأومأت.
"بابا." قالت بنعومة تتذوق الكلمة بفمها.
لثاني مرة بهذا اليوم، ينقلب عالمي رأساً على عقب. أكنت مخطئة أنني أبعدت داميان؟ أكنت أمنعنا من أن نكون عائلة كبيرة محبة؟ ليس لدي الإجابات، كل ما أعرفه أن حبه حطمني.. وأبداً لن أقدر على لملمة شتات نفسي مرة ثانية إن تركته يكسرني مجدداً.

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

الجزء الخامس :: سكاي

::: الفصل الرابع والثلاثون :::

لطالما كان العشاء في كاسا بالوما يُقدّم في الباحة، لا أتذكر عندما كانت أمي موجودة لكن التقليد الذي وضعته استمر بعد وفاتها، إنها لطالما فضلت تناول العشاء في الهواء الطلق، أتذكر آخر مرة تناولت العشاء أنا ووالدي هناك.. مُحاطين بالأشجار العطرة الفواحة والأضواء الناعمة المتلألئة.

من الغريب العودة الآن كضيفة، ورؤية منزل طفولتي بعد كل هذه السنوات، آخر مرة جئت لأرى داميان لم أتوقف لأتأمل جمال المكان... السقف الطويل الذي يصدح بصدى ضحكاتنا، المطبخ حيث كانت مامالو تصنع لنا البطاطا الحلوة. أعطت التجديدات حياة جديدة للقصر، لكن ما يزال أساسه واحد.

تنشقت الحنين لزمن آخر بينما أسير بالمنزل، لا تقدر أي كمية من الطلاء أو الصنفرة على محو رائحة كاسا بالوما، فهي بروحي.

"داميان؟" أملت رأسي داخل غرفة الطعام، الطاولة الآن متأنقة بالخشب الداكن.. لكن

لا يزال الصندوق الذي كان يختبيء به داميان كما هو.
"سييرا؟" تتبعتُ صوت ضحكاتها بالخارج، ووجدتهما مسترخيان تحت شجرة... أب وابنته، ينظران لأعلى حيث الغيوم.
"تلك تشبه ذيل الأرنب،" قال داميان.
"أين الأرنب؟" ضيقت سييرا عيونها. "أوه، هناك. وقد سحبه ذلك الـ(ديمينتور*)، أترى أذنه البارزة؟"
"رغم كونك طفلة فاتنة، فأنتِ فتاة غير...."
"ماما!" لمحتني سييرا أولا. "تعالي اجلسي."
الوقت آخر النهار بيوم السبت، يوم إجازتي. عرض داميان أن يجالس سييرا حتى أستطيع الاعتناء بالشحنات هذا الأسبوع، إن معظم بضائعي تذهب إلى متاجر حصرية في الولايات لكن بعد عرض قطعة صغيرة في مجلة أزياء، بدأت أتلقى الطلبات من كل مكان. تنهدت بينما أتمدد بجانب سييرا، لقد قبلت دعوة داميان على العشاء في كاسا بالوما، لكنني مرهقة ولا زلت لم أنهي جميع الطلبات. نظرت إلى أوراق الشجر الخضراء المتأرجحة فوقي، لا يزال هناك بضعة أشهر قبل أن تبدأ الأزهار الصفراء بالظهور، لكن النسيم دافيء والعشب يدغدغ بشرتي.
لابد أنني نمت لأن ثاني شيء أعرفه، داميان يقف فوقي.
"إن العشاء جاهز،" قال مادا يده إليّ.
بنيته محددة بسماء الليل، نفس البنية التي رأيتها خلال الصندوق الخشبي على القارب، حيث كان يأسرني. إلى الآن لا زلت أرتعب منه، لكن بطريقة مختلفة، إنه يجعلني أشتاق لأشياء دفنتها، وكل مرة أكون بها جانبه.. تثور في قبرها مهددة بالتحرر.
أنا أفعل هذا لـ سييرا، ذكرتُ نفسي وأنا أمسك

مخلوق بلا روح تابع للظلام، تم تقديمه ضمن سلسلة هاري بوتر للكاتبة J. K. Rowling حيث كانوا حراس سجن أزكابان قبل عودة اللورد فولدمورت

بيده. إنها تستحق والدين يستطيعان التصرف بتحضر مع بعضهما.
تبعتُ داميان للداخل وتجمدتُ.
"سكاي." أحنى رافاييل رأسه.
الرجل الذي كان مستعداً لقتلي بيوم ما، ثم مجدداً.. أستطيع قول ذات الشيء عن داميان.
"أعتذر عن التطفل، فكرت أن أفاجيء داميان ولم أكن أعلم أنكِ وسيرا ستكونان هنا." قال.
"أخبرت رافاييل أنه مُرحَب به على العشاء." إن داميان لا يسألني. منزله، قواعده. والثلاثة أشخاص الذين يهتم بهم تحت سقف واحد.
تحملي الأمر، وتصرفي بلطف.
لم يتخذ الأمر وقتاً طويلاً قبل أن أتعامل بتلقائية مع رافاييل، أتفهم أن الأمر لم يكن يوماً شخصياً.. هو فقط كان يعتني بصديقه.
تناولنا وجبة بسيطة في الباحة: باستا مع اللحم وجبن الـ كوتيجا.. جبن سهل التفتت تحبه سيرا. ابتسمت حين انقضت على الطعام، إن موهبتي بالطبخ لم تتحسن كثيراً، صحيح أنها أبداً لم تشتكِ لكنها من الواضح تفضّل طبخ داميان.
"بالحقيقة لقد مررتُ كي أعطيكَ هذا." أعطى رافاييل لداميان ظرفاً لامعاً ومزخرفاً.. منقوشاً عليه حروف الأولى من اسم ما.
"ستتزوج؟!" قال داميان بينما يقرأ البطاقة داخله. "ياللجحيم!"
ثم أكملا الأمر بضربات سعيدة على الظهر.
"أنتم كلكم مدعوون،" قال رافاييل وهو ينظر إلـ سيرا ولي. "الحفل في كنيسة الملاك سان ميغيل، وحفل الاستقبال في مطعم كاميلا."
كان على وشك الإضاحة أكثر عندما رنّ هاتفه. "آسف." اعتذر. "يجب أن أتلقى هذه المكالمة." من الابتسامة على وجهه، بالطبع كانت هذه عروسه المستقبلية.
"إذاً، متى سأقابلها؟" سأل داميان عندما عاد رافاييل.
"سوف تصلِ غداً، إننا سنبقى في فندق بـ بازا ديل مار وأنا أتيت أبكر كي أخبرك."

"أخيراً أطلقت الرصاصة؟"
"بالتأكيد فعلت." وضع رافاييل هاتفه على الطاولة ورفع كأسه.
"إلى الأصدقاء القدامى،" قال.
"إلى الأصدقاء القدامى." رفعنا كؤوسنا في نخب.
إن قلبي وقلبك أصدقاء حقاً حقاً قدامى، قالت عينا داميان لي.
شعرت بالامتنان عندما نهض ومرت اللحظة، أقنعت سييرا رافاييل أن يلعب معها لعبة إلكترونية بينما ننظف أنا وداميان المائدة.
"لا أعرف إن كانت هذه لعبة ملائمة لها لتلعبها مع رافاييل،" قال داميان.
"يبدو أنها تتدبر أمرها جيداً."
"ليست سييرا مَن أنا قلق بشأنها."
تلاقت عيوننا بينما يئن رافاييل على الأريكة، إن سييرا تستغل جيداً ردود أفعاله على صوت طلقات الأسلحة.
"ابنة الشيطان،" قال رافاييل لتضحك سييرا.
التوت شفتاه داميان، وتوجب عليّ النظر بعيداً كي أمنع نفسي من الضحك.

******

وجدنا سييرا في غرفتي القديمة بعدما رحل رافاييل، كانت مكورة على السرير تحتضن الوسادة في نومها. جلس داميان عند نهاية السرير يتأملها.
"أنا لم أرها أبداً وهي نائمة، عن قرب."
ملحوظة صغيرة، قالها لنفسه أكثر مني، لكنها قبضت مخالبها على قلبي. لقد فوّت الكثير من اللحظات التي أعتبرها أنا أمراً مسلماً به.
"إنها نصف مامالو، ونصف أدريانا." قال.
لم ترث سييرا أياً من ألواني، لا لون شعري الأشقر ولا العيون الرمادية. عندما نسير بالشارع، يدها السمراء بين يدي، يفترض الناس أنني المربية. فهي لديها ملامح والدتي الأرستقراطية وتواضع مامالو، عيونها أدريانا وابتسامتها مامالو.
"دعنا لو نوقظها،" قلت. "ربما من الأفضل أن تنام هنا." لم أكن أرغب بإنكاره متعة مشاهدة ابنته وهي نائمة.

"عندما أغلق عينيّ، يبدو كأن لا شيء تغيّر." قال، صوته هامس لدرجة بالكاد استطعت فهم الكلمات. "يوجد فتاة صغيرة بهذه الغرفة وقد سرقت قلبي. للمرة الثانية."

سعدت أنه يبقي عينيه على سييرا، فالأمر يطغى عليّ.. أن أعود مجدداً لغرفتي معه، لكن أن يذكرني بكل الطرق التي أحبني بها عندما كنا أطفالا فهو ما لا أقدر على تحمله.

أزال داميان جورب سييرا حذراً ألا يوقظها، ثم قبّل باطن قدميها برقة قبل أن يدثرها بالغطاء.

"شكراً لك،" قال. "لسماحك لها بالبقاء."

أومأت لأنني لا أقدر على الكلام، يؤلمني حدّ الجحيم تركها هنا.. فأنا حتى لا أستطيع تذكر قضاء ليلة واحدة بعيدة عنها.

"لِمَ لا تبقين؟"

يستطيع الرجل قراءتي جيداً، جيداً للغاية.

لكن لا يمكنني قبول الدعوة، سيكون الأمر مساوياً لدخول عرين الأسد.

"يمكنك النوم معها، إنها ليلتها الأولى هنا. ربما تستيقظ منزعجة."

ترددت، إنني مرهقة حقاً. لا أرغب بشيء أكثر من الزحف للسرير، وهو محق. إنها ليست معتادة على الاستيقاظ بمكان مختلف.

لم ينتظر داميان إجابة. "هناك فرشاة أسنان إضافية وكذلك المناشف في الحمام. هل تحتاجين أي شيء آخر؟"

أجل، أحتاج أن تصبح الأشياء صحيحة مجدداً حتى أتمكن من التواجد معك، حتى لا يتوجب علينا قول ليلة سعيدة.

"ليلة سعيدة، داميان."

"ليلة سعيدة، سكاي." أغلق الباب خلفه. فزفرتُ نفساً ورقدت بجانب سييرا.

لم تعد الغرفة أنثوية بعد الآن، تم استبدال الأثاث الوردي والكريمي بألوان جريئة زاهية أمام الخلفية الناعمة المحايدة، جدار واحد مغطى برسوم الطباشير ولعبة تيك-تاك-تو. الـ(X) الخاصة بداميان والـ(O) التابعة لسييرا.

لا تزال الرفوف كما هي لكن قام داميان

بإضافة طبقة جديدة من الطلاء. تلكأت عيناي على البجعات الورقية المرتبة في صفوف عليهم، عرض كوميدي لمحاولات سييرا الفاشلة، وأدركت كم أصبح داميان وسييرا مقربين في فترة صغيرة من الزمن، تبدو الغرفة كشيء قامت سييرا بالمساعدة في إنشائه، يعجّ بشخصيتها. نهضت وكنت على وشك التخلص من بنطالي عندما نظرت خارج النافذة، كان داميان يسير بالطريق الذي يؤدي إلى جناح الخدم. اختفى خلف الأشجار، وبعد فترة فتح الضوء بواحدة من الغرف. غرفة مامالو. تساءلت ماذا يفعل هناك بينما أنظف أسناني. وعندما عدت، وجدت الضوء ما زال مشتعلاً. فكرت للحظات قبل أن أرتدي حذائي، أردت أن أرى غرفة مامالو.. إنها أبداً لم تدعني أرافقها إلى هناك، بإصرار أن الأمر ليس ملائماً أن أذهب هناك. حسناً، الليلة هي فرصتي لرؤيتها أخيراً.

كان الباب مفتوحاً عندما دخلت. "داميان؟" نظرت بالداخل. لم يكن هناك لذا سمحت لنفسي بالدخول.

الغرفة صغيرة ومؤثثة على نحو بسيط للغاية، يوجد لمبة عارية مثبتة بالسقف، السرير مرتب لكن الوسادة مغطاة بملابس داميان. أمسكت بعلبة الـ (لاكي سترايك) الجالسة على حافة منضدة بالية. لقد تمسك بها، آخر رابط مادي بـ مامالو.

عرفت الآن لماذا لم تكن ترغب بزيارتي، لا أستطيع تخيلهما يعيشان بهذه المساحة الصغيرة الضيقة بينما يعج كاسا بالوما بالغرف والغرف الفارغة. لم أكن أفهم الفرق حينها، لكن داميان فعل. فقد اختبر الجانب الآخر من الثروة والنفوذ، سبب عدم السماح له بحضور حفلات عيد مولدي، سبب حضوري دروساً خاصة بينما يختبيء هو بالصندوق. كنت لأكره العيش بظلال القصر الكبير، أشاهد طعاماً يحظى آخرون بتناوله، السيارات التي يقودونها، الحفلات ذات الموسيقى والأضواء اللامعة. كنت لأكره أن تؤخذ أمي مني، أن أعتني بشخص آخر، لكن

تخطى داميان كل ذلك، وأحبني. لم يشتكِ يوماً أو يُقارن، فقط تقبّل، واستمر بتقبّل الأمور حتى تم حرمانه من كل شيء.
واقفة في الغرفة التي تشاركها مع مامالو، شعرتُ كأنني أرتدي جلده. استطعتُ رؤيتهم وهم يمزقونهما وسط الليل، آخر مرة رآها بها. أهو حقاً رآها؟ أم أن المكان كان معتماً بشدة؟ بأي لحظة كسرَ إيمانه بالعالم، ذلك الإيمان الذي يُولد كل طفل به؟ كاتمة لشهقة كادت تفلت مني، استدرتُ لأرحل، بنفس اللحظة التي خطا بها داميان للداخل. كان يمسح وجهه بمنشفة، وتوقف فجأة حين رآني.
"ما الخطب؟" سأل لأهز رأسي، كان يجب أن أستمع لـ مامالو. لم يكن عليّ أبداً المجيء هنا.
"سكاي."
الطريقة التي قالها بها كادت تكسرني، ربما يبدو داميان كالفولاذ من الخارج، لكن مشاعره عميقة حقاً. لم يكن يقوم بأي شيء حتى نصف الطريق، عندما يكره، يكره بكل خلية بجسده، وعندما يحب... رباه، حين يحب.. يقول اسمك هكذا، كتنهيدة من أعماق روحه، ملفوفة حول لسانه.
"ماذا تفعل هنا؟" سألتُ.
"أنا أنام هنا."
"تنام... هنا؟" نظرتُ حولي. هذا يفسر الملابس على السرير ولماذا هو لا يرتدي سوى ذاك الشورت. الدفء المنبعث من بشرته كمدفئة في مساحة صغيرة.
"لماذا قد تنام....؟" توقفتُ. فجأة ضربني سبب هجر داميان لرفاهية كاسا بالوما لأجل جناح الخدم، إنه لا يظن أنه ينتمي إلى هناك. لا يظن أنه جيد كفاية. ربما هو اشترى المكان وأعاد ترميمه لكنه يفضل التواجد هنا، حيث شعر لآخر مرة بالحب، حيث لا يتآكله الذنب لما فعل. كاسا بالوما لي، وقد كان يحاول استعادة كل الأشياء التي يظن أنه سلبها مني.
سواء قلتِ نعم، أو لا، ستكونين دائماً الأبد بالنسبة لي.

التمعت عيناي بدموع حبيسة، حدقتُ بقدميّ محاولة احتواء اندفاع العواطف الذي يسدّ حلقي، كلماتٍ عالقة به لأن هناك الكثير منها.. كلها تحارب لتخرج.

"تعال." مددت يدي. "لمنزلك." الكلمتان الوحيدتان اللتان تمكنتا من الهروب. أصبحتُ غير قادرة على الجدال أكثر، حبي لداميان ربما يدمرني، لكن عدم حبه يقتلني.

لم أنتظر جواباً، أخذت يده، أغلقت الضوء وقدته معي إلى القصر.

"انتظري،" قال عند الباب. "أنا لا...."

"أحبك، داميان. دائماً أنتَ، فقط أنتَ. هنا حيث تنتمي، معي وسيرا."

"لكنك قلت...."

"أعرف، قلتُ الكثير من الأشياء. لكَ ولنفسي، ثم تذكرتُ ما قلت. الحب لا يموت. تلك حقيقة، داميان. أنا لم أتوقف أبداً عن حبك، منذ كنتُ فتاة صغيرة بتلك الغرفة. عندما أتبع قلبي، دائماً يقودني مجدداً إليك."

للحظة، نظر إليّ داميان فقط. إن لديه ما تمنى دائماً، لكنه يواجه حاجزاً أخيراً، معركة أخيرة مع نفسه. أيستحق الإنقاذ؟ الحب؟ المغفرة؟ ذلك شيء هو فقط مَن يستطيع أن يقرره.

أحنى جبهته على جبهتي وأغلق عينيه. "أنا متعب للغاية، جويريتا. متعب من ادعاء أنني أقدر على المضي قدماً بدونك بينما يكسر ذلك قلبي تماماً. أخبريني أن هذه هي. أخبريني أن هذه هي الأبدية. أنتِ، أنا، وسيرا."

أخبرته ما يريد سماعه بقبلة، وعد هامس ناعم على شفتيه. كل عضلة بجسده استرخت كأنه أخيراً ترك حملاً ثقيلاً.

"أريد تذكر هذا،" قال جاذباً إياي بين ذراعيه. "إن متُ الليلة، أريد أن أموت وأنا أتذكر ما هو شعور احتضان العالم بأكمله بين ذراعيّ."

صعدنا الدرجات حتى الغرفة الرئيسية، عندما أغلق داميان الباب.. بدأت ساقاي بالارتجاف. أنا لا أعرف أبداً ما أتوقع معه، يتلاعب بجسدي ط ك مايسترو.. بأوقات يكون النغم عنيفاً بدائياً،

وأوقات قصيدة ملحنة بحرفية.
"انزعي ملابسك واذهبي للسرير." قال.
فعلت كما قال، أرتجف من التوتر والانتظار. لم أكن مع أي رجل طوال الثمانية أعوام، كما أن جسدي تغيّر بعد سييرا. خلعت صدريتي لكني أبقيت البلوزة.
تحرك السرير عندما أتى جانبي، تسلل ذراع حول كتفي مقرباً إياي من صدره، بشرته دافئة وناعمة تحت خدي. رباه، كم اشتقت لملمسه، رائحته، خفقات قلبه الثابتة.
"نامي." قبّل قمة جبهتي، ممسداً شعري كأنه مصنوع من أرقى أنواع الذهب.
لابد أنني أبديت ما يُظهر التفاجؤ لأنه ضحك، *لقد كنت أتوقع لقاءاً ملتهباً!*
"فقط هذا،" قال. "هذا جيد جداً جداً."
آخر مرة كنا معاً، عندما قاطعتنا سييرا، كان كثور هائج، ورغم أنني أستطيع الشعور برغبته التي لا يمكن إنكارها.. فأستطيع أيضاً الشعور بشيء آخر، إن داميان راضٍ. لأول مرة، لا أحد يحاوطنا، لا أحد يفرقنا. لقد وجدنا الطريق للعودة لبعضنا مجدداً، إننا أخيراً أحرار لنكون معاً. شعور أراد داميان تذوقه، شيء يتخطى الشهوة والرغبة والمتعة، حسّ من الانتماء يلغي الحدود بين شخصين، عندما تجد كاحلك يلتف حول كاحل شخص آخر، أو تتشابك أصابعكما، ويكون الأمر طبيعياً للغاية، تلقائياً للغاية، لدرجة أنك لا تعي أنه يحدث. عندما أفكر بالرب، أفكر بكل هذه الأشياء السحرية، ومضاعفة بالأبدية.
"أكانت صعبة؟ ولادة سييرا؟" لا يزال داميان يمسد شعري.
"أجل." لن أكذب. "لكن الأمر متعلق بقلبي أكثر من جسدي."
رقدنا في صمت لفترة، بينما تغرقنا معرفة أننا كنا لنفعلها مجدداً، لأجل تلك المعجزة الصغيرة النائمة بالغرفة المجاورة.
"أسميتها على اسم الجبال في تهويدة مامالو."قال.
"أجل، فعلت." ابتسمت. "هل أخبرتك ما اسمها

الأوسط؟" هزّ رأسه نفياً.
"ماريانا."
"مامالو وأدريانا." تحرك داميان حتى أصبحنا نرقد جنباً إلى جنب على السرير. "إن قدميها تماماً مثل قدميكِ."
"ليسا كذلك!"
"بلى، رأيتهما عندما دثرتها بالسرير الليلة، الإصبع الكبير لا يرغب بأي شيء يتعلق ببقية الأصابع. هنالك تلك المسافة الكبيرة بينه وبينهم."
"إن قدميّ ليسا هكذا."
"أوه لا؟" أطاح داميان بالأغطية جانباً وانحنى عند قدمي. "أترين هذا؟" أمسك بإصبعي الكبير. "أستطيع أن أضع أنفي بالكامل بينه وبين الإصبع التالي." وأكمل محاولا إثبات رأيه فبدأت أضحك لأن ذلك يدغدغ، لكن حينها لمحتُ قبساً من شيء ما وتوقفت أنفاسي.
لقد عاد إستيبان.
"ماذا؟" سأل داميان، بينما ينزلق بجانبي مجدداً.
"لا شيء." أبعدتُ شعره بعيداً عن جبهته وقبّلته على أنفه. "أحبك."
"أنا أيضاً أحبكِ، جويريتا." رفع إصبعي يدي الصغير إلى صدره، قرب قلبه. "والآن سوف أقبّلك حتى تشعرين بها في قمة إصبع قدمكِ الغير اجتماعي."
وقد فعل، امتد كفه لخلف عنقي بينما الآخر يقربني منه تماماً حتى أصبح كل إنش من جسدي على اتصال كهربائي حار مع كل إنش منه. انحنى ظهري بينما يجذب ساقي فوق ساقه، يثني ركبتي حول فخذه، مقبلا إياي لتهرب مني أنة بينما نقع في إيقاع متناغم.
"لقد مرّ وقت طويل، سكاي، أنا لن أصمد." صوته مكتوم في عنقي، وجهه مدسوس بشعري.
"لا أظنني سأفعل أيضاً." إنني أدور خارج السيطرة، مستعدة تماماً لامتلاكه فلا أقدر على التركيز بأي شيء آخر.
طارت كل سيطرتي خارج النافذة عندما تسللت لمساته تلعب برقة على أوتار الشغف بيننا.

"داميان." التفت أصابعي بشعره.
"دعيني أنظر إليك." قال موقفاً قبلتنا يمرر أصابعه الحانية بكل الأماكن الصحيحة مشعلاً اللهيب داخل عروقي، وبحركة يطغى عليها الشوق قبلته بعنقه بينما يتحرك ذراعاي على طول ظهره.
"لم يكن يجب عليك فعل ذلك،" زمجر. "لأن الآن يتوجب عليّ فعل هذا."
امتلكني، بحركة واحدة قوية شغوفة، احتج جسدي لكنني غارقة تماماً، جائعة تماماً له فلم يتبق شيء سوى الاشتياق والتوق.
"لم تكوني مع أحد آخر." لقد عرف، عرف بحق الجحيم. رفع حدة الإيقاع بيننا حاملاً إياي معه.
"لقد اشتقت لهذا، اشتقت إليك بشدة، كثيراً."
أنفاسه حارة ولاهثة.
نمت الشرارات الكهربية من قاع عمودي الفقري وبدأت تتجمع وتنمو حتى أصبحت انفجاراً حاراً جرى عبري كأمواج عالية، تمسكت بداميان وشعرت به يتصلب لحظياً قبل أن تمتزج أجسادنا وأرواحنا. هدأنا بعدها، قلوبنا أولاً.. ثم أنفاسنا.
"أنا لا أريد الابتعاد،" بقي داميان ملتصقاً بي، مسترخياً لكن دون أن يفك ذراعيه من حولي.
"إذاً لا تفعل." تركت ساقيّ تلتفان حوله.
"والإجابة هي نعم."
"ما هو السؤال؟"
"أنتَ سألت إن كنتُ سأتزوجك، الإجابة نعم."
"ذلك حين كان لديك خيار، حاولي التخلص مني الآن."
"كيف يفترض أن أفعل هذا وأنتَ تحاصرني بين ذراعيك هكذا؟"
"اعتادي الأمر، فأنا سأنتقل للعيش بين أحضانك.. في المرة التالية، ربما أتوقف كفاية لأخلع عنك بلوزتك."
ضحكت، لكن ضحكاتي خفتت سريعاً.
"ما الأمر؟"
إنه يعرف كل تفصيلة بملامحي لكنه ينظر إليّ الآن كأنني جديدة بالكامل، يده تعيد شعري إلى الخلف كاشفة عنقي. "فقط أتأكد أن هذا

حقيقي." طبع قبلة ناعمة قبل أن يبعد رأسه ويدسني في منحنى ذراعه. "تعتقدين أن هناك شيء يُدعى سعادة أكثر من اللازم؟" سأل.
"لأنني، الآن تماماً، أشعر أنني لا أستطيع احتواء سعادتي وأن الكون سيتدخل ليعيد التوازن."
"إن الكون يتدخل الآن، ليصحح كل الأخطاء، داميان. ليس العكس."
ارتفع صدره وهبط في زفرة طويلة، عندما يأخذ العالم دائماً منك، عندما يميل باستمرار ويهتز تحت قدميك، يصبح من الصعب التفكير باحتمالية دوام الأشياء التي يمنحها.
احتضنني كأنني أكثر شيء غال في العالم، شعرت أن كل خلية مشبعة بالفرحة، ممتلئة ومنتفخة من كثرة البهجة. شعرت ك الآيس كريم والأصداف والأحذية ذات الكعب العالي والنعل الأحمر.
ربما أكون أصلحتُ الفجوة بين أسناني، ماملو، لكن لم يحتج حبي الحقيقي فجوة يتسلل منها قلبه إليّ، فقد كنت أمتلكه طوال الوقت.

احتضنته أكثر وابتسمتُ، سعيدة أكثر مما كنتُ يوماً.
"أين تظنين نفسكِ ذاهبة؟" سأل داميان، عندما طوحت ساقيّ من على السرير بعد عدة دقائق.
"أريد الاطمئنان على سييرا." بحثتُ عن قطعتي الداخلية التحتية وارتديتها.
"أسرعي. أفتقدكِ."
ضحكتُ وفتحتُ الباب، الرواق مظلم لكنني أعرف المنزل كظهر يدي. يوجد ضوءاً ليلياً في غرفة سييرا، لقد ركلت الغطاء ويتدلى الآن ذراعها من على الحافة. أعدتُ الغطاء فوقها وأزحتها إلى منتصف السرير، فلم تتحرك. أعدتُ ذراعها تحت الغطاء وكنت على وشك الرحيل عندما لاحظتُ شيئاً على المنضدة الجانبية. أمسكته وعبست. محقن!
متأكدة تماماً أنني لم أره من قبل، أياً كانت الجرعة داخله فقد تم استخدامها، لكن لماذا قد يترك داميان محقناً هنا؟
خاصة بوجود سييرا....

"لا تتحركي." ظهر جسداً من بين الظلال.
شعرت بشيء بارد يضغط على صدغي، مسدس.
أعرف أنه مسدس لأن داميان بوقت من الأوقات دسّ واحداً بظهر رأسي. وشعرت الآن بنفس إحساس الغرق الذي شعرته حينها، عدا أنه هذه المرة أعمق بكثير حقاً.
"ناديه." شدني المقتحم نحو الباب.
"مَن؟"
"توقفي عن الألعاب، سكاي. نادي إستيبان أو داميان أو أياً يكن الاسم اللعين الذي يستخدمه هذه الأيام."
إنني أعرف هذا الصوت.
"فيكتور!" استدرت لأواجهه لكنه ضربني بمسدسه، ضربة لاذعة بخدّي.
"افعلي كما أقول أو ستموت." أشار إلى سييرا.
"داميان،" ناديت، لكن ارتجف صوتي.
أوه يا إلهي، المحقن. ماذا فعل لـ سييرا؟
"أعلى،" لكزني فيكتور.
"داميان."

خطا خارج غرفة النوم، يجذب قميصاً فوق رأسه.
"سكاي؟" صوته دافيء ومسترخ تماماً، فعضيت شفتي لأسيطر على العذاب. إن لا فكرة لديه عما يسير نحوه.
تعتقدين أن هناك شيء يُدعى سعادة أكثر من اللازم؟
أبعدني فيكتور عن الباب. كنا نقف وسط الغرفة، مسدسه مصوب نحوي، عندما دخل داميان. لثانية فاصلة، تجمد، ثم دبّ به شيء ما.. ربما تدريبه في كابوراس أو ربما شخصيته المسيطرة. بكل الطرق، قيّم داميان الموقف وفعل ما هو عكس الذعر: أصبح هادئاً تماماً.
"أياً كان ما تريده، فيكتور. اتركهما وسيكون لك."
"أريد استعادة ذراعي، أيها اللعين! تظن أنكَ تستطيع منحي ذلك؟ لأنه إن كنتَ تقدر على إعادة توصيل كل عصب قطعته، فابدأ على الفور. أتعلم ما هو حال مَن يسير بذراع مشلول في عملي؟ لقد فقدت كل شيء. أنا...."

"أوقف الدراما، فيكتور. أفهم الأمر، لقد كان ذراعك المهيمن، لا يمكنك التصويب، أو فتح علبة أو المداعبة. تلقيتَ ضربة في العمل، عمل من اختيارك أنتَ، والآن تعتبرني مسئولا عن ذلك. ماذا تريد؟"

اتخذ الأمر لحظات ليستجمع بها فيكتور نفسه، لقد كان يتوقع الخوف، الخضوع، الإذعان.

"أريدك أن تدفع الثمن،" قال. "لقد كنت أنتظر أن تخرج من السجن. بالطبع، لم أكن أتوقع هذا اللقاء الحميم." أمال رأسه ناحيتي وسييرا. "عائلة جاهزة، داميان. الابن اللقيط لديه ابنة لقيطة."

اشتدت قبضتا داميان.

"إن فعلتَ أي شيء لتؤذيها...."

"لا تقلق، أنا لم أؤذ شعرة على رأسها حتى. فقط أعطيتها مهدئاً صغيراً. فأنا لا أحبذ حقاً مجالسة الأطفال الصارخين في هذه المواقف."

"أنتَ خدرتَ ابنتي؟!" برز عصباً بجبهة داميان، واحد لم أره من قبل.

ضحك فيكتور. "أنتَ خدرتَ ابنة وارن، أليس كذلك؟ لا يعجبك الأمر حينما تنقلب الطاولات، صحيح؟" قربني منه أكثر.

"مشكلتك معي، ليست معهما."

"ومشكلتك كانت مع وارن، لكن لم يوقفك ذلك عن اختطاف سكاي. تحدث الإصابات وسط تبادل النيران." هز فيكتور كتفيه. "أنتَ تعلم ذلك."

كان يتسلل تحت جلد داميان، يجعله يعيش رعب إصابتي مجدداً.

"أنتَ وأنا متشابهان أكثر مما تعتقد،" قال.

"مجرمان بالطبيعة. أنتَ حقاً لا تعتقد أنكَ تقدر على البدء من جديد، أتفعل؟ لطالما ظننتُ أنها فكرة رائعة، التلاعب بـ سكاي للإيقاع بوارن، لكنني الآن بدأتُ أظن أنكَ حقاً تظن أنكَ واقع بحبها. سأوفر عليكَ العناء، إن النساء أمثالها لا يحببن الرجال أمثالنا. أنا أحببتُ والدتك، لكنها نبذتني. قالت أنها تريد قدوة أفضل لكَ. كرهتها، وكرهتك. لقد أعطاني وارن مبلغاً جيداً من المال لأبقيها مرتاحة في ڤالديموروس،

وأنا تركتها لتتعفن هناك. كان يجب أن أنهيك أنت أيضاً. عدت مجدداً لتعضني، لكنني لا زلت أمتلك الكلمة الأخيرة."

"لا يتوجب عليك فعل هذا،" قال داميان. "خُذ كل شيء. أستطيع إمدادك بما يكفي لبقية حياتك، لن تحتاج لشيء أبداً."

بدا كلامه مثل ما قلته له على القارب، بينما أفاوض لأجل حريتي. تكونت عقدة باردة في معدتي. لا شيء كان سيردع داميان وقتها.. تعطشه للثأر ترك أثراً معاكساً يحدق بنا الآن.

"تعتقد أن هذا يتعلق بالمال؟" ضحك فيكتور. "لقد حصلت على تسوية ضخمة من وارن، جزء من اتفاقنا. وأستلم مبلغاً جيداً بسبب الإعاقة كل شهر. إن هذا لا يتعلق بالمال، بل بشأن...."

"الانتقام." قال داميان الكلمة كأنما تملأ فمه بالسمّ. "ثق بي، أنا أفهمه جيداً. لكنه لن يجلب لك أي شيء، فيكتور. إنه وعد فارغ. ابتعد و..."

"يكفينا دردشة!" صاح فيكتور. "أي واحد أولا؟ هي؟" صوّب مسدسه نحوي. "أم هي؟" بدأت أرتجف عندما وجهه نحو سييرا. إن الأخطار عالية للغاية، لا يستطيع داميان المخاطرة بالهجوم عليه، ليس وكلتانا تحت رحمته.

"خذني." رفع داميان يديه وركع على ركبتيه. "هنا تماماً، حالا والآن. اضرب قدر ما ترغب من الرصاصات بي، أنت لا تريدهما حقاً."

اشتد الخوف الشديد حول قلبي، إنه يعني كل كلمة. إن داميان مستعد تماماً ليقدم حياته فداءً لـ سييرا ولي. بل يريد فعل ذلك، إنه يلوم نفسه على جلبه هذا لنا. لو أنه بقي مبتعداً، عندها لم نكن لنأتي هنا.

ربما يوماً ما أصبح البطل الذي تستحقينه أنتِ ووالدتكِ.

"إن الشهود محض فوضى، داميان. كلكم موتى بكل الأحوال،" قال فيكتور. "اختر. أو سأختار عنك." بدأ قلبي يخفق بعنف بينما تمرّ صور مخيفة بعقلي.

"ماذا تفعلين، سكاي؟" أخرجني صوت داميان من دوامتي. *أقاتل وأقاتل بشدة.*

رفعتُ المحقن الذي أحمله وغرزته بفخذ فيكتور، صرخ وتركني لينقض عليه داميان بنفس الوقت، موقعاً إياه أرضاً. سحب فيكتور المحقن من لحمه ونهض، لا يزال يحملِ المسدس. وقف داميان كدرع بينه وبيني، عرفت أن ذلك هو ما كان يخطط له.

"لا تفعل،"

فعلها بكل الأحوال، ألقى بنفسه على فيكتور. انطلقت طلقة من المسدس لكن داميان ضرب يد فيكتور لذا انطلقت نحو السقف، تطوح الرجلان نحو المدخل ووقعا على الدرابزين المؤدي إلى البهو. المكان مظلم لكنني استطعت تمييز جسديهما، يتصارعان للسيطرة. لا يزال المسدس مع فيكتور، لكن مع ذراع مشلول، لا يُعدّ خصماً لـ داميان. فقد قبضته وسقط السلاح أسفل الدرجات، فلكمه داميان. بقوة. مرتين في الأحشاء ليترنح فيكتور.

عندما استقام، كان يحمل مسدساً آخر.

"دائماً أحمل واحداً احتياطياً." ابتسم، لكن الألم بأحشائه جعله يجفل عندما حاول التحرك. "أعتقد أننا أضعنا ما يكفي من الوقت، أليس صحيحاً؟ اركعا. كليكما!"

كان يقِف أعلى درجات السلم، مواجهاً للغرفة.

"هي أولا، ثم أنت، ثم الطفلة،" قال لـ داميان.

لقد تدبر الأمر بحيث بكل الطرق، يصبح لدى داميان ما يخسره. طالما يوجه مسدسه نحوي، فهو يعلم جيداً أن داميان لن يحاول أي شيء. وبمجرد أن يقتلني، لا يزال لديه سييرا كعامل قوة.

أمسكت أنا وداميان أيدي بعضنا بينما نركع، لا أعرف متى بدأت البكاء، لكن الآن تسيل الدموع على خديّ. هنا بدأ الأمر، وهنا سينتهي. نحن الثلاثة في ليلة واحدة.

"أرجوك لا تؤذِها،" توسلتُ فيكتور. "إنها مجرد طفلة صغيرة."

"إنها محظوظة، سوف ترحل أثناء نومها." ردّ.

اعتصرت أصابع داميان أصابعي، بشدة حتى ظننتُ أن عظامي ستتنكسر. تلك هي الطريقة الوحيدة التي يقدر بها على منع نفسه من تمزيق

حلق فيكتور. لو سعى خلفه، يخاطر بخسارتي، لكن إن انتظر، فهو يخاطر بخسارة سييرا.
"بعد خمسة، داميان،" همست.
اتسعت عيناه قليلا.
5...
إننا سنفعل هذا سوياً، لا يهم ما يحدث لنا، سوف نتأكد ألا تتأذى سييرا.
4...
صوّب فيكتور مسدسه على رأسي.
3...
أحبكَ، إستيباندييدو. دائماً أنتَ. فقط أنتَ.
2...
أحبكِ، جويريتا. لا تخافي، الحب لا يموت.
انطلق المسدس قبل أن نتحرك، إندفعت عيوني مغلقة فور سماعي الصوت، انتظرت للألم أن يبتلعني. لكنه لم يأتِ.
اللعنة!!!!!!!!!
أصاب داميان.
شعرت بالألم بعمق داخلي، ربما مزقت الرصاصة طريقها خلالي أيضاً. لا تزال يد داميان بيدي، دافئة للغاية، حقيقية للغاية. كان الألم عظيماً بشدة لدرجة أنني شهقت، ناسية، للحظة، التعليمات البسيطة عن كيفية التنفس. جزء مني يرغب بالموت حالا.
اقتلني، اقتلني الآن.
لكن الجزء الآخر، الأم داخلي ترفض الاستسلام. سييرا.
فكرت بهيئتها الصغيرة العاجزة، إنه عذاب تام. أنا دائماً أدثرها في الليل، دائماً أضعها بالفراش وأجلس معها حتى تنام. فوّت الأمر هذه الليلة والآن لن أختبر أبداً حلاوة تنفسها، ثقل ساقها الذي يمنعني من الرحيل، الطريقة التي تقفز بها على سريري بالصباح.
أفيقي، أفيقي، أفيقي.
لقد فقدت داميان والآن سوف أموت وأنا أعلم أن ابنتي هي التالية. كيف يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا الألم ويظل حياً؟!
إلهي القدير، بارك روحي، واعتنِ بـ سييرا.

لم أستطع الاستمرار، كافحتُ خلال العذاب الذي يشنّ مخالبه داخلي وضغطتُ يد داميان، منتظرة الطلقة التالية.
فضغط هو الآخر يدي، لتطير عيناي مفتوحتين.
لا يزال داميان يركع جانبي، دون إصابة.
فيكتور يقف أمامنا، عيونه فارغة، تحدق مباشرة للأمام، ياقته ملطخة بالدماء. وقف هناك للحظة قبل أن يقع للخلف، يتدحرج جسده على درجات السلم. بينما يقف رافاييل أسفل الدرجات، يمسك المسدس الذي أوقعه فيكتور منذ قليل.
"عدتُ لأجل هاتفي،" قال.
حدقتُ أنا وداميان ببعضنا، ثم به. لقد أطلق الرصاص على مؤخرة رأس فيكتور.
"لقد أسقطته بطلقة واحدة،" قال داميان، عيناه على المسدس الذي لا يزال يتصاعد منه الدخان بيد رافاييل.
"لقد رأيت رجلاً يقتل أمي وأبي، لم أكن لأقف جانباً وأشاهد أحداً يفعل نفس الشيء لك ولـ سكاي."
زفر داميان نفساً ولفّ ذراعيه حولي. "إنكَ قد اخترت يوماً جيداً حدّ الجحيم لتتخطى الأمر،" قال لـ رافاييل. ما زالت أجسادنا متوترة للغاية، فاتخذ الأمر بضعة ثوان كي تستقر الراحة بنا.
"كان الزفاف ليصبح سيئاً دون إشبين."
حاولنا أن نضحك، لكن لم يستطع أحدنا. يرقد جسد فيكتور في بحيرة من دمائه قاع السلم.
ارتجفت ركبتاي عندما ساعدني داميان على الوقوف.
"ظننتُ أنه قتلكَ." تمسكتُ بقميصه لأجهش بالبكاء.
"لقد رأيتُ نفسي به، ما كنتُ عليه." احتضني بشدة، بالكاد تمكنتُ من التنفس. "أنتِ كنتِ منقذتي، سكاي."
احتضنا بعضنا، معترفين بمعجزة الحياة العظيمة.
"لنذهب ونطمئن على سييرا،" قلتُ.
"اتصل بالشرطة،" قال داميان لـ رافاييل.
"وبالإسعاف. أريد أن أطمئن أن سييرا بخير، لقد

خدّرها فيكتور."
"سأفعل،" ردّ. "أنتَ اذهب واعتنِ بفتياتك."
"سأفعل، ورافاييل؟" استدار داميان إليه.
"أنتَ بخير؟"
أومأ رافاييل وأسقط المسدس. "أنا فقط ممتن أنني وصلت بالوقت المناسب."
"أنا أدين لكَ بواحدة، حقاً."
"أنتَ أنقذتَ حياتي مرتين، داميان. أنا ببساطة رددتُ الدين. اثنان مقابل اثنين، تم تصفية الحسابات."
"إن هناك ثلاثة منا، لا تخبرني أن هذا عبث بخلايا عقلك، يا ساحر الرياضيات."
حاول رافاييل الابتسام، لكننا كلنا مهتزين للغاية مما حدث. "أخبر سييرا أنني أريد مباراة أخرى عندما تكون مستعدة."
"فلتبدأ اللعبة، رامبو. لكن لدي إحساس أنها ستركل مؤخرتك مجدداً."

روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصرياً من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com

ألقى كلٌ من داميان وسييرا بالفول السوداني في فم الآخر.

كرانش، كرانش، كرانش.

كرانش، كرانش، كرانش.

"أوه رباه، أيمكن أن تتوقفا عن هذا؟ إنه يدفعني للجنون! لن نتمكن من تجهيز المكان أبداً هكذا." كنتُ حبوب الفول السوداني الضالة المتدحرجة على الأرض.

كنا في منزل داميان بالجزيرة، نحضّره كي يقضي رافاييل وخطيبته شهر العسل به.

"تعلمين أنه لا يتوجب عليكِ رفع إصبع." أخذ داميان المكنسة مني ووضعها جانباً. "يمكنني أن أجلب طاقم عمل كامل يعدّ المكان في وقت قياسي."

"إن الرجل أنقذ حياتنا، داميان. هذا أقل ما يمكنني فعله له."

"النظافة هي النظافة سواء قمتِ بها أنتِ أو استخدمتِ مَن يعتنِي بها."

"لقد كنتَ دائماً تصرّ أن أقوم أنا بالأعمال هنا."

الجزء الخامس :: سكاي

::: الفصل الخامس والثلاثون :::

"ذلك حين ظننتك أميرة مدللة."
"والآن؟" شبكتُ أصابعي خلف عنقه.
"الآن أريد كل تركيزك على مهام أخرى." رافعاً يد واحدة، دسّ أصابعه تحت الحمالة على كتفي وقبّل الندبة الصغيرة.
لكزته بلطف وأشرت إلى جمهورنا المتابع.
كانت سييرا تتأملنا كأننا فيلمها المفضل.
"سييرا...."
"أعرف، أعرف." قاطعت داميان. "اذهبي لقراءة كتاب. أتعلم كم كتاب قرأت هذا الأسبوع؟ أنتما دائماً تقبلان بعضكما." كشرت لكنني التقطتُ ابتسامتها قبل رحيلها.
"إن غرفة النوم هذه مزدحمة كثيراً بنا نحن الثلاثة." عاد ليدسّ أنفه بعنقي. "أفكر أنه يمكننا الاستفادة بإضافة ملحق، ربما طابق ثان."
"أو يمكنكَ النوم في الكوخ." أجريتُ أظافري على ظهره.
"استمري بفعل هذا وسوف أحملكِ من هنا على الفور." اشتد كفه حول خصري.
"ليس الآن،" قلتُ محررة نفسي من قبضته.
"عندما تأخذ قيلولة."
"إنها لا تفعل ذلك أبداً." زمجر داميان.
"إلا إذا كانت متعبة.."
"صحيح." ابتسم وأمسك بيدي. "هيا لنذهب ونرهقها."

******

خرج داميان من المحيط، تلمع بشرته تحت الشمس، وسار تجاهي. تمنيت لو يوجد بيننا شاطئ أطول لأنني حقاً أستطيع تأمله للأبد، كبرونز مصقول يتحرك، شعره مبلل ومبعثر من السباحة، تلتصق الرمال بقدميه. تمدد على المنشفة بجانبي وانحني ليقبّلني، قطرات مالحة على شفاه دافئة.
"إنها كتلة من النشاط،" قال.
أرحتُ رأسي على صدره وشاهدتُ سييرا تقفز بين الأمواج.
"لا أستطيع الرؤية،" قلتُ بعد فترة.

"ليس بيدي حيلة." ردّ، كان يحجب طريقي بمراوغته لي.
ضحكتُ وأعطيته زجاجة من كريم الحماية من الشمس. "عشرون دقيقة أخرى وستصبح مرهقة بشدة."
"استديري." امتطى داميان ظهري وبدأ يدهن الكريم. "لدي هدية زفاف لك، كنت سأفاجئك بها لكنني أحتاج مشاركتك. لقد اشتريت بعض الأملاك في بازا ديل مار، الموقع حيث كان يتواجد المستودع القديم."
"ذلك الذي فجرته؟ حيث مات إلشارو ورجاله؟"
"ذلك هو. أريد بناء شيئاً جيداً هناك، شيء جدير بالاهتمام."
"بماذا تفكر؟"
"ما رأيك بتوسيع عملك في ڤالديموروس؟ مؤسسة دائمة حيث يمكنك توظيف بعض النساء اللواتي تعملين معهن عندما يخرجن، يمكنهن مساعدتك بإنهاء طلبياتك وأنت يمكنك التركيز على التدريب والتعليم.

بهذا يمكنك الاستمرار بإقامة ورش عملك في ڤالديموروس لكن على نطاق أوسع. ولن يوقفك شيء عن الانتشار عالمياً، أنا بالفعل لدي شبكة شحن.. يمكنك توجيه بعض الأرباح إلى العمل الخيري الذي جعلت نيك يعده واستخدام البقية حسب هواك. في الأجور، ملاجيء النساء، عيادات، برامج التعليم...." توقف عن دهن الكريم وتجمد. "سكاي؟"
"أتمنى لو امتلكت مامالو أياً من هذه الخيارات حينها،" قلتُ بينما أمحو دموعي. "أتمنى لو كانت لديك أنت أيضاً."
"مهلا،" تدحرج على ظهره وتمدد بجانبي. "أحياناً يتفكك كل شيء حتى يمكن لشيء أفضل أن يتجمع."
أومأت وتتبعتُ حدود فكّه. إنه النموذج المثالي.
"لنفعلها،" قلتُ. "لنقم ببناء شيئاً تفتخر به سييرا."
أتت سييرا قافزة من المحيط، ترشّ علينا المياه المالحة والحماس. "انظرا!" رفعت صدفة. "هذه؟"

لقد كنتُ أريها كيف تجمع الأصداف الصحيحة لصناعة عقد، فهي رأت الذي صنعه داميان لي وتريد واحداً لنفسها.

"هذه مثالية." فتحتُ سلة النزهة وأضفتُ الصدفة ضمن المجموعة التي تجمعها. "عندما يصبح لديكِ ما يكفي، سيصنع لكِ بابا عقداً."

تبادل داميان وسِييرا نظرة غريبة.

"ما الأمر؟" سألتُ.

"أنا جائعة!" قالت. "أريد الـ سيفيتشي."

كان داميان أعده وحفظه لنا في ثلاثة أوعية منفصلة.

"هذه لي، هذه لبابا، وهذه لكِ." وزعتهم سيِيرا بينما تنظر لداميان للتأكد.

هو غمز، وهي ابتسمت.

"مهلا، كل ما أحصل عليه هو المحار؟" سألتُ أحدق في خاصتي. "ماذا يحدث؟" اتجهت عيوني منها إلى داميان.

"افتحيها!" كانت سيِيرا متحمسة للغاية لدرجة اضطرِ داميان أن يثبتها أرضاً.

فتحتُ الصدفة البنية الكريمية، الداخل يمتليء بالرمال.. بينما يرقد وسطها خاتم ذا ثلاثة أحجار أليكساندريت متلألئة.

"أعجبكِ؟ أعجبكِ؟" أخذت سيِيرا تثب وتحوم حولي.

"إنه جميل." ابتسمتُ لـ داميان.

ترقد قلادة أمي بمكان ما في قاع المحيط، حيث ألقاها، ولن أستعيدها أبداً.. لكن الآن لدي ما هو ملكي.

"شكراً لكَ." انحنيتُ وقبّلته.

تعمّق في القبلة، دافناً يديه بشعري. "سيِيرا..."

"لكنني لم أجلب أي كتاب!"

"لقد قلتِ عشرين دقيقة." تأوه داميان في أذني.

"ربما عشرون إضافية؟" ضحكتُ. "أين تذهب؟"

"للسباحة،" جاوب. "في أعماق المحيط البارد."

شاهدته ينطلق، يخترق المياه بضربات سلسة رشيقة.

أنهيتُ أنا وسيِيرا تناول الغداء وتمددنا بالشمس.

يشاهدنا بلوندي، بروس لي، وهاري القذر من على الصخرة. لا أعلم كم عاشت تلك الإجوانات هنا لكنني سعيدة أن الفرصة سنحت لـ سييرا لتعقد صداقات معهم. أعطاها داميان مهمة تسمية الجزيرة، وهي قضت الصباح بأكمله تناقشهم بالأمر.. ولا يزال القرار قيد المداولة.

بحلول عودة داميان، كانت سييرا غارقة بالنوم. عدّل الشمسية حتى تظللها تماماً وسار حولها على أطراف أصابعه حتى وصل جانبي، أصابتني بشرته المبللة بالقشعريرة والتي ليس لها أية علاقة بالحرارة.

"ارتدِيه،" قال.

رفعتُ حاجباً. "كنتُ أراهن أنكَ ستخبرني أن أخلعه."

"تعجبني طريقة تفكيرك، لكنني أتكلم عن الخاتم." منحني ابتسامة خبيثة بينما يلبسني إياه. "أريد رؤية كيف يبدو عليك."

رفعتُ يدي أمام الأفق الأزرق الممتد، تنعكس أشعة من قوس القزح على وجوهنا. إنه ليس مجرد خاتم. إنه نافذة مفتوحة وحيوان ورقي، صبي يمسك بخمسة عشر بيزو وفتاة تكتب رسائل الفراولة، إنه قصة شخصين أصبحا دائرة كاملة.. وهي تلتف الآن بالذهب حول إصبعي.

ماذا نحن؟ سألني داميان قبلاً على هذا الشاطيء تماماً.

هنا على قطعتنا الصغيرة من الجنة، وسييرا نائمة بجانبنا.. أخيراً أدركتُ الإجابة.

إننا الرمال والصخور والمياه والسماء، المرساة بالسفينة والشراع وسط الرياح. إننا رحلة ذات وجهة تتغير كل مرة نحلم أو نقع أو نقفز أو نبكي. إننا نجوم ذات عيوب لكنها ما تزال تلمع وتتألق. سوف نظل دائماً نسعى ونجاهد، دائماً نريد، دائماً لدينا الأسئلة أكثر من الإجابات، لكن توجد لحظات كهذه، مليئة بالسحر والرضا، عندما تحظى الأرواح بلمحة من الأمور السماوية وببساطة، تفقد أنفاسها!

الجزء الخامس :: سكاي

::: الخاتمة :::

توسد قمر جديد السماء المعتمة، قوس رفيع من أرق فضة. كانت قد رحلت المجموعة الصغيرة من الضيوف الذين شاركونا يومنا الخاص..
نيك، رافاييل، وزوجاتهما، بعض النساء اللواتي أعمل معهن ومجموعة من زملاء داميان بالعمل.
لكن ما زالت حدائق كاسا بالوما تتلألأ بالأضواء، بينما يجلس داميان وسييرا وأنا بجانب البحيرة.
"مَن مونيك؟" سألته وأنا أرفع بطاقة مطبوع عليها طبعة شفاه بأحمر شفاه باللون البنفسجي الداكن.
"دعيني أرى." وضع قطعة الكعكة جانباً، ذات كريمة زينة وردية وفوقها الفراولة الطازجة.
كانت اختياراً غريباً لـ كعكة زفاف، مُطابقة لكعكة عيد ميلادي التي لم يتسنَ له فرصة تذوقها، كان قد ضحك عندما أتوا بها على الطاولة ذات العجلات. أعلى الكعكة سن أبيض ضخم، مزحة خاصة بيننا تعود إلى الوقت الذي أوقع به سن جيديون بينيديكت سانت جون.

نظر بالبطاقة وابتسم. "إن مونيك شخصية جعلت وقتي بالسجن أكثر متعة."
طويت ذراعيّ وانتظرت تفسيراً.
"لا تعبسي، إن هذا ليس من شيم العروس." قال.
"لا تأتي على ذكر الحبيبات السابقات بيوم زفافنا، إن هذا ليس من شيم العريس."
"يمكنني التفكير ببعض الأشياء التي هي من شيم العريس وأود أن أفعلها بك."
"لا تفكر حتى." أبعدته عني، لا أشعر بأدنى تهديد من تلك الـ (مونيك)، لكن من الممتع التلاعب بالأمر قليلا. لم يستطع رافاييل إقناع داميان بارتداء بذلة تاكسيدو لكنه يبدو رائعاً حقاً في قميص أبيض اللون وجاكيت مصمم خصيصاً.
"حسناً، سوف آخذك لرؤية مونيك بيوم ما، لكن لا تقولي أنني لم أحذرك." ألقى بالبطاقة جانباً وأحاط خصري. "لدي شيء لك ولـ سييرا."
أخرج علبة (لاكي ستريك) التابعة لمامالو من جيب الجاكيت وفتحها. "كانت لترغب أن ترتدي هذه." أعطاني أقراطها.
رفعتها: حمامتان متلامستان من منقاريهما ليكونا دائرة فضية، مع أحجار الفيروز الصغيرة التي تتدلى منهما.
وتذكرت الأحجار الزرقاء التي كانت تلامس بشرتي عندما تقبّلني مامالو عند النوم.
"هاي." لف داميان ذراعيه حولي. يعرف أن اليوم كان مشحوناً عاطفياً بالنسبة لي، اشتقت لقبلات والدي الثلاثة، اشتقت إليه ليسير معي إلى المذبح، بينما تولت سييرا المهمة بدلا منه. لقد اختارت ثوبها بنفسها: أخضر بلون (كيرميت) الضفدع ومعه حذاء رياضي جديد، التنازل الوحيد الذي قدمته للزفاف كان ربطة شعر ذات طبعات أزهار تلائم لون رباط حذائها البرتقالي.
عدا الصداع، أفاقت سييرا من التخدير الذي مارسه فيكتور عليها دون أدنى فكرة عن الكارثة التي هربنا منها. عندما أفكر بكم اقتربنا من فقدان كل شيء، أحتضن داميان أكثر.

"تظنين أنه سيعجبها؟" سأل، رافعاً مشبك شعر مامالو على شكل مروحة، مصنوع من أصداف الأبالون ومعدن الألباكا.. جميل دون الحاجة ليكون أنثوياً كثيراً.

تفحصته سييرا قبل أن تعطيه لي، استدارت وأشارت لشعرها، مُصرحة بموافقتها الصامتة. جمعت خصلتين من جانبي شعرها وأحكمت المشبك في المنتصف.

"ما هذا؟" سألت وهي تفرد مقالة الجريدة التي احتفظ بها داميان طوال هذه السنوات:

(مربية محلية متهمة بسرقة قلادة موروثة بعائلة ثرية)

"إنها ورقة صغيرة سببت مشاكلاً كثيرة،" قال داميان.

"انظر،" التقطتُ زهرة صفراء أطاح بها نسيم الليل عبر الأشجار. في ضوء القمر، كادت تبدو عاجية اللون.. تماماً كثوبي. رفعها داميان وثبتها خلف أذني.

"هل أخبرتكِ كم تبدين جميلة اليوم؟"

لقد خططتُ لتصميم ثوب زفافي بنفسي، لكن عندما وجد داميان حذاء (لوبوتين) الذي تركته خلفي على الجزيرة، وبمجرد أن ارتديته، شعرت بروح الاحتفال تنمو داخلي. إن مؤسسة (وام!) تعمل جيداً ولهذا ارتديت متباهية ثوباً بلا حمالات من تصميم فيرا وانج.

"هاي! لقد فعلتها!" كانت سييرا تجلس على حافة البركة، تشير إلى شيء في الماء. وهناك تطفو بعيداً، كانت بجعة ورقية مثالية.

"رائع." جلس داميان القرفصاء جانبها، ثم خفتت ابتسامته حتى اختفت. "أتلك... ماذا استخدمتِ لصناعة هذه؟"

"قطعة الورق بتلك العلبة القديمة."

أرجح داميان يده وجذب البجعة من المياه.

"ما الخطب؟" سألت سييرا.

لقد حمل داميان تلك المقالة لوقت طويل، غريزته الأولى تملي عليه أن يحفظها. نظر إليّ بينما يحملها، وكلانا نفكر بالقصة التي أخبرتنا بها مامالو، عن بجعة سحرية تتجول في

أراضي كاسا بالوما، بجعة يمكنها أن تنعم عليك بأكثر الكنوز ندرة.
حبستُ أنفاسي بينما يعيد داميان وضع البجعة بالمياه ويضربني الإدراك. أنت لا تحصل دائماً على الكنز بالتمسّك، في بعض الأحيان يحدث السحر عندما تترك الأمر.. وداميان كان يتخلى عن كل الأشياء التي كانت وقوده لوقت طويل، الغضب، الظلم، الأمور المرعبة التي شاهدها في كابوراس، الذنب الذي شعر به حيال أفعاله، كل ذلك طوته سييرا وأطلقت سراحه. شاهدنا بصمت البجعة تختفي في ظلال البحيرة، وكل ما تبقى هو علبة لاكي سترايك فارغة.
"ماذا تريد أن تفعل بهذه؟" سألته.
"بالضبط ما يجب أن يتم فعله مع علبة قديمة مليئة برائحة التبغ." ملأها بالصخور وألقى بها في المياه، ثم غرقت إلى قاع البحيرة مع تردد صدى الصوت الذي أحدثته.
"سأسابقكما أنتما الاثنين إلى المنزل!" قالت سييرا.
"مهلاً، ليس عدلاً!" ركلتُ حذائي ولملمتُ ثوبي حولي.
"بعد خمسة!" قال داميان.
5، 4، 3، 2، 1...

تمت بحمد الله
روايات رومانسية مترجمة
تصدر حصريا من منتديات روايتي الثقافية
www.rewity.com